الأكثر مبيعاً في أمريكا

دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

فرصة أخرى

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

فرصة أخرى

دانيال ستيل
DANIELLE STEEL

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

الإهداء

إلى القلة المحظوظة التي تُمنح فرصة ثانية وتغتنمها بنجاح وإلى أولادي الرائعين وبهجة حياتي تريفور، وتود، وبياتريس، ونيك، وسامانتا، وفكتوريـــا، وفانيسا، وماكس، وزارا.

مع كل حبي

د. س.

كلنا نبحث عن ذاك الإنسان المميز والأنسب لنا. لكنّك إن خُضتَ ما يكفي من العلاقات العاطفية فسوف تبدأ لا محالة بالشكّ بوجود ذاك الشخص المناسب، لا بل سوف تشعر وكأن ليس هناك سوى أنواع مختلفة من الأشخاص غير المناسبين.

لماذا؟ لأنك أنت نفسك لا تخلو من العيوب، وتبحث بالتالي عن شركاء ذوي عيوب تتمّم من خلالهم عيوبك بطريقة أو بأخرى. لكن تلزمك سنوات طويلة قبل أن تكتمل فيك عيوبك الخاصة اكتمالاً تاماً وأنت لن تكون مستعداً لإيجاد رفيق العمر إلا بعد أن تواجه الشر الدفين في داخلك، أي مشاكلك العالقة، تلك التي تجعلك من أنت عليه بالفعل. حينها فقط، ستتمكن من معرفة ما أنتَ في صدد البحث عنه.

فأنت تبحث عن الإنسان غير الملائم. ولكنك لا تبحث عن أي إنسان غير ملائم فحسب، إنما عن "أكثر" الأشخاص غير ملائمة لك، عن شخص ترنو إليه وتفكّر به بهيام قائلاً بينك وبين نفسك، "هذه هي المشكلة التي أود أن أورّط نفسي فيها".

سوف أعثر على ذاك الإنسان المميز والذي لا يلائمني بالطريقة الصحيحة والملائمة.

أندرو بويد
الأسى اليومي

الفصل الأول

كان المكيف الهوائي قد تعطل لتوه في مكاتب مجلة شيك في يوم من أيام شهر يونيو الخانقة في نيويورك. وقد كانت هذه المرة الثانية التي يتعطل فيها المكيف خلال ذلك اليوم وبدت فيونا موناغان وكأنها على استعداد لارتكاب جريمة حين دخلت مسرعةً إلى مكتبها بعد أن كانت قد احتجزت في المصعد لعشرين دقيقة. وهي كانت قد واجهت المشكلة عينها في اليوم السابق. وبالتالي فإنّ مجرد ترجلها من سيارة الأجرة في طريق عودتها من الغداء في مطعم فور سيزونز، جعلها تشعر وكأن الهواء قد سحب من رئتيها. كانت ستسافر إلى باريس بعد أسبوعين، هذا إن قُدّرَ لها العيش حتى ذلك الحين. فأيام كتلك كانت كافية لتجعل أياً كان يكره نيويورك، لكن وعلى الرغم من الحرارة المرتفعة وتفاقم الصعوبات، كانت فيونا تحب كل وجوه الحياة في تلك المدينة، كالناس والأجواء والمطاعم والمسرح والفورة الثقافية والإثارة في كل مكان وحتى ذلك المنزل المبني من الحجر الرملي الأسمر في الناحية الشرقية من الشارع 74 والذي كادت أن تفلّس بسبب شرائه منذ عشرة أعوام. فهي كانت قد أنفقت كل فلس معها من أجل تعديل بنائه وهندسته. لقد كان حديث التصميم ومتقن البناء، ويرمز إلى كل ما كانت عليه في السابق وكل ما آلت إليه الآن.

في سن الثانية والأربعين، كانت قد أمضت عمراً وهي تبني نفسها لتصبح فيونا موناغان، امرأة أعجب بها الرجال وحسدتها النساء ثم أحببنها حين عرفنها عن كثب وأصبحت صديقة لهن. فهي تحت وطأة الضغط، قد تكون خصماً يخشاه الجميع. إنما حتى أولئك الذين كانوا يكرهونها، أجبروا

على الاعتراف بأنهم كانوا يحترمونها. لقد كانت امرأة ذات نفوذ، شغوفة ومستقيمة وكانت لتناضل حتى الموت من أجل قضية تؤمن بها، أو إنسان وعدته بالدعم. لم تكن يوماً لتخلّ بوعودها، فكانت تعطي كلمتها، وكان بإمكان من تعده الاعتماد عليها. لقد كانت تشبه كاثرن هابرن مع شيء بسيط من ريتا هايورث. فهي كانت طويلة القامة، ونحيلة، وشعرها أحمر براق وعيناها واسعتان خضراوان تشعّان إما سروراً أو غضباً. كلّ من تعرف بفيونا موناغان لم يكن لينسها قط. أمّا في مجال عملها فهي كانت واسعة المعرفة ومتبصّرة، تتمتع بسلطة هائلة وتهتمّ كثيراً بالغير. أحبّت عملها أكثر من أي شيء آخر وناضلت جاهدة للحصول عليه. وهي لم تتزوج قطّ ولم تشأ يوماً ذلك. وعلى الرغم من أنها كانت تحب الأطفال إلا أنها لم ترغب يوماً بإنجاب طفل إذ أنّ ما لديها من متاعب يكفيها. فهي كانت رئيسة تحرير مجلة شيك منذ ستّ سنوات، ما جعلها رمزاً من رموز عالم الموضة.

وكانت حياتها الشخصية حافلة أيضاً. فقد أقامت علاقة مع رجل متزوج كما وقد ربطتها علاقة برجل أقامت معه ثماني سنوات. وقبل ذلك كانت قد واعدت جزافاً فنانين أو كتّاباً بالإجمال. لكنها وحيدة الآن منذ سنة ونصف. فحبيبها المتزوج كان مهندساً معمارياً بريطانياً يتنقل بين لندن وهونغ كونغ ونيويورك. والرجل الذي أقامت معه كان قائد فرقة موسيقية وقد انفصل عنها ليتزوج وينجب أولاداً وهو يعيش الآن في شيكاغو التي تعتبرها فيونا قَدراً أسوأ من الموت. فبالنسبة إليها نيويورك هي محور الحياة العصرية، وهي كانت لتعيش في لندن أو باريس لكن ليس في أي مكان آخر. والواقع أنها ظلت على صداقة وثيقة مع هذا الأخير. فهي قد تعرفت به قبل المهندس الذي تركته حين تعقدت علاقتها به جداً وهدد بهجر زوجته من أجلها. فهي لم تشأ أن تتزوج منه أو من أي كان كما وأنها لم ترغب بالزواج من قائد الفرقة الموسيقية أيضاً، مع أنه كان قد

طلب يدها مراراً. لطالما بدا لها الزواج في الحقيقة مجازفة كبيرة. وهي بالتالي كانت تفضل أن تسير على الحبال في السيرك على أن تخوض تجربة الزواج، وكانت تحذّر الرجال من ذلك. فالزواج لم يكن قط خياراً مطروحاً.

كانت طفولتها قاسية مما أقنعها بعدم المجازفة وتعريض أيٍّ كان للألم الذي مرّت به. كان والدها قد هجر أمها حين كانت تلك الأخيرة في الخامسة والعشرين وكانت هي في الثالثة من عمرها. في ما بعد، تزوجت أمها مرتين من رجلين كرهتهما فيونا. لم ترَ والدها قط ولا عائلته بعد رحيله؛ ولم تعرف أنه تُوفي إلا حين كانت في الرابعة عشرة. وحين كانت في الجامعة توفيت والدتها. ولم يكن لفيونا أشقاء أو أقرباء تعرفهم. فأصبحت وحيدة في هذا العالم منذ أن بلغت العشرين، وتخرجت من ويليسلي واعتمدت على نفسها بعد ذلك. شقت طريقها بسرعة في المجلات البسيطة للموضة وانتهى بها الأمر في مجلة شيك في سن التاسعة والعشرين. وبعد سبع سنوات، أصبحت رئيسة التحرير وأصبح الباقي جزءاً من التاريخ. ثم أصبحت فيونا أسطورة في سن الخامسة والثلاثين وأكثر محررات المجلات النسائية نفوذاً في البلاد في سن الأربعين.

كان تقدير فيونا للأمور يكاد يكون معصوماً عن الخطأ كما وكان لديها حدس لا يخطئ بما يختص بالموضة وما قد ينجح، وتخطيط مهني أعجب به كل مَن عمل معها. وعلاوةً على هذا كلّه، كانت تتحلى بالشجاعة ولم تخش خوض المخاطر سوى في حياتها العاطفية. ففي هذا المجال، لم تخض أيّ مخاطرة ولم تكن لديها حتى أيّ رغبة في ذلك. فهي لا تخشى الوحدة لا بل أصبحت تحبّها خلال السنة والنصف الماضيتين. على أي حال، هي لم تكن قط وحيدة بالفعل إنما كانت محاطة باستمرار بالمصورين والمساعدين والمصممين والعارضين والفنانين وزمرة من الرفاق. كان جدول نهارها حافلاً وحياتها الاجتماعية زاخرة بالنشاطات وكان لديها

www.rewity.com dodyadodo

العديد من الأصدقاء المميزين. لطالما كانت تقول إنها لم تعد لتنزعج إن لم تقم مع أي كان بعد الآن. فلم يعدْ لديها متسع في خزائنها على أي حال، كما ولم يعد لديها حتى الرغبة في إخلاء مساحة لأي كان. لقد كان لديها ما يكفيها من المسؤوليات في المجلة، ولم تكن بالتالي ترغب في أن تكون مسؤولة تجاه أي رجل أو عنه. كانت حياة فيونا موناغان حافلة تخطف الأنفاس، وأحبت كل ما فيها. وكانت تتمتع بقوة هائلة على احتمال التشوش والإثارة والفوضى كما كان لديها إدمان خفيف على كل من هذه الأمور.

كانت ترتدي تنورة حريرية طويلة ضيقة وسوداء تنسدل من خصرها وهي تخرج من المصعد الذي كانت قد علقت فيه لعشرين دقيقة وهي في طريق العودة من الغداء وكانت تلقي قميصاً أبيض سميكاً فوق كتفيها وكان شعرها الطويل الأحمر مردوداً إلى الوراء ومربوطاً بواسطة رباط غير محكم. أما قطعة المجوهرات الوحيدة التي كانت تضعها في ذلك اليوم فكانت سواراً فيروزياً ضخماً يكاد يلتهم معصمها، أثار حسد كل من رآه وكان دايفيد ويب قد صنعه خصيصاً لها. كانت تنتعل صندل مانولو بلاهنيك أسود عالي الكعب وتحمل حقيبة فاندي حمراء كبيرة من جلد التمساح. والواقع أن مزيج الزينة وملابسها المتقنة كانت تنم عن أناقة مميزة وذوق رفيع في مجال الموضة. كانت فيونا تضاهي في تألّقها أياً من عارضات الأزياء اللواتي قاموا بتصويرهنّ. فصحيح أنها كانت أكبر منهن سناً لكنّها لا تقلّ عنهنّ جمالاً، رغم أنّ المظهر الخارجي لم يكن يعني لها شيئاً. كانت تهتم كثيراً بالروح والعقل، وكلاهما كانا يشعان في عينيها الخضراوين الثاقبتيْن. لقد كانت تفكر بغلاف المجلة التي ستصدر في سبتمبر حين جلست خلف مكتبها وخلعت صندلها ورفعت سماعة الهاتف. كانت هناك ثمّة مصممة جديدة شابة في باريس تريد من أحد مساعديها المحررين والشبان أن يبحث عنها. في الواقع كانت لدى فيونا دائماً مهمة ما تنجزها لذا كان يلزمها مجموعة من الأتباع والمساعدين لمواكبة

أعمالها. وهذا ما كان يبعث في أنفسهم من الخوف ما لا يقلّ عن تقديرهم لها. فقد كان عليهم أن يتحركوا بسرعة ليواكبوا سرعة تقدمها، ولم يكن لديها صبر على المتهربين من العمل أو المماطلين أو الأغبياء. كان الكل في مجلة شيك يعلم أنه حين تسلّط فيونا تركيزها على فرد ما فعلى هذا الأخير أن يكون على قدر المسؤولية وإلا فعاقبته وخيمة.

إتصلت بها سكرتيرتها بعد عشر دقائق لتذكرها أن جون أندرسون قادم لمقابلتها خلال نصف ساعة، فتأوهت. فهي كانت قد نسيت ذاك الموعد، وبين الطقس الحار وتوقف المكيف والتأخر في المصعد، لم تكن في المزاج المناسب لذلك. كان أندرسون مدير وكالة الإعلانات الجديدة التي يتعاملون معها، وهي شركة متمرسة قديمة، ابتكرت بفضله بعض الأفكار الجديدة المثيرة. كانت هي من اتخذ قرار التعامل مع تلك الشركة الجديدة، وكانت قد قابلت إلى الآن جميع أعضائها تقريباً. سواه. فعملها وبياناتها كلّها تشهد على حسن اختيارها وكان الاجتماع لحسن الحظ مسألة شكليات ليتعرف أحدهما بالآخر. فهو كان يعيد تنظيم مكتب لندن حين قررت التعامل مع شركته، والآن وقد عاد إلى المدينة، إتفقا على أن يلتقيا. إقترح الخروج لتناول الغداء لكنها اقترحت أن يأتي هو إلى مكتبها بسبب ضيق الوقت، في نية منها لاختصار الجلسة.

قبل الاجتماع، عاودت الاتصال بست أشخاص ممن فاتها اتصالهم. ثم زارها فجأة في مكتبها أدريان ويكس، وهو أكثر محرريها براعة، ومكث عندها خمس دقائق ليناقش معها موضوع عروض الأزياء في باريس. كان أدريان من العرق الأسود وكان طويل القامة، نحيلاً وأنيقاً وعمل مصمماً لبضع سنوات قبل أن يأتي إلى مجلة شيك. لم يكن هذا الأخير يقلّ عنها ذكاءً، وهي كانت تحب ذلك. تخرّج من جامعة يال وحاز شهادة الماجستير في الصحافة في كولومبيا وعمل كمصمم أزياء قبل أن ينتهي به الأمر في شيك، فشكّلا معاً فريقاً مميّزاً. كان ذراعها الأيمن طيلة السنوات الخمس التي خلت.

كان لون بشرته داكناً بقدر ما كانت هي شاحبة، وكان مدمناً على الموضة مثلها تماماً، وشغوفاً بأفكاره وبالمجلة بقدر ما كانت عليه. كما وأنه كان صديقها المقرّب. دعته لينضم إليها خلال لقائها مع جون أندرسون، لكنه كان سيجتمع مع مصمم عند الثالثة، وما أن غادر أدريان مكتبها، حتى أبلغتها سكرتيرتها أن السيد أندرسون قد وصل، فطلبت منها فيونا أن ترافقه إلى الداخل.

نظرت فيونا من خلف مكتبها إلى الباب، وشاهدت جون أندرسون يدخل، فنهضت من خلف مكتبها لتسلم عليه. ابتسمت حين وقع نظرها بنظره وألقى كل منهما نظرة فاحصة على الآخر. كان هذا الأخير رجلاً طويل القامة قوي البنية وكان شعره الأبيض مسرّحاً بتأنٍّ وعيناه الزرقاوان مشعّتان، فيما طغى الشباب على أمارات وجهه وحركاته. كان متحفظاً بقدر ما كانت هي مفرطة الحماسة. علمت من خلال سيرته الذاتية وأصدقائهما المشتركين أنه أرمل بلغ الخمسين لتوه، وحائزٌ على ماجستير في إدارة الأعمال من جامعة هارفرد. كما وكانت قد علمت أيضاً أنّ لديه ابنتان في الجامعة، إحداهما في براون والأخرى في برينستون. فلطالما كانت فيونا تتذكر التفاصيل الشخصية التي تجدها مثيرة للاهتمام ومفيدة أحياناً للتعرّف على من تتعامل معهم.

وفيما وقفا يحدق أحدهما إلى الآخر، قالت بدماثة، "أشكرك على قدومك". كان طولها يناهز طوله بفضل كعب حذائها العالي الذي عاودت انتعاله قبل أن تنهض لتسلم عليه. في الأوقات الأخرى كانت تحب أن تمشي حافية القدمين في مكتبها بحجّة أنّ ذلك يساعدها على التفكير. "أعتذر بشأن المكيف. فقد توقف عن العمل مرات عديدة خلال كل هذا الأسبوع". وابتسمت بتودد.

"وكذلك الحال لدينا. بإمكانك على الأقل فتح النوافذ، لكنّ مكتبي أشبه بفرن. من الجيد أننا قررنا الالتقاء هنا". قال ذلك مبتسماً، وهو يلقي نظرة

خاطفة على أرجاء مكتبها الذي كان يحوي مجموعة متنوعة من اللوحات لفنانين صاعدين، وصورتين مهمتين التقطهما إيفدون، هدية لها من المجلة، فضلاً عن نماذج طباعية لمواضيع مستقبلية معلّقة على الجدران. أمّا الأريكة فكانت مغطّاة بجبل من المجوهرات وقطع الزينة والملابس وعينات الأقمشة، فألقتها فيونا على الأرض بطريقة تعوزها الكياسة فيما كانت مساعدتها تدخل صينية عليها إبريق من الليموناضة وصحن من الكعك المحلى. أشارت فيونا لجون أندرسون تدعوه للجلوس على الأريكة، وبعد لحظة، قدمت له كوباً من الليموناضة الباردة، وجلست في الجهة المقابلة له. فقال بتهذيب: "شكراً. يسرني أن ألتقي بكِ أخيراً". فهزت برأسها وبدت جدية للحظة فيما كانت تنظر إليه، إذ أنها لم تتوقع أن يبدو بهذا الانضباط، أو بهذه الوسامة. بدا هادئاً ومتحفظاً، ولكن في الوقت عينه كان فيه ثمة ما يجذبها إليه بطريقة لا يمكن إنكارها، وكأن تياراً كهربائياً غير مرئيٍّ يمرّ عبره. كان بإمكانها أن تشعر بذلك وكأنه واقعي. فعلى الرغم من نظراته الجديّة، كان مثيراً للاهتمام.

وهي أيضاً لم تبدُ له كما كان يتوقع. فقد كانت أكثر جاذبية وأصغر سناً، وأقل تمسكاً بالشكليات، في حين كان قد توقّعها أن تكون أكبر سناً وأشبه بالتنين. كانت لديها سمعة تدعو إلى الخوف والرهبة، وهذا، ليس لكونها غير لطيفة بل لكونها قاسية، إنما عادلة في تعاملها مع الناس مما يجعلها أهلاً للثقة. وأكثر ما أدهشه كانت تلك الابتسامة الصبيانية التي وجهتها له بينما كانا يشربان الليموناضة. بدت له وكأنها فتاة صغيرة. ولكن وعلى الرغم من لطافتها، وبلغت صلب موضوع اجتماعهما في غضون لحظات. لقد كانت واضحة ومقتضبة في تحديدها توقعات شيك. فهم كانوا يريدون حملة دعائية جيدة وقوية، غير شائعة جداً أو غريبة جداً. فقد كانت المجلة الأكثر قدماً ورساخة في مجال الموضة، وكانت تتوقع من الإعلان أن يعكس ذلك. لم تكن تريد شيئاً جريئاً أو جنونياً، وقد ارتاح

جون لسماع ذلك. فهو يعتبر شيك زبوناً مهماً بالنسبة إليهم وكان قد بدأ بالتالي يسعى إلى عقد اتفاق معها. لقد كان يتطلع إلى ذلك الآن أكثر مما كان يفعل قبل المقابلة. وفي الواقع، وبعد أن شرب كوباً آخر من الليموناضة وعاد المكيف أخيراً إلى العمل من جديد، قرر أنه قد أعجب حقاً بفيونا. لقد أحب أسلوبها وصراحتها في طرحها مسائل شركتها واحتياجاتها وكانت لديها فكرة واضحة عن الإعلان تماماً مثل معرفتها بعملها. وحين وقفت لتوديعه شعر بالأسف لانتهاء المقابلة. أحب التحدث إليها. فقد كانت حازمة وعادلة ورقيقة وقوية في آن معاً. امرأة يهابها المرء ويقدّرها.

رافقته فيونا إلى المصعد وكان ذلك أمر نادراً ما تقوم به. فهي تكون عادةً على عجلة من أمرها للعودة إلى عملها، لكنها توقفت لبضع دقائق تتحدث إليه، وكانت راضية حين عادت إلى مكتبها. كان رجلاً طيباً، وذكياً، سريع البديهة، مسلياً وغير متجهم بقدر ما بدا عليه ذلك ببذلته الرمادية وقميصه الأبيض ورباط عنقه الرسمي الأزرق اللون داكنه. بدا كمدير مصرف أكثر منه مديراً لشركة إعلانية، لكنها أعجبت بحذائه الأنيق الباهظ الثمن، وكانت على صواب في اعتقادها أنه قد ابتاعه من لندن، كما وكانت بذلته متقنة الصنع. لقد كانت له إطلالته الخاصة التي تتناقض تماماً مع ذوقها في الأشياء. فقد كانت فيونا أكثر جرأة منه بكثير، لا سيّما في ذوقها. فقد كان بإمكانها أن تلبس أي شيء وتجعله يبدو مذهلاً.

غادرت المكتب متأخرة بعد ظهر ذلك اليوم وكانت كالعادة، على عجلة من أمرها. فنادت مستوقفة سيارة أجرة في بارك أفونيو خارج مكاتب الشركة، وسارعت إلى المدينة إلى منزلها الحجري. كانت الساعة قد تخطت السادسة حين وصلت إلى المنزل وكانت قد ذوت من شدة الحرارة في سيارة الأجرة. ولحظة دخولها المنزل، كان بإمكانها سماع الضجة في مطبخها. فهي كانت تتوقع ضيوفاً عند السابعة والنصف، لذا أبقت منزلها مبرّداً ببرودة الثلج،

لراحتها الشخصية ولراحة كلبها الإنكليزي العريق. كان هذا الأخير في الرابعة عشرة من عمره، وهذه سن نادراً ما يبلغها نسله، وكان محبوباً من الجميع. أما اسمه فكان السيد وينستون، وذلك تيمناً بتشرشل. حيّاها بحماسة حين وصلت إلى المنزل، فيما سارعت هي إلى المطبخ لتطّلع على سير الأمور هناك، وسرها أن تجد طهاتها يعملون بنشاط وسرعة، ويحضرون لها العشاء الهندي الذي كانت قد طلبته.

كان مدبر منزلها الذي يعمل عندها بدوام جزئي يرتدي قميصاً أصفر فضفاضاً وبنطلون حرير مصنوع من قماش الساري الحريري الأحمر. كان يحب الملابس الغريبة المستوردة، وكلما أتيحت لها الفرصة، كانت تجلب له معها من سفراتها أقمشةً أخّاذة. كانت دائماً شديدة الإعجاب بما يصنع منها. كان اسمه جمال، وكان باكستانياً، وصحيح أنه كان يتحامق أحياناً، إلا أنه كان مفيداً في معظم الأوقات. لقد كان يعوّض عما ينقصه في فن الخدمة، بفنّه في الإبداع والمرونة، الأمر الذي كان يناسبها تماماً. كان بإمكانها أن تفاجئه بدعوة اثني عشر شخصاً على العشاء أو أكثر وكان ذلك في غاية السهولة بالنسبة إليه. فهو كان يتدبر أمره ويحضّر باقات أخّاذة من الورود ويفكّر بما يمكنه أن يقدم للضيوف من أطباق. ولكن الليلة كان الطهاة ينجزون ذلك عوضاً عنه. فقد كانوا ستّةً في مطبخ فيونا، وكان جمال قد غطى وسط مائدة الطعام بالطحالب والزهور المنتقاة بعناية والشموع. فهو كان قد حوّل الغرفة برمتها إلى حديقة هندية واستعمل غطاءً للطاولة بلون أرجواني محمر وفوطاً فيروزية. بدت الطاولة فخمة. وكان ذلك نموذجاً حقيقياً لحفلات فيونا الأسطورية.

"ممتاز!" قالت بابتسامة عريضة، ثم سارعت إلى الطابق العلوي لتستحم وتبدل ملابسها، فيما كان السيد وينستون يتنقل متثاقلاً ببطء خلفها. وحين وصل الكلب إلى فوق كانت فيونا قد خلعت ملابسها ودخلت إلى الحمام.

وفي غضون خمس وأربعين دقيقة كانت قد عادت إلى الطابق السفلي مجدداً مرتدية ثوباً هندوسياً فاتناً أخضر. وبعد مرور ساعة على ذلك، كان قد أصبح هناك في غرفة الجلوس عندها أربعة وعشرون شخصاً يتحادثون بصوت مرتفع. لقد كانت تلك المجموعة نفسها من المصورين الصاعدين وكتّاب من عمرها وفنان مشهور وزوجته ومحرر متمرس في مجلة فوغ كان الناصح المخلص لفيونا، وسيناتور، ومجموعة من مدراء وأصحاب المصارف ورجال الأعمال والعديد من عارضي الأزياء المشهورين. باختصار، كانت هذه سهرة نموذجية لدى فيونا، وكان الكل يستمتع بوقته. وحين بلغوا مائدة العشاء، كانت المحادثات قد تداخلت، فشعر الحاضرون وكأنهم أصدقاء قدامى، وراح جمال يمرّر صواني المقبلات التي حضرها الطهاة للمناسبة. كادت السهرة تكون ناجحة حتى قبل بدئها، وكانت فيونا تحب هذا النوع من السهرات، وبالتالي غالباً ما كانت تقيمها. لطالما بدت دعوات العشاء لديها غير رسمية، ولكنها في الواقع، كانت دائماً تتطلب تنظيماً أكثر بكثير مما كانت تدعيه فيونا على الرغم من كونها غالبا طارئة. لقد كانت فيونا تسعى إلى المثالية ومع ذلك فهي كانت تحب الأشخاص الانتقائيين وتختار أصدقاءها من مجالات فنية متنوعة. وعن طريق الصدفة أكثر منه عن طريق التخطيط المسبق، غالباً ما كان يحلو النظر إلى المدعوين إلى مائدتها. غير أنّ النجمة الأكثر إشعاعاً وتألّقاً بينهم كانت فيونا التي تطلّ دائماً على مدعوّيها بأبهى الأزياء الحديثة، وأكثرها تأثيراً. لقد كانت لديها موهبة الإبداع في الأزياء واللياقة كقلة من الآخرين وكانت تجذب الأشخاص المثيرين للاهتمام نحوها كالمغنطيس.

حين غادر آخر الضيوف عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل، أوت إلى فراشها بعد أن شكرت جمال على مجهوده. فهي كانت تعلم أنه سيعيد ترتيب المنزل بطريقة ممتازة، وأن الطهاة قد تركوا المطبخ نظيفاً، وأن السيد وينستون يشخر في غرفته منذ وقت طويل. وصحيح أن شخيره أشبه بصوت

جزازة العشب، إلا أن ذلك لم يكن قط ليضايقها؛ فهي كانت تحبه. خلعت ثوبها الساري راميةً به على الكرسي، ثم تسللت إلى سريرها مرتدية قميص النوم الذي كان جمال قد تركه لها خارجاً، وما هي بالتالي إلا دقائق خمس حتى غطت في نوم عميق لتعود وتصحو مجدداً على صوت رنين المنبّه عند السابعة. لقد كان بانتظارها يوم طويل إذ إنهم كانوا في صدد إنهاء عدد أغسطس وكان بالتالي لديها موعد بشأن عدد سبتمبر.

كانت منهمكة جداً في العمل مع المحررين حين اتصلت بها سكرتيرتها على الهاتف الداخلي لتخبرها أن جون أندرسون على الهاتف. وهي كانت في الواقع على وشك أن تقول لها إنها منهمكة جداً وغير قادرة على تلقّي اتصاله، عندها أعادت التفكير بالموضوع بطريقة أفضل فقد يكون الأمر مهماً. فهي كانت قد طرحت عليه عدداً من الأسئلة في لقائهما الأخير وكانت بالتالي تنتظر منه رداً، لا سيما بما يختص بشأن الميزانية.

"صباح الخير"، قال جون بلطف. ثم سألها ببراءة "هل اتصلت بك في الوقت غير المناسب؟" فضحكت، إذ قلما كان هناك وقت مناسب في حياتها. فهي كانت دائمة الانشغال، وغالباً ما كانت محاطة بالفوضى.

"لا، لا بأس. إنه الجنون المعتاد هنا. كنا فقط ننهي عدد أغسطس، ونبدأ بعدد سبتمبر".

"أعتذر، فأنا لم أقصد مقاطعتك. أردت فقط أن أقول لك كم استمتعت بلقائنا البارحة". كان صوته أعمق مما تذكرته ففاجأها وهي تصغي إليه إذ بدا لها مثيراً وجذاباً. وهي ما كانت لتستعمل هذه الكلمة لتصفه، إنما كانت في صوته على الهاتف نبرة ملؤها الرجولية. وعلاوة على ذلك، فقد كانت لديه إجابات على بعض أسئلتها، وقد راق لها ذلك. كانت تحب التعامل مع من ينجزون عملهم بسرعة. لا بد أنه بذل جهداً في البحث. دوّنت بعض الملاحظات عمّا قال، وأخبرها أنه قد يرسل إليها المزيد من المعلومات لاحقاً عبر الفاكس. فشكرته، وكانت على وشك أن تقفل السماعة وتعود إلى

الفوضى من حولها، حين انتقل إلى موضوع مختلف تماماً وكادت تسمع بسمته حتى. فقد تطور الصوت فجأة وتحول صوت رجل الأعمال الفعال إلى صوت يكاد يكون صبيانياً. "أعلم أنكِ تبدين منهمكة وأنني لم أعطِك مهلة كافية للاستعداد يا فيونا، إنما هل لديك وقت لتناول الغداء برفقتي اليوم؟ فقد أُلغي موعدي على الغداء لتوه اليوم". وهو في الواقع كان يخطط لإلغائه بنفسه إن كانت لتوافق على تناول الغداء برفقته. فهو كان قد أمضى طيلة الصباح يفكر بها، وكان بالتالي يريد أن يراها مجدداً. كل شيء بشأنها أثار اهتمامه.

"في الواقع... أنا..." فقد فاجأها سماعُ ذلك وراحت بالتالي تفكّر بالأمر لدقيقة. فهما كانا قد ناقشا كل ما يلزم في اليوم السابق، لكنها قالت لنفسها إنه ليس بالأمر السيئ أن توطد معه علاقة عمل وتتعرف به أكثر". كنت سأتناول الغداء هنا، فاليوم حافل جداً... ولكن... أيمكننا تناول الغداء بسرعة؟ يمكنني على الأرجح الخروج قرابة الواحدة والربع، ولكن علي أن أعود إلى المكتب من أجل الموعد بشأن غلاف سبتمبر عند الثانية والنصف".

"هذا مناسب. أعرف مقهى محترماً جداً بالقرب منكم حيث يمكننا تناول سندويشاً بسرعة. أيناسبك هذا؟" كان يتكلم بلهجة رجل الأعمال فارضاً عليها أمراً واقعاً، وقد أعجبها في ذلك غياب التصنع والادعاء. كان يتحلّى بالكثير من الصفات التي تعجبها، وكانت تشعر أنها ستحب العمل معه أكثر بكثير مما كانت تتصوّر. لقد كان خفيف الظل وقوي الشخصية بمكان أنها قد تدعوه حتى إلى حفلة عشاء عندها، لدى عودتها من باريس.

"يبدو هذا رائعاً. أين يجدر بي أن أقابلك؟ سأكون بانتظارك في الأسفل عند الساعة الواحدة وعشر دقائق" ثم تابع مُطَمئناً إياها وقائلاً، "لا تقلقي إن تأخرتِ". وقد كان ذلك جيداً إذ أنها غالباً ما كانت تتأخر على مواعيدها، لكثرة أعمالها وانشغالاتها بين العشرين والثلاثين دقيقة.

"ممتاز. أراك حينها إذاً". ثم أقفلت السماعة دون أن تفكر ثانية في الموضوع وعادت إلى اجتماعها. كان أدريان يقدم حينها طرحاً لأفكار الإعلانات لسائر المحررين، وعندما انتهى، كانت الساعة قد ناهزت الواحدة والربع. فألقت نظرة خاطفة على ساعتها عند انتهاء الاجتماع ثم جمعت أوراقها وألقتها في سلتها والتقطت حقيبتها وغادرت مكتبها.

"إلى أين أنت ذاهبة؟" سألها أدريان مبتسماً "أتريدين أن نتناول الغداء معاً؟" كان الاجتماع قد جرى على ما يرام وكان كلاهما راضياً عن عدد أغسطس الآن وقد اكتمل.

"لا أستطيع، فأنا منشغلة. سأتناول الغداء مع مدير وكالة الإعلانات". كادت تدعو أدريان للمجيء أيضاً ثم عَدلت عن الفكرة.

"خلتُك قابلته البارحة". قال رافعاً حاجبه بتعجّب. فهو كان يعلم أن فيونا لا تخرج للغداء إلا في حال كانت مضطرة لذلك وبالتالي فقد كان من الواضح أن الأمر ليس كناية عن لقاء اجتماعي.

"إنها مسألة متابعة للمستجدات". إلا أنها لم تكن متأكدة ما إذا كانت تكذب عليه أو على نفسها وهي تتجه نحو الخارج. ولكن ولسبب ما، خالجها شعور صائب أن هذا الغداء مع جون أندرسون لم يكن فقط بداعي العمل، ومع ذلك فهي لم تمانع. كان يبدو رجلاً لطيفاً ومحترماً وكان ينتظرها في الأسفل في سيارة لينكولن تاون سوداء يقودها سائق. ما أن رآها حتى ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة. كانت ترتدي بنطلوناً فضفاضاً قرنفلي اللون من الكتان، وقميصاً أبيض دون أكمام وتنتعل صندلاً وعلى كتفها حقيبة من القش. بدت وكأنها ذاهبة إلى الشاطئ. وكان ذلك نهاراً آخر شديد الحرارة، لكنّ الجوّ كان منعشاً داخل السيارة المكيفة. فابتسمت له حين دخلت السيارة وجلست بالقرب منه.

"تبدين رائعة" قال لها مبدياً إعجابه، ثم انتقلا إلى المطعم الذي كان قد وعدها به. ولم يكن هذا الأخير سوى على بعد بضعة مبانٍ، إلا أنّ الجو كان

www.rewity.com dodo4dodo

حاراً لدرجة تمنعهما من الذهاب مشياً. فقد كانت الحرارة تفوق المائة درجة في الخارج. كان يرتدي بذلة بيجيّة اللون وقميصاً أزرق، ورباط عنق داكن اللون رسمي كالمرة السابقة. وكان بالتالي لباسهُ يليق برجل أعمال ويتناقض كل التناقض مع لباس فيونا الصيفي. وكان شعرها مرفوعاً على شكل عقدة مرخية فوق رأسها وذلك بواسطة عيدان تثبيت عاجية. فلم يكن بوسعه مقاومة التساؤل بشأن ما قد يحدث في حال سحبَ تلك العيدان من شعرها. فهو كان يحب فكرة شعرها الأحمر متدلياً على كتفيها في حين كان يحاول التركيز على ما كانت تقول.

كانت تخبره عن الاجتماع الذي عقدته لتوها، وأدرك حين نظر إليها أنه لم يسمع كلمة مما قالته. لكنهما كانا عندئذٍ قد وصلا. ففتح لها السائق الباب وساعدها على الخروج.

كان المطعم مكتظاً وبدا لها جيد الخدمة ونظيفاً في حين كانت رائحة الطعام فيه شهية. فطلبت فيونا سلطة وشاياً مثلجاً، في حين طلب جون سندويشاً من لحم البقر وكوباً من القهوة. وفيما كان ينظر إليها، وجد نفسه يتساءل بعفوية عن عمرها. فهي كانت في الثانية والأربعين من عمرها لكنها كانت تبدو أصغر من ذلك بعشر سنوات.

فسألته "هل من خدمة؟" عندها بدت على وجهه ملامح غريبة، كما وأنّ أمراً ما قد صعقه فيما كان النادل يصب له قهوته.

"كلا". لقد كان يريد أن يخبرها أنه قد أحبّ العطر الذي تضعه ولكنه خشي أن تعتبره غبياً إن فعل. فهي لم تكن تبدو من النوع الذي يخلط بين العمل والتسلية، وهو أيضاً لم يكن هكذا إجمالاً. لكن ثمة أمر غريب جداً وفاتن بشأنها فشعر وكأنّه مسحور. فهي كانت في الواقع جذّابة من دون أن تكون لديها نية في أن تكون كذلك، الأمر الذي كان يجعله يجد صعوبةً في التركيز على العمل وهو جالس إلى المائدة في الجهة المقابلة لها، يحدق إلى هاتين العينين الخضراوين اللتين كانتا ترمقانه بنظراتٍ رسمية. فهي كانت تجهل

تماماً ما كان رأيه فيها، مع العلم أنها لم تكن قط لتعير اهتماماً كبيراً لتأثيرها على الرجال، إذ أنها كانت دائماً شديدة الانهماك تفكر وتتكلم حول مواضيع متعددة. إلا أن جون كان مفتوناً بها.

"أعجبتني الأفكار الرئيسة التي أتيتني بها هذا الصباح" قالت ذلك حين قُدّم لهما طعامهما ثم راحت تتناول السلطة ببطء. لقد كانت نحيلة القدّ بمكان أنه كان من الصعب التصوّر أنها تأكل كثيراً، لكنها لم تكن تبدو أيضاً وكأنها تعاني من مرض فقدان الشهية. فما كان على كتفيها من لحمٍ كان في الواقع كافياً لإعطائها شكلاً جميلاً يُعجبه. بدت لهُ رياضية، ولاحظ أن ذراعيها كانتا قويتين ونحيلتين فتساءل ما إذا كانت تلعب كرة المضرب أو تسبح كثيراً. كانت ميزانية مجلّة شيك آخر ما يخطر على باله حين كان مستغرقاً في التفكير فيها.

فسألها بعد أن ناقشا الميزانية بشكل سطحي "ماذا ستفعلين هذا الصيف؟" لقد كان يريد أن يعرف المزيد عنها وليس فقط عن عملها "هل ستسافرين؟".

"سأسافر إلى باريس خلال أسبوعين من أجل عروض الأزياء. وبعد ذلك أنا دائماً أزور سان تروبيز لأسبوع، ثم سيكون عليّ العودة إلى هنا، وإلا فسوف أخسر عملي". أجابته مبتسمة ابتسامةً عريضة وهي تتناول السلطة.

فضحك قائلاً: "أشك في ذلك". ثم عاد وسألها "أتقصدين هامبتونز في عطل نهاية الأسبوع؟" فقد كان فضولياً بشأن حياتها.

فأجابته: "أحياناً، إذ كثيراً ما أعمل في عطل نهاية الأسبوع؛ فذلك يتوقف على مدى انشغالي. لكني أحاول أحياناً أن آخذ فرصة صغيرة، فأذهب عادةً إلى الكرم يوم عيد العمّال. سأبقى في فرنسا حتى بعد الرابع من الشهر".

"وكيف تكون عروض الأزياء؟" فهو لم يكن حتى قادراً على

تصوّرها، وقد بدت لـــه مثيرة للاهتمام. فهو لم يذهب قط من قبل إلى أيٍّ من تلك العروض، إلا إلى واحد في باريس. لكنّه كان بإمكانه تخيّل فيونـــا في تلك الأجواء، وأحبّ تلك الفكرة. فقد كانت فيونا مثيرةً للاهتمام وفاتنة بفطرتها.

"العروض مسلية، يحضرها الكثيرون، وهي تكون إجمالاً جنونية وجميلة وصاخبة. ثيابٌ رائعة وعارضات رائعات. وصحيح أنّ عدد دور الأزياء اليوم أقل عدداً، لكن العرض ما زال ممتازاً، وبما أنك الآن تمثل المجلة، فيجدر بك أن تحضره يوماً ما. سوف تحب العارضات؛ فهذه دائماً حال الرجال. يمكنني أن أحصل لك على التذاكر إن أردت. أتظن أن ابنتيك قد ترغبـــان بـــالمجيء أيضاً؟".

"ربّما" وهو لم يتذكر متى كان قد أتى على ذكـــر ابنتيـــه هـــيلاري وكورتوناي أمامها ولكن لعله فعل. "ليست أي منهما مولعة بالموضة، لكنّ رحلةً إلى باريس قد يكون من الصعب رفضها أو مقاومتها. نحـــن عـــادةً نقصد كل عام مزرعةً في مونتانا، فكلتاهما تحبان ركوب الخيـــل، لكنـــي لست واثقاً أننا سنقوم بذلك هذه السنة. فالفتاتان ستعملان فـــي الصـــيف. ستعمل هيلاري في لوس أنجلوس، أما كورتوناي فقد حصلت على عمل في مخيم صيفي في كايب. فالآن وقد أصبحتا في الجامعة، لقد بات من الصعب أن نذهب معاً في عطلة". كان يكره الإقرار بذلك، ولكن منذ وفاة والدتهما، لم تعد العائلة تمضي الكثير من الوقت مع بعضها البعض. بات لكلٍّ منهم حياته الآن، وأصبحت المزرعة في مونتانا ذكرى حلوة ومريـــرة فـــي آن معاً. لكنه لم يكن حزيناً للتخلي عن تلك الرحلة، إذ أنها كانت تذكره كثيراً بزوجته وبأيام الصيف السعيدة التي كانا يمضيانها مع ابنتيهما حين كانتـــا صغيرتين. "ألديك أولاد فيونا؟" فهو لم يكن يعرف الكثير عنها خارج إطار العمل.

"كلا، لا أولاد لديّ. فأنا لم أتزوج يوماً، إلا أن الزواج لم يعد إلزامياً

من هذه الناحية في أيامنا، فمعظم معارفي الذين لديهم أولاد غير متزوجين. ولكن لأجيب على سؤالك، لا، لا أولاد لديّ" ولم يبدُ عليها الاســـتياء مـــن وضعها هذا.

لكنه قال مواسياً: "يؤسفني ذلك".

فأجابت "أما أنا فلا. أعلم أنه من المريع الاعتراف بهذا، لكنني لـــم أرد يوماً أولاداً. أتصور أن هناك الكثيرين ممّن قـــد يصـــبحون آبـــاء وأمهـــات صالحين، ولم أكن يوماً واثقة أنني قد أكون واحدة منهم. ولم أشأ يوماً خوض تلك التجربة". أراد أن يخبرها أنّ الأوان لم يفت بعد لذلك، لكنه رأى أنّ قوله هذا قد يكون وقحاً.

"ربّما قد تتفاجئين بنفسك. فمن الصعب أن تكون لديك الحماسة الكافيـــة حيال فكرة الأولاد ما لم تنجبي أولادك. فأنا نفسي قد بقيت فاتراً حيال ذلك إلى أن ولدت هيلاري. لكن الأمر كان أفضل بكثير مما ظننـــت. وهـــا أنـــا الآن مجنون بابنتيّ وهما تتحملانني وتتفهّمانني كثيراً". ثم تردّد للحظة وتابع قـــائلاً "أصبحنا مقربين أكثر بكثير بعد وفاة والدتيهما، مع أنهما منشغلتان ولكل منهما حياتها الخاصة الآن. لكننا نتكلم غالباً ونجتمع كلما سنحت الفرصـــة". فـــالآن وبعد رحيل والدتهما، أصبحتا تأتمنانه على أسرارهما أكثر من السابق.

فسألته بحذر "كم مضى على ذلك؟ أعني رحيل زوجتك". كانت تتســـاءل إن كان لا يزال الألم في أوجّه أو أنه قد تأقلم مع الخسارة. فهو لم يكن يـــتكلم عن زوجته بمهابة ووقار، إنما بلطف ودفء، مما جعلها تفترض أنه قد تقبّـــل فكرة وفاتها.

"في أغسطس، يكون قد مضى على ذلك سنتان. يبدو لي ذلك أحياناً وقتاً طويلاً في حين يبدو لي أحياناً أخرى كأسابيع. لقد عانت من المرض طـــويلاً، لثلاث سنوات تقريباً. فكان عليّ وابنتيّ أن نتأقلم مع الواقع، إنما يبقى في ذلك شيء من الصدمة. فهي لم تكن حينها سوى فـــي الخامســـة والأربعـــين مـــن عمرها.

"أنا آسفة". لم تكن تدري ماذا تقول غير ذلك، وجعلها التفكير بالأمر تحزن لحاله.

فأجابها مبتسماً وكئيباً "وأنا كذلك. لقد كانت امرأة صالحة. بذلت كل ما في وسعها لتعدّنا على الاهتمام ببعضنا البعض بعد وفاتها. علمتني الكثير عن الفضيلة حين يواجه المرء الشدائد. ولست واثقاً إن كنت لأتحلى بمثل قوتها لو كنت في مكانها. سأظلّ أقدّر ذلك فيها دوماً. حتى أنها علمتني كيف أطهو". وضحك على ذلك مخففاً بعض الشيء من وطأة الحزن فيما كانت فيونا تبتسم له. لقد أُعجبت به كثيراً، أكثر بكثير مما كانت تتوقع. وفجأة لم يعد لإعجابها هذا علاقة بمجلة شيك، أو بوكالة الإعلانات الجديدة التي بدأت تتعامل معها.

فقالت "يبدو أنها كانت امرأة رائعة" وكانت تريد أن تقول إنه رجل رائع. وأكثر ما أثّر فيها هو كونه قد تعلّم الطهو لأنه كان يرى زوجته تحتضر. وتوقعت بالتالي أن تكون ابنتاه مذهلتين أيضاً لمجرد احتمال أنهما تشبهانه.

"كانت رائعة وأنت كذلك. أنا معجب بشدة بما تنجزينه، وبالإمبراطورية التي تديرينها يا فيونا. هذه ليست بمسألة سهلة. لا بد أنك تحت وطأة الضغوط باستمرار مع تلك المهل التي تنتهي آخر كل الشهر. لو كنت مكانك لكان أصابني مرض في خلال أسبوع".

"يعتاد المرء على هذه الضغوط. هذا ما يعطيني الزخم. أظنني أحب الإثارة. ولا أدري ما كنت لأفعل في غيابها. التواريخ والمهل التي ألتزم بها في العمل تبقيني على الدرب الصحيح. ولكن الإمبراطورية التي تديرها أنت ليست بصغيرة!" فقد كانت وكالته ثالث أكبر وكالة في العالم، حتى أنه كان يدير وكالة أكبر منها في السابق. لكنّ انتقاله إلى الوكالة التي يديرها الآن كان بمثابة ضربة موفقة بالنسبة إليه، إذ أنّ سمعتها ذهبية، وقد فازت بمجموعة من الجوائز على روعة إبداعها. إنها أعلى مقاماً من الوكالة التي كان يعمل فيها في السابق، مع العلم أن هذه الأخيرة أكبر منها بعض الشيء.

"أحب المكتب في لندن. ما كنت لأمانع إدارته لبضع سنوات. في الواقع، عُرض علي ذلك منذ عدة سنوات، لكنّه لم يكن بإمكاني أن أطلب من زوجتي آن الانتقال إلى هناك حينذاك. فقد كانت مريضة جداً حينها، ولم أكن لأترك ابنتيّ هنا، إذ أنهما لم تريدا أن تتركا مدرستيْهما. وفي النهاية حصلت على وظيفة أفضل حين رفضت ذلك العرض. وأتى هذا التغيير في الوقت المناسب تماماً. كنت جاهزاً للانتقال والشروع بعمل مختلف. وماذا عنك فيونا؟ هل تظنين أنك ستمضين حياتك المهنية كلها وتشيبين في شيك، أم أنّ ثمّة ما تريدين إنجازه بعد ذلك؟".

"لا يبقى المرء في عالم مجلات الأزياء حتى يشيخ ويشيب شعر رأسه" قالت ذلك مبتسمة، "مع وجود بعض الاستثناءات". فمرشدتها والتي سلفتها بقيت في المجلة لحين بلغت السبعين ولكن ذلك نادراً ما يحدث. يكون هذا العمل إجمالاً لمدة محدودة، ولا فكرة لدي إطلاقاً عمّا قد أفعله إن غادرت. في هذه المرحلة ليست هذه الفكرة ملائمة، وآمل أن يكون لديّ بعد بضع سنوات في "شيك". أو حتى الكثير منها، هذا إن كنت محظوظة. ولكني لطالما أردت أن أؤلف كتاباً".

فسألها مهتماً "كتاباً خيالياً أم واقعياً؟" وكانا قد انتهيا من تناول الغداء حينها، ولكن لم يكن أي منهما يريد المغادرة والعودة إلى العمل مجدداً. "ربما الاثنان معاً. كتاباً واقعياً عن عالم الأزياء يجسّدُه كما هو، وربما رواية من بعده حول الموضوع نفسه. كنت أحب كتابة القصص القصيرة في طفولتي، ولطالما أردت تحويلها إلى كتاب. قد تكون المحاولة ممتعة، إلا أنني غير واثقة من قدرتي على ذلك". كان يصعب عليه تخيلها عاجزةً عن إنجاز أي شيء إن صممت عليه، وقد كان بالتالي من السهل عليه تخيّلها تصيغ كتاباً. كانت لامعة الذكاء وسريعة البديهة، وتجيد رواية طرائف ممتعة جداً عن العمل. فشعر أنّه بإمكانها كتابة ما قد تحلو قراءته.

"أتتخيل نفسك تقوم بعمل بعد الإعلان أو عوضاً عنه؟" فقد كانت هي

أيضاً فضولية بشأنه تماماً كما كان هو حيالها، ومن الواضح بالتالي أنهما كانا يمهّدان الطريق لرابط ما بينهما يتخطى مجرد العمل. ربما أراد فقط كل منهما معرفة المزيد عن الآخر، لإضفاء شيئٍ من العمق والمتانة على علاقتهما في العمل لحساب شيك.

"بصراحة؟ لا. فأنا لم أقم بأي عمل قط سوى الإعلان. ربما قد ألعب الغولف. لا أدري. لست واثقاً أن هناك ثمّة حياة بعد العمل".

"هذا ما نشعر به كلنا. معظم الوقت، أشعر ببساطة أنني سأموت خلف مكتبي. وآمل ألا يطول موتي كثيراً" قالت ذلك ثم شعرت بالغرابة لدى تذكرها وفاة زوجته المبكّر. "لا وقت لدي للقيام بالكثير خارج إطار العمل".

"أنت تعملين على الأقلّ في أماكن مسلّية. فبرأيي باريس وسان تروبيز ليستا بمثابة عقاب".

فأجابت مبتسمة، "معك حق" وقد تلقيت دعوة لتوي من صديق لإمضاء بضعة أيام على مركبه حين أقصد سان تروبيز".

فقال وهو يسدد الحساب "الآن أشعر حقاً بالغيرة". كان يعلم أن عليها العودة إلى مكتبها، وكذلك هو.

"ربما يجدر بك مرافقتي لترى كيف يكون الأمر. أعلمني إن كنت تريد بطاقات للعروض".

فسألها باهتمام "ومتى تكون؟". ولم يكن قد فكّر قط، ولو قليلاً من قبل، بالذهاب إلى باريس لعروض الأزياء وبالتالي فسوف تكون تلك زيارته الأولى إن فعل. إلا أن احتمال ذهابه كان ضئيلاً. فقد كان رجلاً كثير المشاغل.

"تجري العروض خلال الأسبوع الأخير من حزيران، والأيام القليلة الأولى من تموز. إنها مسلية جداً، بالأخص إن كانت لديك معارف هناك. لكن حتى إن لم يكن لديك معارف، تبقى العروض فخمة وتثير إعجاب مشاهدها".

"لديّ اجتماع في لندن في الأول من تموز. ولكن إن شعرت أنه بإمكاني المغادرة ليومٍ أو يومين في آخر حزيران أو أول تموز فسأعلمك بالأمر". وكانا حينها قد غادرا المطعم واتّجها بسرعة نحو السيارة.

"بالمناسبة، شكراً على الغداء" قالت وهي تجلس برشاقة بالقرب منه في السيارة. وخلال خمس دقائق كانا قد عادا إلى مبنى مكتبها. فاستدارت لتبتسم له مرة أخرى قبل أن تترجل من السيارة. "كان ذلك ممتعاً. أشكرك جون. الآن أشعر أنني إنسانة من جديد بسبب عودتي إلى العمل. سيشكرك فريق عملي على هذا. فأنا غالباً ما أتخطّى وجبة الغداء".

"يجدر بنا التصرف حيال هذا الأمر، فذلك غير صحي". ثم اعترف مبتسماً "لكنني أفعل الشيء نفسه" ثم أضاف حين خرجت وابتسمت "استمتعت بذلك أيضاً. لنُعِد الكرة مجدداً عما قريب" بعدها سارعت إلى المبنى بينما أقلعت السيارة وهو لا يزال يفكر فيها. كانت فيونا موناغان امرأة مميّزة وجميلة وذكية وجذابة وأنيقة، وخطرة على طريقتها الخاصة التي لا مثيل لها. لكنه لم يكن خائفاً حين كان يفكر بها عائداً إلى مكتبه. فقد كان جون أندرسون مأسوراً بكل ما للكلمة من معنى إذ كانت فيونا، منذ سنتين وحتى الآن، المرأة الأولى التي يلتقي بها والتي تستحقّ أكثر من نظرة أولى. وهذا ما كانت عليه حقاً.

الفصل الثاني

في الأسبوع الذي تلا لقاءها بجون أندرسون أمضت فيونا يومين في التصوير لعدد مهم. ستّة من أهم عارضات الأزياء العالميات كن معنيات به، وتم عرضٌ لتصاميم أربعة مصممين رئيسيين، والتقط الصور هنريك زيف الذي قدم خصيصاً من لندن من أجل التصوير برفقة أربعة من مساعديه وزوجته ابنة التسعة عشر عاماً، وولديه التوأمين وعمرهما ستة أشهر. كان التصوير مدهشاً، وكانت فيونا متأكدة أن الصور ستكون فائقة الجمال. لم يكن بالإمكان تجنب الفوضى في ذلك الأسبوع. كان عارضو الأزياء صعبي المراس ومتطلبين، وكان اثنان منهم متحابّين ودار عراك ملفت بينهما في موقع التصوير. أمّا العارضة الأساسية الأشهر بينهم فكانت تعاني بشدة من مرض فقدان الشهية، وانهارت بالتالي بعد أن كانت قد انقطعت عن الأكل كلياً خلال الأيام الثلاث الأولى من العمل. قالت إنها كانت "صائمة"، والمعالجين الذين حضروا لإيقاظها شعروا بأنها قد تكون مصابة بمرض آخر أيضاً. التُقطت بعض الصور على الشاطئ، وكانت العارضات ترتدي معاطف من الفرو، فكادت الشمس اللاهبة تقتلهنّ جميعاً من شدّة الحرّ. وقفت فيونا تشاهدهنّ في الماء التي كانت تبلغ ردفيها، وكانت تستعين بقبعة من القش كمروحة. رنّ هاتفها الجوّال بعد ظهر ذلك اليوم، للمرة الثانية والتسعين. وبين المرة والأخرى كان الاتصال من مكتبها الذي يواجه أزمةً جديدة. كانوا يعملون حينها، على عدد سبتمبر. في حين كان التصوير الذي يقومون به الآن لشهر أكتوبر، وذلك لأن هذا الوقت كان في الواقع الوحيد الذي يمكن لزيف تخصيصه لهم، إذ أنّ جدول أعماله كان حافلاً لبقية الصيف. وحين رن الهاتف

www.rewity.com dodyadogo

هذه المرة، لم يكن الاتصال من مكتب فيونا بل من جون أندرسون.

"مرحباً، كيف حالُك؟" وبدا على صوته الارتياح والسرور، على الرغم من النهار المضني الذي شارف على الانتهاء. ولكنه لم يكن ممن يشتكون وبالأخص إلى شخص لا يعرفه جيداً. فهو كان يفاوض طيلة بعد الظهر ليحافظ على زبون مهم كان يهدد بالانسحاب، وقد نجح في النهاية في المحافظة عليه، لكنه شعر وكأنه أمضى النهار بأكمله وهو يتبرع بدمه. "هل الوقت غير مناسب؟" فترددت فيونا في الإجابة.

كانت إحدى العارضات قد فقدت للتوّ وعيها من شدة الحر، في حين كانت أخرى قد أفرغت زجاجة ماء كاملة على هنريك زيف لأنه استبعدها عن إطار إحدى الصور. فأجابت فيونا ضاحكة "كلا، على الإطلاق. فالتوقيت ممتاز" ولو كان معها مسدس لكانت رمتهم بالرصاص جميعاً. العارضات تنهرن كحشرات ضعيفة وتصيبهن نوبات غضب، وإحداهن رمت لتوها المصور بشيء ما، وكلنا على وشك أن يُغمى علينا من لَهَب الشمس وشدّة الحرارة. أمّا زوجة المصور، ابنة الثانية عشرة فهي تهتم بتوأمها، وكلاهما متضايق من حرارة الجو ولم يتوقفا عن البكاء طيلة الأسبوع. هذا ببساطة يوم نموذجي آخر في شيك". فضحك لوصفها، لكن بالنسبة لفيونا، كان ذلك واقعاً تتعايش معه حقاً، حتى ولو صَعُبَ عليه تصوّره. لقد كانت معتادة على هذا وقد كان ذلك يوماً عادياً بالنسبة إليها. "وكيف كان نهارك؟".

"يبدو أفضل بكثير الآن وقد وصفتِ نهارك. كنت أجري مفاوضات سلام بشأن موضوع باريس هنا منذ السابعة صباحاً، لكني أظن أننا نجحنا. لقد خطرت لي فكرة مجنونة بأن أتصل بك. كنت أتساءل إن كنت ترغبين في تناول الهمبرغر برفقتي في طريق العودة إلى المنزل".

فقهقهت هذه المرة وأجابت "يسرني ذلك، إلا أنني أقف هنا ومياه المحيط الأطلسي تبلغ ردفيْ في مكان ما على شاطىءٍ في لونغ آيلاند، في مدينة أهملها الله، لا شيء فيها سوى مدرج للعب البولنغ ولتناول العشاء، وعلى هذا

المعدل سنبقى هنا حتى صباح الغد. وإلا لكنت وَدَدتُ مرافقتك. أشكرك على أي حال على دعوتي".

"ربما نقوم بذلك مرة أخرى. ومتى تنوون أن تحزموا أمتعتكم وتعودوا؟".

"في وقتٍ ما بعد المغيب. أعتقد أنه سيكون أطول يوم في السنة". عرفت ذلك قرابة الظهيرة عندما راحت اثنتان من العارضات تتبادلان الصفعات وراحت أخرى تتقيأ من شدة الحر".

"يسرني أنني لا أعمل مكانك. هل هكذا هي الحال معك دائماً؟".

"كلا، تكون عادة أسوأ. عمل زيف صعب جداً وهو لا يتحمل الكثير من الفوضى لذا فهو يستمر بالتهديد بالانسحاب ويتوقع مني أن أجعل الجميع يعمل بانضباط. محظوظة أنا أليس كذلك؟!".

"أتتواجدين دائماً في موقع التصوير؟" لقد كان يعرف القليل عن عملها، وقد افترض لسبب ما أنها تجلس خلف مكتبها، وتكتب حول الملابس. لكن عملها كان في الواقع أكثر تعقيداً من ذلك، مع العلم أنها كانت تقوم بالكثير من الكتابات أيضاً وتشرف على عمل الآخرين كلهم، من أجل المحافظة على المضمون والأسلوب. فكانت فيونا تدير شيك بقبضة حديدية، وكانت تقلق بشأن الميزانية. كانت أكثر المحررين ورؤساء التحرير مسؤولية تجاه الشؤون المالية. فعلى الرغم من مصاريفهم الطائلة، كانت المجلة بالأسود والأبيض منذ سنين وجنت أرباحاً طائلة، والفضل الكبير في ذلك يعود إليها وإلى نوعية عملها.

"أتواجد في موقع التصوير فقط حين يكون وجودي ضرورياً. ففي معظم الأوقات يهتم المحررون الأصغر سناً بذلك. ولكن إن كان التصوير مهماً، أو فيه مسؤولية كبيرة، فيتعيّن عليّ حينها أن أكون موجودة. وهذا العرض كذلك. وزيف نجم مهم وكذلك الفتيات هنا".

فسألها ببراءة "هل يعرضن بلباس البحر؟".

فضحكت بقوة أكثر من السابق حتى وقالت "لا، بل بمعاطف الفرو".

"يا للهول!" ولم يكن بإمكانه تصور ذلك مع حرارة الجو.

"ولأكون أكثر دقة، نحن نُبَرِّدُ الفتيات باستمرار بعد أن يخلعن معاطفهنّ. وحتى الآن لم يمت أحد من الحر، إذاً أظن أننا ما زلنا مستمرين".

فعلّق مازحاً "آمل أنك لا تلبسين الفرو أيضاً".

"لا، فأنا أقف هنا في الماء بلباس البحر وقد أمضت زوجة المصور النهار كله تمشي شبه عارية، حاملة ولديها".

"يبدو هذا كله شديد الغرابة..." نساء جميلات يتجولن شبه عاريات أو يلبسن معاطف الفرو على الشاطئ. كان يتخيل فيونا واقفة وسط المحيط بلباس البحر تكلمه على هاتفها الجوّال. مشهد جميل حقاً. "... ليس الأمر تماماً، كيوم عملي، ولكن أظن أن عملكِ ممتع أيضاً".

"هو كذلك أحياناً". ثم سرعان ما عادت وبدّلت رأيها حين بدأ هنريك زيف يلوح لها بذراعيه مذعوراً. أراد أن ينتقل إلى الصورة الأخيرة، لكن كل الفتيات باستثناء واحدة فقط اعترضن على ذلك واشتكين من شدة الإرهاق والحرّ. فأراد من فيونا أن تفاوض الأمر معهنّ من أجله، الأمر الذي كانت لتفعله بالطبع. "أظن أني مضطرّة لإقفال الخط، فقد تمرد القطيع على راعيه. أنا لا أدري على من أشعر بالأسى، هل أشفق عليه هو، أم عليهن، أم على نفسي". ثم قالت والانشغال باد عليها، "سأعاود الاتصال بك، على الأرجح غداً". كان الوقت قد تخطى السابعة وهي لم تدرك ذلك إلا حين ألقت نظرة خاطفة على ساعتها واستغربت كونه لا يزال في مكتبه حتى هذا الوقت.

فأجاب بهدوء "سأتصل بك بنفسي" لكنها كانت قد أقفلت حينها. فجلس وراء مكتبه شارد الذهن. بدا نمط حياتها بعيداً كل البعد عن نمط حياته مع أن قسم الفن في وكالته لم يكن بالتأكيد مختلفاً جداً عن حياة كحياتها. لكن جون نادراً ما كان يتعامل معهم ولم يكن يحضر قط أوقات التصوير. كان دائماً شديد الانشغال بجلب الزبائن الجدد وإرضاء الزبائن القدامى والإشراف على

المبالغ الطائلة التي يتم إنفاقها على الحملات الدعائية. أمّا تفاصيل **كيفية إعداد** هذه الحملات فكانت من اختصاص أشخاص آخرين سواه. لكنه كان معجباً بشكل واضح بعالم فيونا. فقد بدا له رائعاً وجديداً، إلا أن فيونا كانت حتماً لتعارضه الرأي إذ أنها كانت الآن تساعد المعاونين على حزم معدات زيف، إذ أُصيبت زوجته بنوبة غضب، بعد أن تجادل معها وبدأ الطفلان بالبكاء. وكانت العارضات يسترخين تحت المظلات، ويشربن الليموناضة الساخنة من مستوعب كبير، ويُهددن بالانسحاب محاولاتٍ بالتالي المفاوضة بشأن زيادة ثمن أتعابهنّ ويتصلن بالوكالات اللواتي ينتمين إليها عبر الهواتف المحمولة. كنّ يقلن إن أحداً لم يخبرهنّ بشأن مدّة التصوير، أو أنه قد يشمل الفرو. حتى أن إحدى العارضات كانت قد هددت بالانسحاب، وقالت إنها ستقدم تقريراً بحقهم إلى جمعية الرفق بالحيوان التي ستتظاهر حتماً أمام المجلة، تماماً كما حصل في السابق، في حال عُرض الفرو بشكل بارز. مضت ساعة كاملة قبل أن يتمركزوا في الموقع الجديد، على بعد نصف ميل من الشاطئ وكانت الشمس تشرف على المغيب حينها. وبالكاد كان لديهم الوقت الكافي للّقطة الأخيرة، وكان هنريك يصرخ للجميع منهمكاً ليرشد كلاً منهم إلى مكانه. عندها كانت زوجته قد غفت في السيارة مع التوأم. وأدركت فيونا أنها كانت منهكة، حين كانت تشاهد نهاية التصوير. كانت الساعة قد تخطت التاسعة قبل أن ألبسوا جميع العارضات وأبعدوهنّ عن الشاطئ وحزموا جميع معدات التصوير وأقلّوا العارضات في الليموزين التي كانت شيك قد استأجرتها من أجل ذلك النهار. كانت شاحنة الطعام قد غادرت أيضاً. فأقلع هنريك مع زوجته وطفليه أولاً. أمّا فيونا فكانت آخر من غادر المكان وكانت قد استأجرت سيارة لنفسها، وأغمضت عينيها وأسندت رأسها إلى المقعد خلفها حين أقلعت السيارة. كانت الساعة الحادية عشرة تقريباً حين وصلت إلى المنزل. ولكن ومن وجهة النظر التقنية، كان ذلك يوماً ممتازاً. عرفت أن الصور ستكون رائعة، وأنه لن تكون فيها أي مشكلة. لكن فيما كانت تصعد

الدرج إلى غرفتها، شعرت وكأن عمرها مائة عام. وابتسمت حين وجدت السيد وينستون يشخر عالياً على سريرها. حسدته حينها على الحياة التي كان يعيشها. لقد كانت متعبة لدرجة أنها كانت غير قادرة على تناول العشاء أو حتى النزول إلى المطبخ لتشرب شيء ما. وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت تعاني من حرقة حادة في معدتها من جرّاء شرب الليموناضة طوال النهار. وحين رنّ هاتفها حدقت إليه طويلاً وكانت جد متعبة لتتناوله وتسحبه من حقيبتها. لقد كانت تعرف أنّ بعد رنتين سيُحَوّل الاتصال إلى البريد الصوتي ولم تبالِ لذلك. ثم، في اللحظة الأخيرة، أدركت أنه قد يكون هنريك، يعاني من إرهاق ما بعد التصوير. لعله تعرض لحادث في طريق العودة وخسر كل الفيلم، أو أن مخلوقاً فضائياً قد اختطفه. "نعم" أجابت بصوت بارد يكاد لا يُعرف، فهي كادت تكون غير مبالية من شدة الإرهاق.

"يا إلهي، تبدين ميتة، هل أنت بخير؟" كان هذا جون لكنها لم تتعرّف على صوته.

"بل أنا كذلك. مَن المتكلم، ولمَ تتصل بي؟" على الأقل لم يكن هنريك. كانت اللكنة أميركية لا بريطانية، ولم يكن أحد ليهتم عادة، ما إذا كانت حية أم ميتة. منذ وقت بعيد على الأقل.

"معك جون، آسف فيونا، هل كنت نائمة؟".

"آه. أنا آسفة، كنت أخشى أن يكون للاتصال علاقة بالتصوير. خشيت أن يكونوا قد أضاعوا الفيلم. لقد وصلت إلى المنزل للتو".

فأجابها مواسياً "إنك تعملين كثيراً". كان يشعر حقاً بالأسف حيالها. وكانت منهكة بقدر ما بدت كذلك.

"أعلم. فهذا ما أتقاضاه لقاء تعبي على ما أظن. كيف حالُك؟" سألته وهي تتمطط على السرير وأغمضت عينيها. فتح السيد وينستون عيناً واحدة ورآها ممددة هناك فاستدار منقلباً على ظهره وبدأ يشخر بقوة أكثر. فابتسمت للضجة المألوفة. وبدا ذلك كصوت مروحية تحط على سقف بيتها، وسمعه جون أيضاً.

"ما هذا الضجيج؟" بدت وكأنها تحمل منشاراً كهربائياً بين يديها، وكانت الضجة شبيهة بذلك.

"هذا السيد وينستون".

"ومن يكون؟" سأل وقد بدا هنا جون مصدوماً.

"لا تخبره بأنني أقول هذا عنه، لكنه كلبي".

"وهل يشخر كلبك كذلك؟ يا إلهي ما هو؟ أو ما باله؟".

"هذا جزء من سحره. هو كلب إنجليزي. حين كنت أقيم في شقة، كان جيراني في الأسفل يتذمرون منه باستمرار، إذ كان بإمكانهم سماعه عبر السقف. ظنوا أنني كنت أستعمل آلات ثقيلة، ورفضوا أن يصدقوا أنه كلب إلى أن دعوتهم يوماً لرؤيته فيما كان نائماً".

"لا ينام معكِ في الغرفة نفسها، أليس كذلك؟" وكان من الواضح له أنه لا يفعل، إذ كيف قد تتمكن من النوم مع كل تلك الجلبة؟

"بلى، بالطبع. فهو أعز صديق لي. ونحن معاً منذ أربع عشرة سنة. هذه في الواقع أطول صداقة لي على الإطلاق، وهي الأفضل" قالت ذلك بفخر.

"والآن أصبح هناك موضوع ينبغي عليّ اكتشافه في وقت ما، حين لا تكونين متعبة إلى هذا الحد. إتصلت في الواقع لأطمئن على حالك بعد التصوير، ولأسألك إن كنت تريدين تناول العشاء برفقتي غداً مساءً". لقد كان مصمماً على رؤيتها مجدداً قبل مغادرتها إلى باريس، فهي لم تكن لتغيب عن باله أبداً منذ لحظة تعرّفه بها. ثم سألت وقد فتحت عينيها: "أي يوم يكون غداً؟" وكان فكرها كصفحة بيضاء. لقد كانت حقاً متعبة إلى ذلك الحد.

"إنه الثاني والعشرين. أعلم أنني لم أعطكِ مهلة كافية. لكنّ أسبوعي كان حافلاً، وكان لديّ غداً موعد مع زبون سرّني جداً أنه ألغاه" كان يمضي معظم لياليه في دعوة الزبائن، وكان دائماً يتحمس لفكرة إمضاء ليلة خاصة.

"يا للأسف"، قالت حين تذكرت فجأة "لا أستطيع، آسفة"، ومن ثم قررت أن تشمله في مشروعها. فصحيح أنه قد يبدو غريباً بعض الشيء وسط المجموعة لكنها كانت ستستمتع بذلك طالما أن لا مانع لديه في ذلك. "لقد دعوت ضيوفاً إلى العشاء، ويكون الجو دائماً غير رسمي هنا. فقد خطّطت لهذا المشروع في الأسبوع الماضي. سيأتي بعض أصدقائي الموسيقيين من براغ مع مجموعة من الفنانين الذين لم أرهم منذ عصور. كما وسوف يأتي أيضاً أحد المحررين في المجلة ولم أعد أتذكر من بعد. سأعدّ لهم فقط طبقاً من الباستا وسلطة".

"لا تقولي لي إنك تطهين أيضاً". وقد بدا مندهشاً حقاً.

فضحكت قائلةً "ليس إن كان بإمكاني تدبر أمري بطريقة أخرى. سيأتي من يقوم بذلك" وهذه المرة كان جمال وليس الطهاة. وكانت قد قالت للجميع إنه إن لم يكن الحرّ شديداً، فقد يكون العشاء في حديقتها. ففي ليالي الصيف الحارة، كان ذلك مريحاً ولطيفاً وكان جمال بارعاً في إعداد الباستا. وهو كان يريد إعداد الباييلا، لكنها لم تكن تثق بمذاق ثمار البحر في الجو الحار، وكان ذلك تفكيراً حكيماً، فطلبت منه إذاً تحضير الباستا. وبوجود الشراب لا يعود إجمالاً أحد ليفكر بالطعام. "أترغب في الحضور؟ ارتدِ فقط جينزاً وقميصاً. لست مضطراً لوضع رباط العنق". ولم يكن بإمكانها تصوره بلا رباط العنق.

يبدو الأمر ممتعاً، هل تقيمين الدعوات غالباً؟".

"حين يكون لديّ الوقت الكافي لذلك، وأحياناً حين لا يكون كافياً. فأنا أحب رؤية الأصدقاء، وهناك دائماً من يكون منهم ماراً في المدينة. وأنت هل تقيم الدعوات يا جون؟" فهي لم تكن تعرف بعد كيف كانت حياته الخاصة، ما عدا معرفتها أنه يحب السفر مع ابنتيه. فهو لم يكن قد تكلم كثيراً عن الباقي.

"في إطار العمل فقط وفي المطاعم. ولكنها واجبات أكثر مما هي ترفيهية. لم أقم دعوة عشاء منذ وفاة زوجتي. فهي كانت تحب إقامة الدعوات". كان ذلك قاسماً مشتركاً بينها وبين فيونا، إلا أنّ طبيعتهما كانت مختلفة كل

الاختلاف. كانت آن أندرسون قد أقامت دعوات عشاء لاتقة لأصدقائهم في غرينويتش. وهما لم ينتقلا إلى المدينة إلا بعد أن أصابها المرض، لأنه كان من الأسهل لها أن تقيم بالقرب من المستشفى الذي تتلقى فيه علاجها. وقد كانت مريضة بمكان حينها لتتمكن من استضافة أحدهم. كانت قد أمضت السنتين الأخيرتين من حياتها في شقتهما الحالية، مما جعل الشقة مكاناً مظلماً وقاتماً بالنسبة له الآن. لكنه لم يُطلع فيونا على ذلك". من الصعب على المرء الاستضافة حين يكون عازباً"، قال ذلك متذمراً، ومن ثم شعر بغباوة ما قاله للتوّ. فقد كانت هي أيضاً عازبة، ولطالما كانت كذلك، ولا يبدو أن ذلك كان يحول دون إقامتها الدعوات. فلا شيء يمنع فيونا من تحقيق مبتغاها وهو كان يحب ذلك فيها.

"عليك أن تبتعد عن التعقيد والرسميات من هذه الناحية. فالناس لا يتوقعون الكثير اجتماعياً وبالتالي فأي شيء تقوم به من أجلهم قد يبدو لهم رائعاً. حتى أنهم أحياناً، كلما قلّلت من مجهودك كلما ازدادوا إعجاباً بما تقوم به". كانت فيونا تقوم بأكثر مما تعترف به، لكنها كانت تجعل الأمر يبدو وكأنه لا يتطلب جهداً كبيراً وكأنه وليد ساعته. وكان في الواقع هذا جزءاً من الرونق الذي تخلقه في دعواتها. "هل ستأتي إذن للعشاء غداً؟" سألته آملةً أن يأتي، إلا أن المجموعة التي دعتها كانت منتقاة أكثر من المعتاد، وتساءلت إن كان ليجدهم غريبي الأطوار أو غير اعتياديين.

"أود ذلك، متى تريدينني أن أحضر؟" وقد وبدا متحمساً.

"عند الثامنة. سأكون في اجتماعات حتى السابعة. عليّ أن أسرع جداً لأصل إلى البيت قبل الضيوف. ولم يكن ذلك أيضاً بالأمر الغريب.

"هل بإمكاني إحضار أي شيء؟". عرض ذلك عليها محاولاً أن يقدم لها العون مع أنه كان واثقاً من أنها قد وضّبت كل شيء. لم تكن فيونا ممن يتركون ولو أبسط التفاصيل للحظة الأخيرة. فهي لم تصل إلى ما هي عليه الآن بكونها غير نظامية أو غير دقيقة.

"إحضَر أنت فقط. أراك إذاً غداً مساءً".

فقال برفق "عمت مساء" ثم أنهيا المكالمة. إرتدت بعد ذلك قميص النوم ونظفت أسنانها وهي تفكر به. لقد كان يعجبها وشعرت نحوه بانجذاب لا ينكر، مع أنه كان يختلف كلياً عن أي رجل آخر جذبها. فهي كانت قد خرجت برفقة بعض الشبان، تلاميذ المدرسة الإعدادية المحافظين في صباها. لكن في الأعوام الأخيرة، كانت تتجنب إجمالاً إلى الفنانين المبدعين، الذين كان ينتهي الأمر معهم دائماً بكارثة. لعله كان وقت التغيير. وهي كانت لا تزال تفكر به حين تسللت إلى السرير بالقرب من السيد وينستون، الذي استدار وأصدر أنيناً وراح يشخر أقوى من أي وقت مضى. كان ذلك صوتاً مألوفاً ولطالما كان بمثابة تهويد يحثّها على النوم. فغفت مباشرةً إلى أن رنّ المنبه عند السابعة.

أخرجت وينستون إلى الحديقة لبضع دقائق، ثم استحمت وطالعت الصحيفة وارتشفت قهوتها وارتدت ملابسها، وغادرت إلى العمل. وكان هذا يوماً آخر طويلاً في شيك. أمضت معظمه مع أدريان، تحل المشاكل وتشرف على الصور التي التقطوها الأسبوع السابق. لم يكن بوسعها الانتظار لرؤية تلك التي التقطها هنريك زيف. كانت تعرف أنها ستكون رائعة. كان أدريان قادماً إلى العشاء تلك الليلة لكنها لم تخبره أن جون أندرسون سيكون هناك، إذ عرفت أنها لو فعلت، قد يعلق على الموضوع ويتساءل عن سبب دعوتها له في الوقت الذي لم تكن هي نفسها متأكدة من الجواب. كانت لا تزال بحاجة إلى بعض الوقت لاكتشاف ذلك، كما وأنها لم تشأ أن تزيد من حجم المسألة. فقد يتضح في النهاية أن ذلك مجرّد إعجاب متبادل لن يقود إلى أي مكان. أو على الأرجح سيكونان صديقين فقط، وربما لا. فهُما كانا مختلفين تماماً وبالتالي فإن إمكانية حدوث أي شيء من ذلك بينهما بدت تتراوح ما بين الضئيلة والمعدومة بالنسبة لها. قد يقود على الأرجح أحدهما الآخر إلى الجنون. من الأفضل لهما أن يظلاّ صديقين. وهي كانت لا تزال تقول ذلك لنفسها حين عادت إلى منزلها في تلك الليلة ووجدت جمال يخلط السلطة في

المطبخ ويعدّ الخبز بنكهة البصل. وكان قد أعدّ أيضاً الكانابيه فتذوقت واحدة منها حين دخلت. وهو كان يرتدي بنطلوناً قرنفلي اللون وصندلاً ذهبياً هندياً في حين كان عاري الصدر. كان معظم أصدقائها معتادين على ملابس جمال الغريبة، وكانت تعتقد أنها كانت تضفي على أمسياتها أجواء الاحتفال. إلا أنها كانت تتساءل عن ردة فعلهم حول عدم ارتدائه قميصاً.

فقالت له، "ألا تعتقد أن لباسك غير رسمي ومبالغ فيه؟" سألت ذلك وهي تتذوق صنفاً آخر من المقبلات وقد كانت لذيذة.

فأجاب وهو يضع الخبز في الفرن، "الجو حار جداً لارتداء أي شيء" ولاحظت على ساعة المطبخ أن ليس لديها سوى أربعين دقيقة لترتدي ملابسها.

"حسناً يا جمال، اكتفِ بالبنطلون، فزيك جميل. أعجبني الصندل بالمناسبة، من أين ابتعته؟" فهي كانت قد رأت مثله مرة، لكنها لم تعد تذكر أين؟ "إنه لَكِ، وجدته في خلفية الخزانة وأنت لا تتعلينه أبداً ففكرت في أن أستعيره لليلة، أتمانعين؟ وقد بدا حينها بريئاً لا يعرف الخداع فحدقت إليه وضحكت.

"شعرت أنّ الصندل مألوف، والآن وقد فكرت بالموضوع أعتقد أنه يزعجني فاحتفظ به إن أردت، فهو يبدو أفضل عليك". وكان هذا الأخير عينة من مجموعة بلاهنيك مصنوعة منذ سنوات خصيصاً للتصوير. فشكرها بلطف وهو يسكب صلصة السلطة على ورق الخس، في حين سارعت هي إلى الطابق العلوي.

وبعد نصف ساعة، عادت إلى الأسفل مرتدية بنطلوناً أبيض حريرياً وقميصاً رقيقاً ذهبياً وكانت تضع أقراطاً ماسيّةً ضخمةً على شكل دائرة وتنتعل صندلاً ذهبياً بكعب عال وكان شعرها منسدلاً على ظهرها في ضفيرة مكتنزة. كادت تبدو مع جمال كثنائي منسجم. أما هو فكان قد وضع الصحون والفوط والسكاكين على المائدة في الحديقة وكانت هناك شموع وزهور في كل مكان.

www.rewity.com dodyadodo

وزّعت فيونا بعض الوسائد المريحة والضخمة في أرجاء المكان في حال أراد بعض الموجودين الجلوس على الأرض، وما أن عبر الضيف الأول الباب حتى أدارت الموسيقى وكانت تكاد تنسى من دعت، فألقت نظرة على اللائحة في الطابق العلوي. لقد كانوا المدعوين المعتادين غير العاديين، فنانين وكتّاب، ومصورين، وعارضات، ومحامين وأطباء والموسيقيين الذين قدموا من براغ، وكان هناك أيضاً برازيليّان تعرّفت بهما مؤخراً وإيطاليّان وسيدة كان قد أحضرها معه أحدهما وتتكلم الفرنسية. وللصدفة السارة اكتشف أحد الموسيقيين أنها تتكلم أيضاً التشيكوسلوفاكية. قالت إن والدها كان فرنسياً، وأمها تشيكية. لقد كان الحضور يشكل مزيجاً مثالياً. وفيما كانت فيونا تنظر من حولها إلى ما يقارب الأربعة والعشرين مدعواً في حديقتها، رأت جون فجأة يجول في غرفة الجلوس مرتدياً بنطلون جينز أملس وقميصاً أبيض. كان ينتعل حذاءً شبيهاً بالموكاسان من مجموعة هرمز، من دون جوارب. بدا مظهره ممتازاً تماماً بقدر ما كان كذلك في البذلة. وعلى الرغم من نقص الابتكار في انتقائه للملابس، أحبت فيونا مظهره. لقد بدا لها بالغ الرجولية وأنيقاً ونظيفاً ومرتباً، ووجدت كل ذلك جذاباً إلى حد ملفت. وحين قبلها على خدها أعجبتها أيضاً رائحة عطره في حين أبدى هو أيضاً إعجابه بعطرها. فقد كان ذلك العطر نفسه الذي تستعمله منذ عشرين عاماً وهي كانت قد أوصت بصنعه لها خصيصاً في باريس. لقد كان عطراً مميزاً وبالتالي فكل من عرفها كان يعرف عطرها وكان الناس دائماً يعلقون عليه. فقد كان بارداً ودافئاً في آنٍ معاً يخالجه أريج حاد بعض الشيء وهي كانت تحبّه لأنه خاص بها ولا اسم له. فقد سماه أدريان عطر فيونا، وهي كانت قد أوصت بتركيب عطر خاص به أيضاً. وهو كان هناك تلك الليلة أيضاً وكان يراقبها حين دخل جون. فقدمت أحدهما إلى الآخر، وأخبرت فيونا جون أن أدريان كان أهم محرر في شيك.

وفيما كان أدريان يقود جون إلى الداخل، قال مازحاً ليغيظ فيونا "إنها تغويني بالإطراء عوضاً عن إعطائي علاوة". وتماماً كفيونا، أحب أدريان ما

بدا من جون. أحب مظهره وثقته بنفسه واستطاع أن يرى أن ذلك كان يعجبها أيضاً. فهي كانت تقف بالقرب من جون بينما كان الآخرون يجوبون المكان. فقدمته إلى المجموعة كلها.

بعد أن انتقل أدريان ليتكلم مع أحد التشيكيين قال لها في لحظة هدوء، "هذه مجموعة كبيرة من الحضور".

"تبدو الليلة أغرب من المعتاد لكنها مسلية. الدعوات الرسمية أقيمها أكثر في الشتاء. أما في الصيف فمن الممتع أن يكون المرء أكثر جنوناً بعض الشيء". فهز برأسه موافقاً إياها الرأي، مع أنه لم يذهب قط من قبل إلى عشاء كهذا. بدا منزلها جميلاً، ودافئاً ومرحّباً، وبدا وكأنّ هناك مليون كنز صغير موزع في كافة أرجائه، بالأخص، تلك الأشياء التي كانت قد جلبتها معها من أسفارها. ثم بدا جون وكأنه يبحث عن شيء حين استدار فجأةً نحوها.

"وأين المنشار الكهربائي؟".

"أي منشار كهربائي؟".

"ذاك الذي كان يشخر في سريرك البارحة".

"السيد وينستون؟ إنه في الطابق العلوي. فهو يكره الضيوف ويعتقد أن هذا منزله. أتود مقابلته؟" وسرّها سؤاله عن السيد وينستون وكان ذلك بمثابة نقطة لصالحه.

هل سيمانع؟" وبدا قلقاً بعض الشيء.

"بل سيشرفه ذلك" وكانت هذه حجة جيدة ليرى جون سائر أرجاء المنزل. كانت غرفة الجلوس وغرفة الطعام والمطبخ في الطابق السفلي، في حين كانت هناك في الطابق العلوي مكتبة حميمة وغرفة للضيوف بالقرب منها. الألوان التي اختارتها كانت كلها دافئة. لون الكاراميل والشوكولا الضاربيْن إلى البياض مع القليل من الأحمر لإضفاء بعض الدفء. بدت وكأنها تفضل القماش السويدي المزأبر والحرير والفرو. وكانت الستائر من الحرير

الصوفي الرائع المزركش بالأحمر. أما غرفة النوم وغرفة الملابس فكانتا في الطابق العلوي مع مكتب صغير كانت تستعمله حين تعمل في المنزل، ونادراً ما كان يحصل ذلك. هكذا كان المنزل المثالي بالنسبة إليها. كما وقد كانت أيضاً في الطابق العلوي، غرفة أخرى حولتها إلى خزانة حين انتقلت إلى المنزل.

ما أن بلغ جون منتصف الدرج، حتى بدأ يسمع الشخير القوي. وحين دخلا غرفتها، التي كانت كلها لا سيّما حيطانها باللون الصوفي، رأى جون الكلب على السرير. لقد كان السيد وينستون نائماً ولم يحرّك ساكناً. ربتت فيونا عليه برفق، فرفع رأسه أخيراً بجهد جهيد وأصدر عنيناً وحدق إليهما، وما هي بالتالي إلاّ لحظة حتى عاد وألقى رأسه مجدداً على السرير وأغمض عينيه. لم يقم بأي محاولة ليقدم نفسه إلى جون وبدا غير مهتم إطلاقاً للأمر.

فابتسم جون قائلاً، "يبدو كعجوز محترم جداً، ويبدو غير قلق بشأن وجود رجل غريب في غرفتك". لقد كان حقاً كلباً عجوزاً ومسلياً. ثم راح يشخر بقوّة من جديد وهما واقفان هناك. كان يلقي رأسه على وسادتها وإلى جانبه أحد ألعابه المفضلة.

"هو يعلم أنه رب المنزل وأن ليس لديه إطلاقاً ما يقلق بشأنه. هذه مملكته، وأنا خادمته".

"يا له من محظوظ حقاً"، قال جون مبتسماً ومجيلاً نظره في كافة أرجاء الغرفة. فكانت هناك بعض الصور الموضوعة في إطارات من الفضة، وكانت تلك صور فيونا مع المشاهير والشخصيات السياسية، وبعض الممثلين المشاهير ورئيستَيْن للجمهورية، وأشارت لجون إلى أحدها قائلة إنها المفضلة لديها وكانت في الواقع صورتها مع جاكي كينيدي حين بدأت عملها في شيك. وعلى الرغم من ديكور غرفتها البسيط فقد كان هناك ثمة شيء أنيق وأنثوي فيها. فهي كانت تتميّزُ بأسلوبها الفني الصامت إنما الواضح في آنٍ معاً، وكان من الواضح أيضاً عدم إقامة أي رجل فيها إطلاقاً. فهي لم تتشارك المنزل قط

مع أي كان، ما عدا السيد وينستون. "أعجبني منزلك يا فيونا. إنه **حميم ومريح** وأنيق ومميّز مثلك تماماً. أراه يعكس شخصيتك في كافة أرجائه".

"أحبّه" قالت وهما يغادران غرفتها، ثم نزلا الدرج لملاقاة **الضيوف**. كانت حيطان مكتبها الصغير مطلية بورنيش اللّك الأحمر، وكراسيه من طراز لويس الخامس عشر ومنجدة بجلد الحمار الوحشي المخطط الأصلي، وكانت هناك أيضاً سجادة جميلة من جلد الحمار الوحشي على الأرض. أمّا على الحائط، فكان رسم صغير لها من تنفيذ فنان شهير. لم يكن هناك أي شيء يوحي بوجود رجل في أي زاوية من زوايا المنزل. وحين عادا إلى الطابق السفلي، وقف أدريان مراقباً إياهما وابتسم. كان يرتدي قميصاً وبنطلون جينز أبيضين وصندلاً أحمر من جلد القاطوري صنعه له مانولو بلاهنيك بمقاس أربعة عشرة.

سأل أدريان باهتمام، "هل قمتما بجولة في المنزل؟".

فشرحت له فيونا قائلةً، "عرّفته بالسيد وينستون". ثم أعلن جمال أن العشاء حاضر بواسطة جرس تيبتي جميل الرّنين. كان كل ما يتعلق بفيونا ومحيطها غريباً؛ من مدبر منزلها في لباسه الصيفي وصولاً إلى أصدقائها. وكذلك الأمر أيضاً بالنسبة إلى منزلها وكلبها، على الرغم من كونهما تقليديين بعض الشيء. قليلة كانت الأمور التقليدية، أو الأمور التي يسهل التنبؤ بشأنها، وهي كانت تحب ذلك وكذلك جون. فهو أدرك في أيام قليلة أنها كانت أكثر النساء جاذبية على الإطلاق بين اللواتي قابلهنّ في حياته. كان يظنّ أن أناقتها تفوق أي أناقة رآها مجتمعة في إنسان واحد وكان أدريان شأنه شأن غالبية الناس يوافقه الرأي في ذلك.

"وما كان رأيه فيه؟" سأل أدريان بجدية فيما كان جون يستمع فرحاً إلى الحديث الذي يدور بينهما. فهو أيضاً كان قد أعجب بمحررها، إذ بدا له غريب الأطوار وخلاقاً، ومن خلال حديثه معه تبيّن له أنّه رجل مميّز وذكي، على الرغم من غرابة ذوقه في انتقاء الأحذية الشديدة الزخرفة.

"وجده رائعاً بالطبع"، أجابت فيونا عوضاً عن جون مبتسمةً لهذا الأخير.

"أنا لم أقصد جون. فبالطبع سوف يجد جون السيد وينستون رائعاً؛ فهو لن يخبرك أنه يجده كلباً مدللاً جداً وعجوزاً تفوح منه رائحة كريهة. أنا كنت أقصد ما كان رأي السيد وينستون بجون، هل أعجبه؟".

قاطعهما عندئذٍ جون مبتسماً، "لا أظن أن الفكرة قد أعجبته. لقد غفا خلال المقابلة بأكملها وكان شخيرهُ مزعجاً".

فطمأنهما عندئذٍ أدريان مبتسماً، "هذه علامة جيدة"، وبعدها انتقل نحو الطعام. كانت هناك أربعة أصناف من الباستا في أطباق ضخمة من الفخار وثلاثة أنواع من السلطة وكانت رائحة الخبز بنكهة البصل شهية. بالكاد كان قد بقي القليل من المقبلات الكثيرة التوابل حين وصل جون وفيونا إلى المائدة التي أعدها جمال في الحديقة، وكانت زهور الغارديني التي زين بها جمال المائدة تبعث عطراً رومنسياً حين التقط جون واحدة منها وشبكها بضفيرة فيونا.

"شكراً لكونكِ دعوتني. فأنا مسرورٌ بوجودي هنا". شعرَ تلك الليلة وكأنه دخل عالماً سحرياً، وهذا ما كان قد حصل بالفعل، إذ أنه كان قد دخل عالم فيونا. فهو كان يراها كالأميرة التي تُخضع الجميع لتأثيرها، وكان بإمكانه تنشّق عطرها من خلال مسامه، عطر يضعفه ويمده بالقوة في آن معاً. وكاد رأسه يبدأ بالدوران من شدّة تأثيرها عليه، ورغماً عنها كانت هي أيضاً قد بدأت تشعر بالميل نحوه. وهي لم تكن تشاء ذلك حقاً، لكنها بدأت تشعر بانجذاب لا يقاوم نحوه. جلسا على المقعد الحديدي عينه فيما كانا يتناولان العشاء ويتحادثان بهدوء وكان أدريان يراقبهما من غرفة الجلوس باهتمام. فهو كان يعرفها جيداً وقد أدرك بالتالي أن فيونا معجبة حتماً بجون، وكذلك هو. فقد بدا له هذا الأخير مفتوناً بها تماماً، ومَن الذي لا يُفتَن بها؟ فقال أدريان لمُصوّر كان قد لاحظ ذلك أيضاً إنهما يشكلان ثنائياً رائعاً إلا أنهما مختلفان. فكان كلاهما يعلم أن فيونا لم تكن على علاقة بأحد منذ سنتين تقريباً، وإن كان

هذا ما تريده، فهما سعيدان من أجلها. فهي لم تكن قد أخبرت أدريان أي شيء عن الموضوع بعد، لكنه كان يعرف أنها ستفعل قريباً في حال صحّت تَوقّعاته. ثم خالجه شعور بأنهم سيرون جون أندرسون باستمرار، وأمل ذلك من أجل فيونا، إن كان هذا ما ومَن تريده، بغض النظر عن مدة دوام العلاقة. فقد كان كلاهما يعلم أن كلمة إلى الأبد كلمة خارج إطار مخططاتها. ولكنْ سنة أو سنتيْن كانتا لتناسباها جيداً.

لطالما فكّر أدريان بسوء حظها في الحياة كونها وحيدة، على الرغم من أنها كانت دائماً تدّعي أنها تحب وضعها ذلك. لكنّه لم يكن ليصدقها قط، لا بل كان يشك أنها تشعر بالوحدة أحياناً، الأمر الذي جعلها تتعلّق بكلبها السخيف والعجوز. ففي الواقع، حين كانت فيونا تعود إلى المنزل مساء، لم يكن لديها أحد سواه، باستثناء جمال. كانت تقيم حفلات رائعة، وكان لديها أصدقاء مثيرون للاهتمام، وبعضهم كان ذا ولاء لها. لكن لم يكن لديها أحد يشاركها حياتها. لطالما كان أدريان يرى أنها من الخسارة ألا تجد امرأة رائعة مثلها، الرجل المناسبَ لها. ثم وجد نفسه فجأة يأمل أن يكون جون هو الرجل المناسب لها. كان جون أحد آخر الضيوف الذين غادروا تلك الليلة، لكنه لم يجد من اللائق أن يكون الأخير. وكانت حينها الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تقريباً، حين شكرها على الأمسية الرائعة وقبّلها على وجنتها.

"إستمتعتُ كثيراً بوقتي، فيونا. شكراً لأنك دعوتني. أرجوك أبلغي احترامي للسيد وينستون. كنت لأصعد إليه الآن وأودّعه، لكنني لا أريد إزعاجه. أبلغيه تحياتي واشكريه على استضافته لي". قال ذلك ممسكاً بيدها برقة وهي تقوده نحو الباب. فابتسمت له وأصبح لديها نقطة ضعف جمالة لأنه أدرك أهمية ذلك الكلب لها. كان معظم الناس يجدونه وحشاً غبياً وعجوزاً، تماماً كما كان يراه أدريان، لكنه في الواقع كان يساوي العالم كله بالنسبة إليها. فالسيد وينستون كان الكائن الوحيد الذي تحبّه، ولهذا السبب كانت مَعزّته عندها كبيرة.

فأجابت فيونا "سأحرص على إبلاغه ذلك"، ثمّ قبّل جون وجنتها برقة ثانية وغادر. تمكّن هذه المرة من تنشق شذا الغاردينيا الذي يفوح في شعرها. فكان لعطرها تأثير يخطف الأنفاس وهو يتمازج مع عطر "فيونا"، ولكن بالنسبة إليه، بدا كل ما يتعلق بفيونا خاطفاً للأنفاس، وهو لم يكن في الواقع يرغب بالرحيل. فقد كان ذلك بالنسبة إليه بمثابة الرحيل عن عالم الروائع. فراح يتساءل ما إذا كان ليراها مجدداً بعد عبوره الجسر الذي يوصله إلى عالم الواقع. فالعالم الوحيد الذي يبدو حقيقياً الآن في نظره هو عالمها، وهو العالم الوحيد الذي كان يريده.

ثم همس لها كي لا يسمعه أحد قائلاً، "سأتصل بك غداً". فهزت برأسها مبتسمة ثم عادت إلى ضيوفها الآخرين وهي ما زالت مبتسمة لمجرد التفكير فيه. لكنها كانت لا تزال في صراع مع نفسها؛ فقد كانت منجذبة نحوه وخائفة في الوقت نفسه. وفي النهاية، وكالعادة، كان أدريان آخر المغادرين. إذ لم يتمكن من مقاومة رغبته بأن يغيظها بشأن جون.

"أنت تقعين في الحب بقوة، أيتها الآنسة موناغان، وبسرعة تماماً مثل وقوع حجارة القرميد. ولكن هذه المرة الأولى التي أوافقك فيها الرأي. إنه رجل محترم وذكي ومسؤول ولديه عمل ولطيف ووسيم ومغرم من رأسه حتى أخمص قدميه أو أنه سيكون كذلك قريباً. إنه على الدرب الصحيح". كان أدريان مسروراً من أجلها، وقد وافقها الرأي من كل قلبه.

فقالت محاولة أن تبدو أكثر عقلانية مما كانت حينها، "كلا، ليس كذلك. لا يعرف أحدنا الآخر بعد. لقد تقابلنا الأسبوع الماضي فقط". فهي لم تكن تريد أن يعرف أدريان مدى إعجابها بجون. فمَن يدري إلى أين قد يصل بهما الأمر؟ ثم قالت في نفسها، ربما قد لا نصل إلى أي مكان. وكانت تحاول تَقَبّل هذا الاحتمال ببرودة.

"ومنذ متى تتطلّب هذه الأمور وقتاً طويلاً؟ حين يكون الأمر جيداً فهو لا يتطلب وقتاً أبداً. يدخل الرجل المناسب قلبك دون استئذان، يا فيونا، فتعرفين

أنه المناسب في لحظات. إنما يطول بك الأمر حين تكونين محتارة بشأن الرجل غير المناسب. فالرجل المناسب يفرض نفسه عليك بسرعة. على أي حال لدي شعور مُطَمئن حيال هذا الرجل. والآن لا تهرعي إليه خائفة وتخبريه أنك تريدين البقاء وحيدة. أعطي الرجل على الأقل فرصة".

فقالت فيونا بطريقة غامضة "سنرى ما قد يحصل" وكان جمال يطفئ حينها كل الشموع ويجمع الأطباق والأكواب عن المائدة في الحديقة. لقد كانت الأمسية ناجحة جداً كالعادة، إنما أنجح من أي وقت مضى بالنسبة لها. لقد كانت جميلة ومريحة خصوصاً بوجود جون معها. وقد أبدى هذا الأخير تأقلماً ملحوظاً وغير متوقع مع ضيوفها. فكان ودوداً ومرتاحاً مع الجميع.

"لا يمكنك العيش برفقة رجل في هذا المنزل"، قال لها أدريان ناصحاً، فهو يعكس شخصيتك وَحدكِ بشكل ملحوظ، ولن يشعر بالتالي أي رجل بالارتياح إن انتقل للعيش هنا".

"لم أدعه للعيش هنا. ولن أعيش أنا في أي مكان آخر، فهذا بيتي. بالإضافة إلى ذلك، ألا تعتقد أنك تستبق الأمور قليلاً؟" ثم حاولت الادّعاء أنها تنهر أدريان لكنها لم تتمالك نفسها وضحكت قائلة، "السيد وينستون وأنا مسروران جداً هنا بمفردنا".

"هذه أكاذيب. أنتِ تشعرين بالوحدة كما يشعر بها الجميع. كلنا كذلك. قد تكونين مميّزة فيونا موناغان، لكنكِ من البشر أيضاً. قد يفيدك العيش مع رجل. وأنا أُصوّت لجون. يبدو أنه يحب العلاقات الطويلة برأيي". فأخافها هذا، لكنها لم تعترف به لأدريان، مع العلم أنها كانت من رأيه.

"لن يحتمل السيد وينستون ذلك، وسيعتبره خيانة له. كما وأنني لن أتمكن من التخلي عن المساحة التي أضع فيها ثيابي. أنا لم أقابل يوماً رجلاً يستحق أن أتخلى عن خزانتي من أجله". قالت ذلك بعناد، لكن كلاهما كان يعلم أن ذلك غير صحيح. فهي كانت في السابق تحب قائد الفرقة الموسيقية كثيراً، وقد هجرها في النهاية من أجل امرأة أخرى لأنها رفضت أن تتزوج منه؛ وكذلك

الأمر أيضاً بالنسبة إلى المهندس الذي أحبته والذي أراد أن يطلق زوجته من أجلها. مشكلة فيونا هي أنها كانت دائماً مرعوبة من فكرة الزواج أو حتى من فكرة التعلق برجل ما. فهي لم تكن تريد أن يهجروها، مع العلم أنها كانت تعرف أنهم سيفعلون ذلك جميعهم. إن فكرة والدها الذي تخلى عنها وفكرة زوجيْ أمها السيئين اللذين رأتهما يدخلان حياتها ثم يهجرانها، قد حملتا فيونا منذ سنين على عدم الوثوق بأي رجل على الإطلاق. كان أدريان يعلم أنها إن لم تفسح في المجال يوماً، فقد ينتهي بها الأمر وحيدة بالفعل وبدا ذلك برأيها قدراً منطقياً، ولم يكن ذلك حال أدريان. فهي كانت تتقبل مصيرها هذا وتتشبث به، لا بل تصرّ على كونها أكثر سعادة بمفردها.

فحذّرها أدريان وهو مغادر، "لا تكوني حمقاء". وكان جمال قد غادر حينها "تنازلي قليلاً هذه المرة، يا فيونا. أعطِ الرجل فرصة".

"بلغتُ سناً لا تسمح لي بالتنازل". كان هذا جوابها، وربما كان جواباً صريحاً، إنما على أي حال، كان هذا ما تعتقده هي.

"إذاً بيعي هذا المنزل وانتقلي للعيش معه، أو ابتاعا منزلاً ما. ولكن لا تتخلّي عن رجل صالح من أجل منزل رَملي ومهنة وكلب".

"هناك العديد من النساء اللواتي تخلين عن الرجال لأسباب أحقر من هذه يا أدريان، كما وأنني لم أخرج مرة معه بعد في موعد كمتحابين ولعلي لن أفعل أبداً".

فأكّد أدريان بهدوء "ستفعلين"، وكان قلقاً بشأنها. "أعدك أنك ستفعلين. هذا الرجل مناسب. آمل ألا تفوتي الفرصة هذه المرة". فهي لطالما فعَلَت ذلك، أو أنه لطالما اعتقد أن هذا ما فعلته. وكل ما استطاع أدريان أن يتمناه وهو يدخل سيارة الأجرة مسارعاً إلى المدينة، كان أن يخسر الكلب هذه المرة ويكسب الرجل، وهو كان ليراهن على فوز جون.

الفصل الثالث

إتصل بها جون في الصباح التالي للعشاء ليشكرها مجدداً على كونها قد ضمّته إلى لائحة مدعوّيها، لكن لم يكن لديها سوى بضع دقائق تمضيها معه على الهاتف. فهي كانت غارقة في مشاغلها وكان من المفترض بها أن تغادر إلى هامبتونز بعد ظهر ذلك اليوم، لتمضي بعض الوقت مع الأصدقاء ثم تسافر بعد ذلك إلى باريس. قالت إنّ عليها إنجاز ملايين الأعمال، وحين دعاها للعشاء، قالت إن لا وقت لديها لرؤيته قبل سفرها، وقد كان ذلك صحيحاً بعض الشيء. فقد كان بإمكانها تعديل بعض المخططات من أجله، لكنها لم تجد ذلك فكرة جيّدة. لقد كانت تبذل كل ما في وسعها لتقاوم انجذابها القوي تجاهه، ولم ترد أن تتطور الأمور بينهما على نحو سريع. فهي كانت لا تزال غير واثقة من رغبتها في الاستسلام لمشاعرها. فلطالما كانت الالتزامات العاطفية خطرة، وقد كانت بالتالي تتّقي شرها؛ وإن كان أي شيء ليحصل بينهما، فقد أرادته أن يتطور ببطء لتحظى بالوقت الكافي للتفكير. هي لم تكن في الواقع على عجلة من أمرها في الالتزام بأي تطور معه، بغض النظر عن جاذبيته، ولا يمكن إنكار أنه كان جذاباً جداً، أو حتى بالغ الجاذبية. كانت غير واثقة من مشاعرها نحوه، وقد كانت مشاعرها تلك قوية وتكاد لا تقاوم بحيث جعلتها ترغب في التهرّب.

فأجابها بعقلانية قائلاً، "في هذه الحال، أنتِ لا تتركين خياراً أمامي".

"بأي شأن؟" سألت وقد بدت عندها متفاجئة ومشوشة الأفكار. كان لديه تأثير قوي عليها وكان يجعلها تشعر بفقدان السيطرة على نفسها، الأمر الذي كان يخيفها.

www.rewity.com dodyadodo

"بشأن مقابلتك. أظن أنني سأقبل عرضك بأن تقدمي لي بطاقةً لحضور أحد عروض الأزياء. لدي اجتماعات في لندن في أول الشهر ويمكنني بالتالي أن أسافر من هناك إلى باريس متأخراً بعض ظهر اليوم نفسه. هل هنالك عرض يمكنني حضوره حينها؟ لكن فقط إنْ لم يكن ذلك يزعجك". فهو لم يكن يريد أن تنفر منه، لكنه أراد رؤيتها ثانية، وكانت زيارة باريس تهمّه. فقد صعقها عرضه.

"هل أنت جدّي؟" وبدت شديدة الدهشة.

"أنا كذلك. ولكنْ هل يتناسب هذا ومخططاتك؟"

"في الواقع، قد تجد ذلك ممتعاً".

كانت تحاول هنا أن تبدو كمحاضرة في معرض للفنون أكثر منها كامرأة يلاحقها، وذلك فقط من أجل الحفاظ على سلامها الداخلي. فقد كانت تعرف أنها سترتعب لو فكرت بالأمر ملياً من ناحية أخرى. لقد كان ذلك بمثابة تهديد تقريباً. فهي كانت شديدة الانجذاب نحوه وكان يبدو رجلاً طيباً، لا تشوبه شائبة، ولا عيب في شخصيته، ولم يتكلم قط أحد عليه أمامها بالعاطل. كل هذا كان مطمئناً بالنسبة إليها ولكن وعلى الرغم من ذلك كله فهي لم تكن لتعرض عليه مساحة في خزانتها، كما اقترح أدريان. كل ما كانت ستقوم به، هذا إن كان جدياً بشأن زيارته لباريس، هو أن تعرض عليه بأن تحجز له غرفة في فندق ريتز، وهو بالتالي كان ليحظى بالعديد من الخزانات الخاصة به وحده.

"سيكون هناك عرض لديور في الليلة الأولى من الشهر، وهو الأفضل من الناحية المسرحية والمشهدية. أخالك ستستمتع به مع أن ملابسه قد يكون من الصعب على أي كان ارتداءها. أما غالينو فهو ينجز عروضه في أماكن مميّزة، وتكون ملابسه إجمالاً خلابة. وإن تود أيضاً، بإمكاننا أن نحضر عرض أزياء لاكروا في اليوم التالي، وهو دائماً جميل وبمثابة منحوتة حية. سأحجز لك مقعداً للعرضين. ثم سيكون هناك احتفال كبير ليلة عرض ديور، أتود حضوره؟".

"أود حضور كل الاحتفالات التي تختارينها، ولكني لا أريد أن أكون دخيلاً يزعجك يا فيونا. أعلم أنه عليك أن تعملي ولا أريد إعاقتك. لكني أود حضور أيّاً مما ذكرته لي للتوّ أو حتى كلها إن أردت. سآخذ عطلة لبضعة أيام بدءاً من اليوم الرابع في الشهر، وليس علي الإسراع في العودة. ابنتاي كلتاهما منشغلتان هذه السنة، ويمكنني إذاً البقاء قدر ما تشائين، أو أيضاً أن أغادر في اليوم الذي يلي عرض ديور إن كنت تفضلين ذلك".

"لمَ لا نترك الأمر لحينه ونرى كم ستستمع به، فربما قد تكرهه. ولكن في معظم الأحيان يكون ذلك مسلياً جداً. وإن لم تشاهد قط من قبل أي عروض أزياء فسوف تجدها مشهدية جداً، كما وسوف تجد الحفلات مدهشة. الجميع يتهافت على عروض الأزياء. فهي بمثابة مظهر من مظاهر الفن في فرنسا، وحتى سائقي سيارات الأجرة يطّلعون على مستجداتها، ويتكلمون بشأنها كما لو أنهم قد شاهدوها. الناس فخورون جداً بكل ذلك في باريس. لذا أظن أن فكرة ذهابك إلى هنالك ممتازة. أتريدني أن أحجز لك غرفة في الفندق؟ فكلنا ننزل في فندق ريتز. ومن المحتمل أن تكون الغرف كلها محجوزة، لكن يمكنني الاتصال بهم، فهم يعرفونني جيداً".

"سيكون ذلك ممتازاً يا فيونا. أبلغيني فقط أين ألتقي بك ومتى". وهو كان راضياً عمّا يفعله ومسروراً أكثر منها. فقد كان من الممتع أن يتخطّى حدود عالمه الآمن والمألوف إلى عالمها الأكثر تنوعاً وغرابة، وكان هذا الأمر يَعِدُه بمغامرة حقيقية، وربما يكون كذلك بالنسبة لها أيضاً، مع أن فيونا بدت له وكأنها تارةً تكون معه عاطفية وتارة أخرى رسمية. كان ذلك يعكس بجلاء تناقض مشاعرها حياله.

"سأجعل سكرتيرتي ترسل إليك دليل الرحلة" قالت له ذلك وكأنهما مجرد صديقين، الأمر الذي أقلقه. لقد كانت ودودة معه أكثر بكثير ليلة أمس، لكنها بدأت في الواقع تخشى أنها ربما كانت ودودة جداً معه، بالأخص إن كان أدريان يتحدّث عن مسألة مشاركة خزانات. راحت تتساءل إن كانت قد أعطت

جون الانطباع الخاطئ في سهرة العشاء لديها. فهي لم تكن تريده أن يعتقد أنها تطارده، أو أنها سهلة المنال. لقد كان كلاهما بحاجة إلى التفكير بما كانا يفعلانه قبل القيام به، بغض النظر عن مدى رغبتهما به، وكل هذا كان يزيد من حذرها، بالأخص إن كان سيزور باريس. لكنها كانت تشعر بالحماسة إزاء قراره بالذهاب. فهي كانت ستتسلى كثيراً لوجوده هناك، وكانت قد أخبرته بذلك وهو بالكاد كان بوسعه الانتظار. ثم اتصلت به بعد مرور ساعة لتخبره أنه حصل على غرفة في الفندق، بالقرب من غرفتها، وقد كانت مسرورة لتمكنها من أن تحصل له على واحدة سيّما وأنه لم يعد هناك سوى القليل الشاغر منها. كانت دائماً تنزل في الجناح نفسه الواقع في جهة كامبون من الفندق، ولم تعد هناك أي غرفة مطلّة على ساحة فاندوم. فهي ظنّت أنه كان ليُحبُّ واحدة منها، لكن كان عليها القبول بما تمكنت من الحصول عليه من أجله.

"ألف شكر يا فيونا، سيكون ذلك رائعاً" ثم طلب من سكرتيرته أن تتصل بالفندق، وتعطيهم تفاصيل بطاقة اعتماده، وأن تدبّر له سيارة أجرة تقله من مطار شارل ديغول. لقد كان متحمساً لفكرة أنه لم يبقَ هناك سوى أقل من أسبوع على الرحلة وكانت فيونا متحمسة مثله وهي تقود سيارتها إلى شرقي هامبتون، في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم. تأسفت قليلاً لقرارها بعدم مقابلته قبل رحيلها. فلعل الأمر كان أسهل من رؤيته مجدّداً في باريس، ولأول مرة منذ حفل العشاء الذي أقامته في منزلها. بدا لها من الغريب أنهما لم يتواعدا فعلاً بعد وكان سيلتقي بها في باريس، ولكن سيكون لديهما الكثير من المخططات لتبقيهما منشغلين. وعلاوةً على ذلك فإن أدريان سيكون هناك أيضاً وكان بإمكانها إرسالهما إلى أي مكان معاً، إن كان أدريان متفرغاً وكان عليها أن تعمل. لكنها كانت ستحاول أن تمضي وقت فراغها مع جون بقدر ما تستطيع. كانت تلك طريقة رائعة ليتعرّف أحدهما بالآخر وكذلك المكان فقد بدا لها جدّ ملائم لذلك أيضاً. كادت تتعرض لحادث سير وهي تفكر فيه، على

طريق سانرايز العام والمزدحم، ولم تبلغ بالتالي شرق هامبتون إلا مساءً. كانت الزحمة خانقة، وكانت فيونا سعيدة لرؤية أصدقائها. كانت هذه عطلة نهاية أسبوع هادئة ومريحة مع إحدى أهمّ محررات المجلة وزوجها، وأولادها. وحين عادت فيونا إلى المنزل الأحد مساءً اتّصل بها جون.

"كيف حال خصمي؟".

"ومن تراه يكون؟" بدت سعيدة ومسترخية بعد عطلة الأسبوع التي أمضتها على الشاطئ، وكانت تشعر بارتياح أكبر تجاهه خاصة وأنها لم تره طيلة الأسبوع.

"السيد وينستون بالطبع. هل اصطحبته إلى شرقي هامبتون؟".

"إنه يكره الشاطئ. فالجو حار جداً هناك وهو لا يجيدُ السباحة. لقد أمضى نهاية الأسبوع برفقة جمال الذي قد أعاده إلى المنزل للتوّ. هو يغضب دائماً منّي حين أمضي فترة طويلة بعيداً عن المنزل، وهو ذاهب في مخيم صيفي في الأسبوع القادم". وفي تلك الحالة، كانت حياة الكلب تلك، حياة يحسده عليها الجميع، وكاد جون يفعل ذلك. أحبَّ فكرة أن يتمدد بالقرب منها، وينام على سريرها، باستثناء الشخير.

"إنه صبي محظوظ". قال ذلك متناسياً أنه حيوان فيما كانا يناقشان آخر تفاصيل رحلتهما إلى باريس، ونوع الثياب التي عليه إحضارها معه. فقالت له عندئذٍ أن كل ما خططا له من برامج لا يتطلب لباساً رسمياً جداً، إنما عليه إحضار بذلتين داكنتي اللون. فسهرة ديور تتطلّب عادة لباساً رسمياً أنيقاً، وقد تكون هناك حفلة يقيمها جيفنشي. أما شيك فكانت تقيم دائماً حفل كوكتيل، وكذلك معظم المصممين مثل فالنتينو وفرساتشي وغوتييه وشانيل الذي كان دائماً ينظم حفلاً في شقة كوكو شانيل في شارع كامبون. لن يفتقدا إذاً الترفيه والنشاطات الاجتماعية. أمّا حفلة الأناقة في الريتز فكانت جدّ مسلية، وكان أدريان مسؤولاً عن تنظيمها ودعوة الضيوف إليها. فهو كان دائماً يدعو إليها كل نجوم السينما والمغنين والمصممين ومشاهير المجتمع وأفراد العائلات

الملكية الذين يمكنه الوصول إليهم. وكان الناس يرجونه للقدوم.

تذكّرت أنه يتعين عليها أن تطلب من أدريان في اليوم التالي أن يشمل جون في قائمة المدعوين إلى حفلة شيك. بدا جون متحمساً للرحلة وعلى الرغم من صراعها وقلقها المؤقتيْن بشأنه، كانت لا تزال تجد أنه من الصعب جداً مقاومته وهي كانت متحمّسة بقدر ما كان هو. كانت ستستمتع بمشاركة وقتها في باريس مع أحدهم، أحد غير أدريان والمحررين لديها، وبأن تكون برفقة رجل مجدداً لأي سبب كان ولأي هدف كان، أكان ذلك صداقة أم سواها، ومهما دام الأمر. وفيما كانت تسارع إلى موعد وهي تفكر بالموضوع، قررت في لحظة شجاعة، أن تعطي جون فرصة عادلة وأن تتخلى عن الحذر رامية القلق وراء ظهرها. فمَن يدري، ربما قد يستحق ذلك ببساطة. فما العيش من دون إثارة ورومانسية؟

الفصل الرابع

لطالما كانت الرحلة المسائية إلى مطار شارل ديغول من مطار جون كينيدي دائماً قصيرة. فأنجزت فيونا بعض الأعمال ثم تناولت العشاء وأحنت ظهر مقعدها إلى الوراء ونامت بعد أن كانت قد تغطّت باللحاف الصوفي الذي تؤمنه الخطوط الفرنسية الجوية لركاب الدرجة الأولى. نامت بضع ساعات – ثم استفاقت وراحت تركض مسرعة.

وصلت فيونا إلى فندق ريتز عند الساعة العاشرة صباحاً، وبعد أن استحمت وبدلت ملابسها وارتشفت قهوتها، كان لديها ملايين الأعمال لتقوم بها. فقد كانت لديها اجتماعات مع الملحقين الصحافيين لدور الأزياء، كما وكانت تلتقي عادة بالمصمم نفسه وتلقي نظرة على بعض التصاميم المختارة للعرض، وكان ذلك بمثابة عربون تقدير واحترام لها، إذ كان إجمالاً لا يُسمح سوى لبعض المحررين القلائل فقط، إنما المهمين منهم، بالدخول إلى حرم دور الأزياء وغرف العمل والمشاغل، قبل العروض؛ وكانت فيونا إحداهم. في اليوم الأول، وبعد جولة قامت بها على أهم دور الأزياء، إلتقت بعد الظهر بأدريان ومساعديهما ولم يكن الوقت الكافي قد مرَّ بعد لتشعر بالانزعاج بسبب الفارق الزمني بين المنطقتين. كان أدريان كثير الانهماك بالتحضيرات الأخيرة للحفل الذي كانوا يقيمونه وكانت فيونا قد طلبت منه إدراج اسم جون على لائحة المدعوين.

كانت وأدريان قد تناولا العشاء في مطعم فودوفيل تلك الليلة، وكان هذا مطعماً صغيراً كلاهما يحبه، إذ كان احتمال التقائهما بشخصيات من عالم الأزياء ضئيلاً. أما عدا عن ذلك المكان، فكان كلاهما يحبّ لافونو، لكن فيونا

لم تكن في مزاج يسمح لها بمقابلة العديد من المحررين أو العارضين الذين يتسكعون هناك وفي كوستس أيضاً. أما المطعم المفضل لديها فلطالما كان طبعاً لوفولتير على الجهة اليسرى من رصيف فولتير. لكنّ كلاهما كان متعباً في الليلة الأولى، وأسعدهما بالتالي أن يتقاسما طبقاً كبيراً من المحار والسلطة ومن ثم أن يعودا إلى الفندق. كان كلاهما يعرف أنّ الجميع سيكون في اليوم التالي ديناميكياً ويتسابق مع الزمن. فقد كان العرض الأول في تلك الليلة وكان جون سيصل من لندن في وقت متأخر من بعد الظهر. وعندما راح أدريان يمازحها بهذا الشأن، أوقفته عند حده، إذ كان لديهما العديد من الأمور الأخرى ليناقشاها. كانت الملابس التي سيشاهدانها والتي كانت فيونا قد رأت بعضها في وقت سابق ذلك اليوم، لفصل الشتاء ومن المتوقع أن تكون هذه الأخيرة رائعة سيّما وإن كانت العينات التي رأتها بمثابة نموذج عن المجموعة. ففستان الزفاف في مجموعة شانيل يفوق التصور جمالاً بتنورته المخملية البيضاء السميكة والواسعة عند الأطراف والمطرزة بفرو القاقم، وبطرحته المصنوعة من الفرو نفسه والتي تتدلى خلفه. بدا وكأن هناك ثلج على الطرحة، وكان ذلك ساحراً.

حين تبادلت وأدريان الأماني بنوم هنيء، أقفلت بابها وخلعت ملابسها وتسللت إلى فراشها في غضون أقل من عشر دقائق ولم تسمع صوتاً بعد ذلك سوى رنين منبّهها في اليوم التالي. كان ذلك يوماً صيفياً مشمساً جميلاً في باريس وكانت أشعة الشمس تتسلل إلى غرفتها. فهي لطالما كانت تنام في باريس والستائر مفتوحة لأنها كانت تحب النور والسماء في الليل أو النهار. فكان يدهشها في السماء مساءً وهج لامع أشبه بلؤلؤة كبيرة سوداء وهي كانت بالتالي تحب التمدد على السرير والنظر إليها إلى أن تغفو.

كان يوم فيونا الثاني في باريس حافلاً أكثر من الذي سبقه وكان جون قد وصل عندما عادت إلى الفندق في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم وبالتالي فما أن دخلت غرفتها حتى اتصل بها.

فقالت ممازحة "لا بد أنك تقرأ الغيب. لقد دخلت الغرفة لتوّي".

"أعلم ذلك"، إعترف قائلاً "فلقد أخبرني الحاجب بذلك. كنت أكلمه بشأن الحجوزات في المطاعم. أين تودين الذهاب؟".

"أحب دائماً الذهاب إلى لوفولتير". وهو مطعم صغير وأنيق وحميم الأجواء، وجميع الأشخاص الأنيقين في باريس يرتادونه، فيحتشدون على طاولاته الصغيرة، أو يُحشرون داخل الكشكيْن الصغيرين. فهو بالكاد كان ليتّسع لثلاثين شخصاً، لكنه محبوب من الجميع. "لكننا سنحضر حفل ديور مساء اليوم على أي حال، وأظن أن جيفنشي سينظم حفلاً غداً. فيمكننا الذهاب إلى حفل كوكتيل فيرساتشي قبل أو بعد ذلك. وربما يمكننا الذهاب إلى لوفولتير بعد الحفل إن كنت لا تزال هنا". وهي لم تكن واثقة تماماً كم سيدوم بقاؤه أو مدى احتماله للأزياء المبالغ فيها. لكان معظم الرجال قد ضاقوا ذرعاً، فبعضهم قد يحتمل يوماً أو يومين لا أكثر، وهو لم يبد من النوع الذي يبقى طويلاً في عالم المرأة. لكنها لم تكن لتشبع من ذلك العالم الذي كان جوهر عملها. أما جون فقد كان مجرد سائح فيه.

"سأبقى حتى انتهاء حفلات العروض إن كنت تريدين ذلك"، قال مازحاً، وكان هذا نبأ جديداً بالنسبة إليها. فهما كانا في الأساس قد ناقشا موضوع بقائه ليوم أو اثنين. "لا أريد أن أكون مصدر إزعاج أو إعاقة لك، ولكني لست مضطراً للعودة إلى لندن. لقد أنجزنا العمل كله اليوم وأنهيت الأمور العالقة في نيويورك. إذاً أنا تحت تصرّفك إن كنت تريدين ذلك، وإلا فوضبيني واشحنيني إلى البيت". بدا فيلسوفاً أكثر مما شعر أنه كذلك. فهو كان قد شعر بالصراع الذي تعيشه وبتناقض مشاعرها حياله ولم يشأ بالتالي إخافتها.

"لم لا تقرر كيف تشعر حيال ذلك بعد أن تختبر الأمر أكثر". قالت ذلك من دون أن تبدي حقيقة مشاعرها. "فقد تشمئز من عروض الأزياء حتى الموت خلال يوم أو اثنين". لكنه كان يعلم أنه يلزمه وقت أطول من ذلك بكثير ليسأم منها، أو على الأقل، هذا ما كان يأمله، لكنه لم يخبرها بذلك.

"إذاً ما هي مخططاتنا؟ متى تريديني أن أحضر؟".

"عرض ديور في السابعة. هذا ما هو محدّد في بطاقة الدعوة. ولكن إن كنا محظوظين، فقد يبدؤون عند التاسعة. فعروض ديور غالباً ما تعمها الفوضى وهم لا يبدؤون أبداً في الوقت المحدد. سيكونون ما زالوا يزخرفون الفساتين بالخرز وينهون حياكة حواشي الأثواب عند السابعة. لكنه العرض الأفضل، وينظمونه في مواقع جنونية، يعلنون عنها في الدقيقة الأخيرة. لقد اكتشفنا لتوّنا أن العرض سيكون في محطة القطار. فلن يكون إذاً بعيداً جداً من هنا. إن انطلقنا من هنا عند السابعة والنصف سيكون ذلك جيداً. لا أريد الانتظار هناك لساعتين. أما في حال بدؤوا بفعل الصدفة أبكر من المعتاد، فسوف نظلّ قادرين على الوصول في الوقت المحدد".

"معطف ورباط عنق على ما أعتقد. أليس كذلك؟" فهو لم يكن لديه أحد سواها يستشيره في هذا الموضوع. لكنّ فيونا ضحكت للسؤال.

"يمكنك ارتداء ما تشاء حتى أنه يمكنك الذهاب عارياً إن أردت، فلا أحد يهتمّ لهذه الأمور".

"لا أعلم إن كان كلامك هذا مطمئناً أم مهيناً". فهي لم تعطه بعد أي إشارة توضح له من خلالها إذا ما كانت ستطوّر، أو حتى تقبل، بأي علاقة رومانسية لا بل جسدية بينهما، إلا أنه كان يأمل أن توضّح له ذلك. فهو كان قد شعر بالانجذاب المغناطيسي بينهما منذ البدء، لكن كانت هناك أوقات بدت له فيها في غاية البرودة. وعلى الرغم من الأجواء الرومانسية في هذه المدينة الأجمل في العالم، بدت له فيونا وكأنها لا تهتم سوى للعمل فقط. لكن هذا كان في الواقع سبب مجيئها إلى هنا. لذا حاول أن يتفهّم الأمر. راح يتساءل إن كانا سيحظيان ببعض الوقت على انفراد قبل رحيله. لكن سواء حصل ذلك أم لا، فهو كان يعلم أنه سيستمتع بوجوده إلى جانبها. فكان من الممتع أن يغوص في عالم مختلف كل الاختلاف عن عالمه. وكان ذلك بمثابة مكافأة نادرة له يتوق لمشاركتها إياها. توقّع أن ذلك قد يعطيه نظرة شاملة عنها وعن العالم الذي

كانت تأكل وتنام وتشرب وتتنفس فيه. فقد كانت الموضة حياتها كلها.

"نلتقي في الأسفل عند السابعة والربع"، همست. فقد كان عليها أن تعاود الاتصال ببعض المتصلين بها وأن تنجز بعض الأعمال قبل ملاقاته. ثم رقّ فجأة صوتها وبدا أكثر إنسانية إذ قالت برفق، "شكراً لقدومك يا جون. آمل أن تستمتع هنا؛ وإن طفح الكيل معك، عد ببساطة إلى الفندق واسترخِ في المسبح". "لا تقلقي بشأني، أنا أتوق لذلك فيونا".

"حسناً، أراك إذن في الطابق السفلي". أنهت المكالمة بسرعة، ومما يمكن التنبؤ به أنها كانت الساعة السابعة والنصف حين رآها تعبر الردهة الرئيسة للفندق بسرعة. كان هناك الملايين من الأشخاص الذين يجوبون المكان، أو بدوا له كذلك على الأقل، وهم كانوا من سيّاح الصيف المعتادين على النزول في فندق ريتز والذين يأتون من كل حدب وصوب، بالإضافة إلى أولئك الذين يأتون خصيصاً لمشاهدة العروض، كالعارضين والمصورين والمحررين أو رؤساء التحرير والصحافيين وزبائن يودون شراء الأزياء الجديدة ويرتدون ما كانوا قد ابتاعوه في أثناء العروض السابقة في كانون الثاني، ونساء أوروبيات وأميركيات وعربيات وآسيويات بصحبة أزواجهن بأثواب من الكتان، وجميعهم يحدّق إليهما. أما خارج الفندق فكان هناك صحافيون فضوليون ينتظرون لالتقاط الصور خلسة لأي من المشاهير. وفقاً لما كان يتهامسه الحشد، كانت مادونا قد مرّت من هنا منذ لحظات شأنها شأن معظم النجوم الآخرين النازلين في الفندق والذين كانوا سيحضرون حفل ديور. وبعد لحظات، تسلل كل من فيونا وجون إلى السيارة التي يقودها سائق والتي كانت قد استأجرتها لمدة إقامتها هنا، وانطلقا مسرعين نحو المحطة. أما أدريان ومساعداهما فكانوا يتبعونهما في سيارة أخرى، في حين كان مصورو شيك قد بلغوا المحطة وينتظرون هناك منذ ساعات. كل الصور التي التقطوها كانت مهمة. فقد كانت عروض الأزياء في باريس بمثابة مسلسل عالمي للموضة.

وعندما رمقته فيونا نظرة خاطفة، ابتسمت فرحةً، "لا أصدق أنك هنا معي. يا لك من رجل مرح جون".

"إلا أنني جاهل على ما أعتقد إذ لا فكرة لديّ عما أقحم نفسي فيه". لكنّ الأمر كان قد بدأ يبدو ممتعاً. لقد أحب تلك الأجواء والإحساس بالتوتر الذي تنطوي عليه كما وأحب أيضاً الشعور بالتشويق والإثارة. "كيف سيجرون العرض في محطة القطار؟" سأل فيما كانوا يتوجهون نحو محطة أوسترليتز.

"الله أعلم، سنرى. إن أضعتك بعد العرض، إبحث عن السيارة في الخارج أو وافني إلى الفندق من جديد". فهي كانت تتوقع فوضى ما بعدها فوضى، وكان ذلك افتراضاً يطبّق على غالبية العروض تقريباً.

"أتريدين أن تعلّقي لي على قميصي ورقة تدونين عليها اسمي وعنواني؟ فقد سبق لأمي أن فعلت ذلك مرةً حين اصطحبتني إلى عالم ديزني. إذ أنها لم تكن تثق إطلاقاً بقدرتي على تذكر اسمي وهي كانت محقة بالطبع إذ أني تهت منذ لحظة وصولنا إلى هناك.

"لكن إيّاك ونسيان اسمي"، قالت بكآبة وهما يترجلان من السيارة، ويشقان طريقهما عبر الحشود. كانت بطاقات دعوة الشرف عريضة وفضية ومن السهل تمييزها. لكن وعلى الرغم من ذلك، لزمهما ما يقارب العشرون دقيقة ليشقا طريقهما عبر الموجودين. كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة حين وصلا إلى الداخل. فقادهم أحدهم إلى مقاعد ذات نقوش شبيهة بجلد الفهد موضوعة على المنصة، وبدت الكراسي على مد النظر. كان الموضوع العام هذه المرّة، وكما كانت فيونا تعلم، من وحي الأدغال الإفريقية. بدأ العرض أخيراً عند الثامنة والنصف، وعمّ الظلام محطة القطار بأكملها. ثم اقترب قطار قديم الطراز نحوهم ببطء، وسُمع صوت يشبه قرع آلاف الطبول، قرعٌ على إيقاعات من وحي نبضات الأدغال، ليظهر بعد ذلك من حيث لا أحد يدري، ماية رجل بأزياء شبيهة بأزياء محاربي ماساي، ووقفوا يحدقون بهم. ثم حين عادت الإضاءة مجدداً، كان ذلك رائعاً وكان جون يراقب مذهولاً. فكان قد

تمكن من تمييز مكان كثرين دونوف، وكذلك مادونا ومرافقيها، وملكة الأردن التي كانت تجلس على مقربة منهما. كانت رفقتهم ممتعة، وكان جون تارة يراقب ما يجري، ويلقي نظرة على فيونا تارة أخرى. لقد كانت جالسة بهدوء تركّز على كل ما يجري. وما هي بالتالي إلا لحظات حتى بدأ العرض في حين علت أنغام الموسيقى ومر عبر الحشود ثلاثة رجال ومعهم نمران وفهد أبيض ببياض الثلج. فابتسمت فيونا لدى رؤيتهم.

"هذا بالضبط" قالت ناظرة إلى جون "هو نموذج فعلي عن أجواء عروض ديور". وكان في الواقع الفيل كل ما ينقص. وما هي بالتالي إلا لحظات، حتى وصل فيل مع مدربين وكان عليه سرج ضخم مرصع بحجارة الراين. لم يتمكن جون من مقاومة التساؤل حول ما إذا كان الذعر يصيب الحيوانات وسط الزحمة. لكن لم يبدُ له أن أحداً كان ليهتمّ للأمر. فقد كانوا ينتظرون رؤية الملابس وأنفاسهم محبوسة، وهذا في الواقع ما أتى في التالي.

كان يمشي خلف كل عارضة ولُامها محارب من الماساي يرتدي الزي الحربي الأصلي، مع رماح وندبات وصباغ سميك على جسمه. كانت العارضات رائعات وهنّ يترجلن الواحدة تلوَ الأخرى من القطار، وكانت الملابس مزينة بالخرز ومتعددة الألوان وغريبة مع تنانير طويلة مذيّلة ومعرّقة من قماش التفتة، أو بنطلونات مع شريط مشكوكة بالخرز. أمّا الصداري فكانت مميزة هي أيضاً ومشكوكة بالخرز بطريقة يصعب تحليلها. مشت إحدى العارضات متمايلة مباشرة نحو جون، وكانت تلف نفسها بمعطف مطرز، ثم فتحت فجأة المعطف كاشفةً عن جمال جسمها فيما كانت فيونا تراقب بإعجاب. كانت العارضات يحببن العبث مع الحضور. جلست فيونا طوال الوقت تشاهد العارضات بوجه لا يعكس أي انطباع، وكان هذا في الواقع يشكّل جزءاً من غموضها. كان وجهها بارعاً في إخفاء آرائها ومشاعرها، الأمر الذي لم يكن ليسمح لأي كان بأن يكتشف حقيقة رأيها حيال الملابس. فهي كانت نطلع

الناس على آرائها، فقط حين تكون مستعدّةً لذلك وليس قبل، ولم يسأل جون عن الموضوع إذ أحب مشاهدتها ومراقبة سير الأمور.

أما فساتين السهرة في آخر العرض، فقد كانت هي أيضاً تتسم بالروعة نفسها. لم يكن بإمكانه تخيل أي امرأة ممن عرف يوماً، ترتدي إحدى تلك الإبداعات إلى افتتاحية الـ "مات" أو حتى إلى أي حدث آخر حضره؛ إلا أنه أحب مشاهدتها كما ومشاهدة العرض المسرحي الرائع الذي كانت تقوم به العارضات. ثم قدمت إحدى العارضات مرتديةً ثوب الزفاف، وكانت طرحتها ضخمة ومن وحي ماساي. أما فستانها فكان كناية عن تنورة من التفتة المصبوغة باللون الأبيض، ضخمة بمكان أنه كان من الصعب على العارضة إخراجها من القطار، هذا بالإضافة إلى درع مرصّع بأكمله بالماس. لحظة ترجل العارضات من القطار، ظهر جون غاليانو ممتطياً فيلاً أبيض، ومرتدياً درعاً شبيهاً أيضاً. فرفع ستة من المحاربين العارضة بفستان الزفاف نحوه، وأجلسوها على الفيل خلفه، فيما كان كلاهما يلوّح للجمهور وهما يغيبان عن الأنظار. كان النمران والفهد الثلجي البياض قد استُبعدوا عن المنصة آنذاك، الأمر الذي بدا لجون من حسن الحظ؛ في الوقت الذي جن فيه فجأةً جنون الحشد من حولهم وراح الجميع يصرخ ويهتف ويحيّي ويصفق للعارضات اللواتي رحنّ يسرن خلف العروس على إيقاع قرع الطبول. ثم بعدها بلحظات صعدت العارضات والمحاربون إلى القطار وتم نقلهم من جديد خارج المحطة. فاستدارت فيونا أخيراً لتنظر إلى جون.

"إذاً؟" بدت مندهشة وأمكنها أن تلاحظ ذهوله. لقد صعقهُ العرض، وسحره الأداء. فقد كان هذا الحقل على الأقل جديداً بالنسبة إليه.

"أظنه يوم عمل اعتيادي آخر بالنسبة إليك" قال مبتسماً. فقد أحب ذلك. "لقد أدهشني العرض، كان كله رائعاً حقاً؛ الملابس والنساء والمحاربون والموسيقى والحيوانات. لم أدرِ إلام أنظر أولاً. لقد ذكّره ذلك بأول مرة ذهب

فيها إلى السيرك. لكن ذلك كان أعظم بكثير. كان أعظم حتى من عالم ديزني. "أهكذا تكون العروض دائماً؟".

"هكذا هي عروض ديور. يبدو وكأنهم يستنفدون طاقتهم في كل مرة. لم تكن دور الأزياء القديمة لتنجز أي عمل كهذا قط. كانت العروض أنيقة ورزينة. لكنّ ديور لطالما كان على هذه الحال منذ غاليانو. فالأمر أقرب إلى المسرح منه إلى الموضة. هو أشبه بحملة دعائية منه بنية جدية لابتكار أزياء نسائية. لكنها تعود عليهم بالنفع والصحافة تحب ذلك.

"هل ثمة مَن يرتدي هذه الملابس؟" لم يكن بإمكانه تصور ذلك مع العلم أن فستان زفاف من تصميم غاليانو بدرعه الذهبي المرصع بالماس هذا، كان حتماً ليثير الاهتمام.

"لسنَ كثيرات. وإن فعلن فهنّ غالباً ما يجرين تغييرات وتعديلات كثيرة عليها. هناك فقط ثلاثون أو أربعون سيدة في العالم يرتدين هذه التصاميم على أي حال، كما وأن الكثير من دور الأزياء يُقفل. فهذا العمل يتطلب في الواقع براعة كبيرة، وعلاوة على ذلك فإن كلفة الأقمشة واليد العاملة مرتفعة، وبالتالي فإنّ جميعهم يتكبد خسائر مادية طائلة. لذا لقد أُضحي الهدف منها الآن في بعض الحالات إعلانياً لا مادياً. لكنها لا تزال بطريقة ما تؤثر على تصاميم الملابس الجاهزة، وهي إذن من هذا المنطلق تستحق التغطية لأننا عاجلاً أم آجلاً سوف نشهد بعض هذه اللمسات في أزياء النساء اللواتي يبتعن ملابسهن من المحال الشعبية.

"بالكاد يسعني الانتظار لرؤية ذلك". فضحكت على تعليق جون. "أحسب رؤية ذلك في مكتبي".

"قد يحصل ذلك في وقت ما، بطريقة مُلَطّفة جداً. فعاجلاً أم آجلاً سيحصل ذلك، في الأسواق الشعبية وبكلفة تناسب الطبقات العامة. لكن هنا يبدأ الأمر. فهذا هو المصدر الخام". كانت تلك طريقة رؤيتها للأمر، وهو كان على علم بعمق معرفتها في مجال عملها. لقد أصبح يحترمها الآنَ أكثر من السابق،

كما وأنها أدهشته أكثر بعد رؤيتها هنا في باريس. أما هي فقد كان من الواضح أنها تستمتع برفقته. حين قلّت الزحمة، شقّا طريقهما نحو المخرج واتجها نحو الفندق حيث كانا سيستريحان قليلاً قبل أن يقصدا مسبحاً عاماً لحضور حفل ديور. لكن برأي فيونا لم يكن هناك من داعٍ للذهاب إلى ذاك الحفل قبل منتصف الليل. كانت الساعة قد تخطت العاشرة لدى مغادرتهما المحطة، كما وكانت قد تخطت العاشرة والنصف لدى وصولهما إلى الفندق، حيث جلسا إلى مائدة صغيرة في الزاوية وتناولا بعضاً من شراب الكوكتيل والمقبلات. كان جون يتضوّر جوعاً حينها، لكنها قالت إنها غير جائعة. ثم توقف أدريان لرؤيتهما لبضع دقائق وقال إن العرض كان مدهشاً، وكل خمسة دقائق كان أحدهم يتوقف لإلقاء التحية على فيونا. كان من الواضح جداً أنها ملكة في هذا الحقل.

فسألها باهتمام "ألا تأخذين قسطاً من الراحة من كل هذا ولو لمرة؟".

فأجابت "ليس هنا". وهو كان يمضي وقتاً رائعاً معها، كما وكان من السهل ملاحظة مدى ارتياحها معه، ليس فقط لاهتمامه بها، بل للجوّ الذي يسود علاقتهما عامّةً. كانت هي على طبيعتها تماماً، محاطة بمساعدها ومعاونيها والكل كان يريد أن يعرف رأيها في الملابس وهي بالتالي كانت حاضرة لتعترف بأنها أحبت معظمها.

ثم سألها بفضول "ما الذي أعجبك فيها؟".

"براعة خياطتها وتفاصيلها والابتكار في تصاميمها وألوانها وجوّها العام. فالتنانير المعرقة مدهشة وهي بمثابة أعمال فنية. إن هذا المصمم نابغة حقاً. كما تعلم، في تنفيذ التصاميم، تُحاك كل قطبة في أدنى زخرفة يدوياً، فليس هناك إذن أي قطبة حيكت آليا في المجموعة كاملة". إلا أن هذا كله كان غامضاً لجون، وهو بالتالي لم يفهم إلاّ بقدر ما استطاع خياله أن يذهب به بعيداً عن الفستان الأسود الرسمي والتقليدي. كان ذلك عالم فيونا وليس عالمه وقد أُعجب بها من أجل ذلك. "أتحب الملابس؟" سألته وهما يقرمشان النقولات

وبعض المقبلات، وبينما كان أشخاص أجانب يستمرون بمقاطعتهما. كان الجميع يبدي احترامه لفيونا، وبدا بعضهم فضولياً بشأن جون حين قدمته إليهم. لكن معظمهم تجاهله. فقد كانت فيونا هي التي يريدون التحدث إليها، وكانوا بالتالي يقتربون منها جماعات جماعات.

"أحب النساء الأنيقات. فصحيح أن هذا أكثر مما أنا معتاد عليه، ولكن تحلو لي بالطبع مشاهدته، فهو مختلف جداً. فهزّت برأسها موافقة إياه الرأي فيما توقف فضولي آخر قرب مائدتهما. "أنتِ لا تتعمين بالكثير من الهدوء هنا". وهي في الواقع لم تكن لتحظى بالهدوء إطلاقاً لكنها في الواقع لم تأت إلى باريس بحثاً عنه.

فأجابته بهدوء "لا أتوقع ذلك". والحقيقة أنها لم تكن لتتعم بالكثير من الهدوء ولا في أي مكان آخر. لكنها لم تكن تمانع ذلك. فقد كان ذلك يملأ حياتها عوضاً عن الزوج والأولاد. فالثوابت الوحيدة في حياتها كانت عملها وأدريان والسيد وينستون. أما ما تبقى فكان ديكور المنصات والممثلون الذين يأتون ويصعدون إلى خشبة المسرح. كانت تحب المسرح والمؤثّرات البصرية. "أظن أن الكثير من الهدوء قد يثير توتري. فأنا أشتاق إلى الضجيج".

فسألها عندئذٍ باهتمام "وكيف تمضين إذن أوقات العطلة؟" إذ من الصعب عليه تصوّرها خالية من المشاغل أو بمفردها. بدت له جزءاً لا يتجزأ من الفوضى التي تغمرها، ولم يعد بوسعه تخيلها مجردة منها وكذلك هي. ثم فكّر أن خوضه علاقة معها على المدى الطويل، أو البقاء معها طوال النهار، كان ليقوده حتماً إلى الجنون؛ لكن الأمر كان يعجبه تماماً في الوقت الحالي.

فأجابته بصدق قائلةً، "أتوتر في الأسبوع الأول من العطلة، وأضجر في الثاني". فضحك كلاهما على ما قالت.

"وماذا عن الأسبوع الثالث؟".

"أعود فيه إلى العمل".

"هذا ما ظننته. إذاً أنتِ لا يمكنك أن تذهبي في عطلة لشهر كامل على جزيرة مهجورة. هذا مؤسف جداً".

"لقد أمضيت مرّةً شهراً كاملاً في تاهيتي بعد أن كنت قد عانيت من مشاكل صحية. فأصرّ طبيبي على أن أبقى في مناخ دافئ وأستريح. كدت أفقد صوابي إذ أني أمضي إجمالاً عطلي في باريس ولندن ونيويورك".

أضاف قائلاً، "وسان تروبيز"، فابتسمت.

"هذا المكان أهم، فمع المياه ولباس البحر... ما من هدوء هناك أبداً، لكن الأمر ممتع جداً". وتخيّل أنه قد يكون حقاً كذلك خاصة برفقتها. لقد كانت عصفورة نادرة وغريبة، يضاهي بريق ريشها وألوانه ما رآه لتوه في ديور. لم يكن فيها إطلاقاً مما هو بسيط أو مخادع أو تافه، لا شيء إطلاقاً. لكنه أعجب بها كما هي. أعجب بها بشدة. ثم سألته قائلةً "هل أنت مستعدّ للعودة إلى ديور؟".

"لماذا؟ هل هناك المزيد من النمور والفيلة والمحاربين؟" فصحيح أنهم كانوا مثيرين للاهتمام ولكنّه كان قد اكتفى منهم لنهار واحد.

"كلاّ فالفكرة الرئيسة هذه المرة تدور حول الماء". لكنه دُهش تماماً للمرة الثانية لدى وصولهما، ومشاهدتهما ما كانوا قد فعلوا من المسبح العادي. فهم كانوا قد وضعوا منصة للرقص شفافة فوق المسبح وجعلوا أسماكاً كبيرة وغريبة تسبح تحتها، وكانت الفتيات مطليات الجسم ليظهرن كسمكات فيما كن يتجولن بين الحشد، في حين كان الرجال يقدمون الطعام والشراب. كانت موسيقى التيكنو تصيب بالصمم فيما كان الحاضرون يرقصون ويتلوون على الحلبة الشفافة. كانت الحفلة بأكملها معدة لتظهر وكأنها تحت الماء. قدّموا السوشي وثمار البحر المتنوعة، وكل عارضة أزياء في باريس كانت هناك، وكذلك نجوم السينما، والمصوّرون، والشخصيات البارزة في المجتمع والأرستقراطيون وأفراد الأسر المالكة، والأشخاص المميزون ونخبة عالم الأزياء. ومجدداً، تعرّف الكل إلى فيونا وسلّم عليها. كانت تلك أمسية خيالية،

لكن جون كان ممتناً لمغادرتهما في غضون أقل من ساعة. كانت فيونا قد أتمت واجبها وشعرت بالاكتفاء الذي يخولها أن تغادر.

فيما كان كلاهما يسند ظهره إلى المقعد في الليموزين، مرتاحاً لهروبه من الضجيج، قال جون، "يا إلهي، كان هذا مدهشاً حقاً". لقد كان في الواقع غير قادر على إيجاد الكلمات المناسبة للتعليق على ما كان قد شاهده للتوّ وكان قد بدأ يشعر بأنه كأليس، بطلة القصة الخرافية، في عالم العجائب. لم يكن بإمكانه أن يتصوّر نفسه يعيش على هذا النحو لمدّة أسبوع كامل مرتين في السنة. لكنها بدت تنجح في ذلك من دون حتى أن تنزعج من الجنون والفوضى. فابتسمت له بهدوء وهما عائدان في السيارة إلى الريتز تحت سماء باريسية مسائية رائعة.

"لن تكون الحفلات المتبقية هذا الأسبوع بهذه الغرابة. ديور تبالغ جداً". فهي كانت تعلم أنهم قد أنفقوا ثلاثة ملايين دولار على الحفلة التي كانا غادراها لتوّهما، وأكثر من ذلك بكثير على العرض الذي شاهداه بعد ظهر ذلك اليوم. فقد كانت الدور الأخرى أكثر رزانة من ناحية الميزانية والوحي العام وكان هذا بمثابة عينة بالنسبة إليه. وحين اقتربا من ساحة فاندوم، طلبت فيونا من السائق أن يتوقف واستدارت نحو جون. "أتريد التنزه لبضع دقائق؟ أم أنك متعب جداً؟" كانت تحب التنزه في باريس قبل العودة للخلود إلى النوم. لكنه كان يوماً مضنياً لكليهما، والفارق الزمني كان قد بدأ يفعل فعله.

فأجابها بهدوء، "أودّ ذلك". فصرفت السيارة لتلك الليلة، وراحا يتنزهان ببطء في شارع كاستيليون نحو ساحة فاندوم، وإذا بهما يشعران فجأة أنهما إنسانان حقيقيان في عالم حقيقي في أجمل مدينة على الكوكب، وكان شاكراً لها على تمرين المشي وتنشق الهواء، وكأنه كان يعوض عن غياب بعض الأمور الطبيعية المعتادة في تلك الليلة، بعد كل الأشياء الغريبة التي اختبراها وشاهداها. "كنت بدأت أشعر أنني أفقد وعيي". إعترف لها بذلك حين دخلا الساحة وتوقفا لينظرا إلى واجهات المحال. شعر وكأنه طبيعي مجدداً لكنه كان متعباً.

"هل اكتفيت من ذلك؟" سألت بفضولية لمعرفة مدى احتماله لبيئتها.

"ليس بعد، فأنا شديد الإعجاب بكل شيء، مع العلم أن اليوم سيكون بالغ الصعوبة. سيخيب ظني على ما أظن إن كانت العروض الأخرى أقل شأناً".

"ليست أقل شأناً بقدر ما هي أكثر رزانةً. قد تستمتع بها أكثر. فهي ليست مشبعةً بالمؤثرات الحسية كديور. سيعرضون فيها سلعهم التي في الأسواق".

"وماذا عن ذوقك؟" سأل وهو يثبت يدها تحت ذراعه وهما يمشيان.

"ربما. فأنا أحب الأشخاص الوسيمين والمتميّزين والمثيرين للاهتمام والذين يتحلون بالموهبة وروح خلاقة. أظن أنني مدللة من هذه الناحية. فأنا لم أعد أحياناً أميّز بين ما هو عادي وما هو غير عادي. كل هذا أصبح طبيعياً بنظري. حتى أني أنسى أحياناً أن أناساً آخرين يعيشون حياة أبسط من تلك بكثير".

"ستملين جداً إن تركت كل هذا يوماً يا فيونا. أو لعلّ هذا سيشكل موضوعاً مثيراً تكتبين حوله". ولكن وعلى الرغم من معرفته القصيرة بها، لم يكن بإمكانه تصورها تقوم بأي أمر مخالف لطبيعتها، وسط مجموعة من الموظفين المولعين بها والذين يحومون حولها. كانت تتنفس الاندفاع، وفي وسط ذلك كله كانت ملكة النحل، سلطتها تضاهي سلطة أي ملكة. خُيّل له أنه من الصعب عليها الاندماج مع أي أحد - وكان واثقاً أنها كانت تعي ذلك جيداً. قليل من الرجال قد يكونون مستعدين للتواجد في عالمها الغريب هذا، وأقل منهم قد يكونون قادرين أو موافقين على المشاركة فيه. فبالنسبة لمعظم الرجال، كانت حياتها أشبه بالسفر عبر الفضاء الخارجي بواسطة صاروخ فضائي. وكان جون يشعر بذلك أيضاً. لكن البقاء معها كان يمتعه؛ فكانت تلك فرصة نادرة. لكن ليس هذا نوع الحياة الذي يمكنه احتماله بسهولة يوماً بعد يوم. كانت حياته تبدو نصف ميتة وفارغة بشكل

لا يوصف مقارنة مع حياتها، على الرغم من أنه كان يدير **إحدى أكبر** وكالات الإعلان في العالم. لكن حتى عالمه بدا باهتاً مقارنة مع **عالمها. لم** يكن بإمكانه حتى أن يبدأ بتصور كيف يكون الحال لو تزوج **منها. فراح** يتساءل حينها إن كان ذلك سبب بقائها عازبة، ولم يكن بإمكانه **مقاومة** طرح السؤال حين أصبحا على مقربة من الريتز. راح يتساءل إن كانت ترى حياة العزوبية مسلية بالنسبة إليها أكثر من أن تتخلى عنها لتعيش حياةً زوجيةً مضجرة. لم يكن بإمكانه تصوّر أي زوج أو زوجة يطول بقاؤهما في ذلك العالم.

فأجابت مفكرة "ليس هذا السبب بالضبط، ولكن كل ما في الأمر هو أني لم أشعر قط بالحاجة إلى الزواج، ولم أرغب به حتى. فهو يبدو أليماً جداً حين لا ينجح، ولم أشأ بالتالي يوماً أن أجازف بذلك؛ فالأمر أشبه بالقفز من مبنى يحترق. إنّ حالفك الحظ قد تحطّ على الشبكة التي يحملونها لك في الأسفل، ولكن من خلال ما أراه فالأرجح أنك ستصطدم بالإسمنت". ثم نظرت إليه بعينين واسعتين تنمان عن صدق، وضحكا وهما يدخلان الفندق ببطء. كان هناك حرّاس وكلاب في الخارج، وكان الصحافيون لا يزالون واقفين يراقبون وينتظرون عودة المشاهير.

"هذه إحدى وجهات النظر على ما أظن. إنما يكون الزواج رائعاً حين ينجح. أحببت كوني متزوجاً. لكن على المرء اختيار الشخص المناسب له أو ربما التسلح بالكثير من الحظ". وفكر كلاهما حينها بزوجته السابقة لدى قوله ذلك، لكن فيونا لم تكن تريد قط التطرق للموضوع.

فقالت بصدق، "لم أحب يوماً المراهنة. أفضل تبذير أموالي على أشياء أحبها، عوضاً عن المراهنة بخسارة كل شيء؛ وأيضاً فأنا لم يكن يوماً في حياتي شخص شعرت أنه قد يكون قادراً حقاً على تحمّل كونه جزءاً من حياتي إلى الأبد. فأسفاري ومشاغلي كثيرة وحولي العديد من الأشخاص غريبي الأطوار كما وأن كلبي يشخر. أنا للصراحة أحب

www.rewity.com dodyadodo

حياتي على ما هي عليه". صَعُب على جون تصديق ذلك. فبرأيه، لا بد لأي شخص كان أن يدرك عاجلاً أم آجلاً، أنه لا يريد أن يكون وحيداً؛ ومع ذلك، فكان لا بدّ له من الاعتراف بأنها بدت له راضية جداً عن حياتها كما هي.

"وماذا يحل بك حين تتقدمين في السن؟".

"سأتدبر أمري. لطالما اعتبرت ذلك سبباً سخيفاً جداً للزواج. فأنا لن أمضي ثلاثين سنة من حياتي مع من يجعلني غير مرتاحة لكي لا أكون وحيدة حين أشيخ. فماذا لو أصابني الخرف في نهاية المطاف ولم أعد أتذكره حتى؟ فكّر عندها بكل الأوقات التي سأكون قد أضعتها في التعاسة من أجل ألا أكون بائسةً حين تتقدم بي السن. هذا أشبه ببوليصة تأمين، لا بارتباط فكري وروحيّ. كما وأنني قد أموت في حادث تحطّم طائرة في الأسبوع التالي لزواجي. فتصوّر عندها الأسى الذي سأكون قد تسببت به لزوجي في حال حدث أمر كذلك. لكن في وضعي هذا فالوحيد الذي قد يستاء هو كلبي". وجد جون في ذلك طريقة غريبة لرؤية الأمور، لكنها بدت مرتاحة لذلك.

كان هذا متناقضاً مع أسلوب الحياة التي كان يعيشها ضمن حياة زوجية دامت طويلاً، وبرفقة زوجة أحبها، وابنتين، وهو وعلى الرغم من الأسى الذي عاناه لدى وفاة آن، إلا أنه كان يرى أن السنين التي أمضياها معاً كانت فعلاً تستحق العناء؛ وعلاوةً على ذلك فهو عندما يموت كان يود أن يحدّ عليه أشخاص أهمّ من كلب، لكن فيونا لم تكن تفكر كذلك، وهي كانت واضحة جداً بهذا الشأن. فهي كانت قد عايشت ألم والدتها في كل مرة كان يرحل رجل عن حياتها، وعاشت ألمها حين انتهت علاقاتها اللتان دامتا طويلاً. لم يكن بإمكانها رؤية الزواج إلا من هذا المنظار. وأيضاً فإن خسارة زوج قد تكون أصعب بكثير وربما لا تحتمل. فكان بالتالي من الأسهل برأيها، ألا تتزوج إطلاقاً. لذا ملأت حياتها بأمور أخرى، ونشاطات مرفّهة، وملاحقات، ومشاريع وأناس يحيطون بها.

"كما وأنني" قالت مستطردة "لا أحب أن أكون تحت سلطة أحد. لعلي أحب حريتي وحسب". ثم ابتسمت له دافعة كتفيها وقائلة "إن حياتي تناسبني كما هي". ومع أن آراءه الخاصة كانت مختلفة تماماً عن آرائها، إلا أنه كان ليوافقها الرأي. بدت راضية تماماً بحياتها، وما كانت لتتذمر منها.

عندما وصلا إلى الريتز، مشيا بالقرب من الواجهات المليئة بالمجوهرات والملابس الباهظة الثمن، ثم اصطحبها إلى المصعد الذي من ناحية كامبون. كانت غرفتاهما في الطابق الثالث، وكانت غرفته في الرواق نفسه تماماً. فوقف على مقربة من بابها حين كانت تحاول الوصول إلى المفتاح الكبير الأزرق في حقيبتها. فكان المفتاح في حمّالة كبيرة على شكل حلقة، وكانت دائماً تنتزعه وتترك الحمّالة على المكتب في غرفتها. فقد كانت ثقيلة جداً لتحملها في حقيبتها. إنتظرها جون باحترام إلى أن وجدته، ثم أدخلته في القفل الإلكتروني وفُتح الباب. فاستدارت لتشكره على مرافقتها إلى باريس. لقد من الممتع أنه شاركها ليلة ديور، منذ البدء وحتى الختام، أو على الأرجح من محطة القطار حتى المسبح.

"ألديك الوقت لتناول الفطور غداً صباحاً، أم أنك ستكونين منشغلة جداً؟" ولاحظت لدى طرحه عليها هذا السؤال أنه لا يزال يبدو في التألق نفسه الذي بدا عليه منذ بداية السهرة. كانت الساعة قد تجاوزت حينها الثانية من بعد منتصف الليل. لقد كانت ليلة طويلة حقاً، إنما جيدة، وكان هو قد تأقلم جيداً مع الوضع. فقد كانت رفقته مرنة وسهلة الإرضاء ومسلية، وكان يتمتع برجولة خاصة به لم تكن قد غفلت عنها. لكنها لم تكن وبكل بساطة حاضرة للتفاعل معها، أو أنها على الأقل كانت تحرص على ألا تفعل في ذلك الوقت.

"عليّ إجراء بعض الاتصالات حين أستيقظ في وقت ما غداً، كما عليّ أن ألتقي بالمصور لألقي نظرة على الصور الأولية لعرض ديور. لكن هذه

الأخيرة لن تكون حاضرة حتى وقت متأخر من بعض الظهر. علينا أيضاً أن نكون في عرض لاكروا عند الساعة الحادية عشرة. لذا يجدر بنا أن نغادر الفندق عند العاشرة والنصف... سأوضب إذن نفسي وأرتدي ملابسي وأستعدّ للخروج عند التاسعة... فيمكنني إذاً تناول الفطور برفقتك عند الثامنة والنصف". جعلت بذلك الأمر يبدو وكأنها كانت تحاول إيجاد حيّز من الوقت في جدولها لموعد عمل، فنظر إليها وابتسم.

"أظن أن ذلك يناسبني". فهو أيضاً كان عليه أن يجري اتصالات عمل، لكنه كان يخطط لإجرائها بعد الظهر، بسبب فارق الوقت مع نيويورك. "ماذا تودين أن تتناولي على الفطور؟ سأطلب الفطور لكلينا، هذا إن كنت لا تمانعين". فقد كانت جد مستقلة لدرجة أنه خشي مضايقتها أو جعلها تشعر وكأنّ شؤونها تخرج عن سيطرتها. فلن يكون ذلك عندئذٍ تصرفاً مناسباً.

"الكريب فروت مع القهوة"، وكان صوتها مشوشاً إذ كانت تتثاءب برقة. فقد بدأت تشعر بالنعاس وأحب مظهرها في حالها تلك. بدت بطريقة ما أصغر سناً وأكثر رقة، وأقل من ذلك قوة أو تسلطاً وتحكماً.

"ألا تجيدين أكثر من ذلك؟ أعني أنه لن يمكنك الصمود حتى الظهر حين تفطرين على نصف حبة من الكريبفروت وفنجان من القهوة. ستنهارين بهذه الطريقة يا فيونا. ما رأيك بتناول العجة؟" فنظرت إليه مترددة لوهلة ثم هزّت برأسها أن نعم. "أتحبين إضافة أي مكوّن معيّن إليها؟".

"الفطر" أجابت مبتسمة. فنظر إليها برضىً.

"يبدو ذلك لي جيداً. سأطلب الفطور للساعة الثامنة والنصف. أتودّين تناوله في غرفتي أم غرفتك؟" ولكنه كان قد حزر جوابها قبل سماعه، إذ كان قد بدأ يعرفها.

"في غرفتي على الأرجح، إذ قد يتصل بي أحدهم. فأنا هنا في عمل".

"لا بأس، أراك في الصباح إذن. لقد كانت الليلة بمثابة حلم جميل يا فيونا. شكراً لأنك ضممتني إليها. إنها ليلة لن أنساها بالتأكيد، مع أنني لا أظن أحداً قد يصدقني إن وصفتها له. وأظنني أحببت محاربي ماساي أكثر من أي شيء آخر".

"هذا طبيعي" وابتسمت "هذه أمور تعني الرجال".

فسأل باهتمام "وما هو أكثر ما أعجبك أنت؟".

فخالجتها عندئذٍ رغبة ملحة بأن تقول "أن أكون معك" لكنها لم تفعل، وفوجئت جداً بنفسها لمجرد مرور الفكرة في ذهنها. "فستان العرس ربما، أو ربّما التنانير". فهي كانت ستكتب عنها في المجلة، وأملت أن تكون صورها واضحة.

"برأيي النمران والفهد كانوا رائعين أيضاً، وهو بالكاد كان يقوى على الانتظار ليخبر ابنتيه عما رآه. فهما كانتا تعلمان أنه سافر إلى باريس، لكنهما لم تعرفا لمَ وبرفقة مَن. فهو كان دائماً يُعلم ابنتيه بمكان تواجده، سيّما وأنّ آن قد رحلت.

فمازحته فيونا قائلة "كان علي اصطحابك إلى متحف التاريخ الطبيعي أو إلى حديقة الحيوانات عوضاً عن اصطحابكَ إلى عرض ديور". فضحك عندئذٍ كلاهما على قلة مبالاته وشغفه بالموضة، لكنها كانت تعلم أنه أمضى وقتاً ممتعاً وذلك كان الأهمّ. وقفا لوهلة يتبادلان المشاعر أكثر مما كانا يتكلمان، ثم قبّل جبينها برفق وسار نحو غرفته وهو يلوّح لها بيده. لقد كان شديد الجاذبية، والمسؤولية، والعقلانية وكانت رجولته بارزة. أرادت للحظة أن تلحق به في الممر، لكن لم تكن لديها أدنى فكرة عما كانت لتفعله بعد ذلك. فهي كانت تحاول الحفاظ على صفاء ذهنها على الرغم من قربه منها، ولكن فجأة بدا الأمر أصعب من ذي قبل. شعرت بالانجذاب الشديد إليه لكنّه، ولحسن الحظ، كان قد أغلق باب غرفته حينها. فهنأت فيونا نفسها ضمنياً على تمالكها نفسها. إذ ليس من هدف يدفعها إلى التورط معه،

هذا ما قالته لنفسها. فهي كانت قد اتخذت هذا القرار خلال السهرة. كانت وسامته قاهرة، وقد انجذبت إليه، إلا أنها كانت حكيمة بمكان لتدرك أنهما كانا مختلفين تماماً. فهي لم تعد طفلة وكانت بالتالي تعلم أنه قد يكون من الأفضل أحياناً ترك الهدايا ملفوفة في أوراقها الزاهية على فتحها. كل ما كان عليها فعله الآن هو اجتياز الأيام القليلة المقبلة من العروض من دون أن تفقد السيطرة على نفسها. لقد كانت مصممة على عدم الرضوخ لسحر جون، مهما صعب عليها الأمر. أما بالنسبة لقدرتها على تمالك تفسها، فقد كانت فيونا بارعة في ذلك المضمار.

الفصل الخامس

طرق جون أندرسون باب فيونا في الصباح التالي، وكان برفقته نادل من خدمة الغرف يقف خلفه تماماً. بدت فيونا مستيقظة بنشاط جداً حين فتحت الباب مرتدية روب المنشفة القرنفلي من فندق الريتز ومنتعلةً خفاً يتماشى معه. فهي كانت قد نظفت أسنانها، وسرحت شعرها وأخبرت جون إنها كانت على الهاتف منذ السابعة صباحاً. كانت وأدريان قد ناقشا عرض ديور في اليوم السابق، وكانا متفقين تماماً حول أهم الأزياء، وكان كلاهما ذاهباً هذا الصباح إلى عرض لاكروا. وكان أدريان قد قصد المشغل في اليوم السابق وكان متحمساً جداً لمَ رآه هناك؛ ولدى وصول جون لتناول الفطور، كان بالها لا يزال مشغولاً بالأعمال والموضة.

فسألها قلقاً "هل نمت جيداً؟" كان يرتدي بنطلوناً فضفاضاً وقميصاً أزرق مفتوح القبة وينتعل حذاء غوتشي أسود ولمّع بعناية. فأدركت مرة أخرى، حين نظرت إليه كم كانت تجده جذاباً.

"أجل، شكراً لاهتمامك". وابتسمت له فيما كان النادل يقدم لهما الفطور على طاولة نقالة ذات دواليب ويسحب لهما كرسيين مريحيْن. كانت على الطاولة بالقرب من كل منهما جريدة مطوية ومزهرية صغيرة فيها ورد أحمر. فقد كان ذلك بمثابة الفطور المثالي. "أنا دائماً أنام جيداً، مع أنني أعترف أنه بعد بقائي هنا لمدة، أشتاق لسماع شخير السيد وينستون. فهو يشبه صوت المحيط نوعاً ما". كانا حينها قد جلسا يتصفح كل منهما الجريدة. فكانت هناك نسختان من صحيفة الهيرالد تريبيون. لزما الصمت لوهلة، وهما يأكلان إذ كان كل منهما تائهاً في أفكاره الخاصة.

"إذاً، ما الذي سأشاهده اليوم؟ مزيداً من الفهود والنمور، أو شيئاً أكثر هولاً؟".

"سترى اليوم، الفن حَياً". قالت مبتسمةً، "سترى الشعر يتحرك متجسداً ومنحوتات حية، فأزياء لاكروا بتداخل عناصرها المختلفة، وأقمشتها المتنوعة، وألوانها النابضة أشبه بلوحات تلبسها نساء، أظنك ستحبه".

"هل يشبه ما شاهدته البارحة؟" وهو كان يسأل مهتماً، سانداً ظهره إلى كرسيه وناظراً إليها. أحبَّ كيف كانت تبدو في الصباح وشعرها يتدلى على كتفيها. جعلها ذلك تبدو أصغر سناً. أما هي فقد وجدت جون ينمّ عن نظافة وترتيب كبيرين. فهو كان قد حلق ذقنه وكان يبدو رفيع الذوق وبهي الطلعة. حتى أنها تمكنت من خلف الطاولة أن تشتمّ رائحته الطيبة والعطرة.

"ستكون الليلة مختلفة تماماً. فهذا عرض هادئ، مميز، صاعق، إنما أنيق جداً. غاليانو رجل استعراض وهو يخلق جواً مسرحياً. أما لاكروا فهو نابغة وهو يبتدع الفن".

"أحب طريقة وصفك للأمور" قالها وهو يفتح صفحة الاقتصاد في الصحيفة، باحثاً بنظرة خاطفة عن لائحة السلع. وما أن اطمأن إلى أن كل شيء على ما يُرام، أعاد انتباهه إليها قائلاً، "أنت تُعلّمينني الكثير". فهو لم يكن واثقاً مما قد يفيده ذلك، ولكنّه أحب مشاركتها تلك التجربة. لقد كان من المسلي رؤيتها في عالمها والتعرف إليها. تناولت كل العجّة التي كان قد طلبها لها ونصف حبة من الكريب فروت التي كانت تريدها على أي حال، وبعدها، وبعد التفكير بالأمر مليّاً، أكلت قطعة من الخبز بالشوكولاته وارتشفت فنجاناً من القهوة. ثم قالت وهي تلقي فنجان القهوة على الطاولة "لم أعد أستطيع مقابلتك يا جون". فنظر إليها من خلف الطاولة مصعوقاً.

"لقد كان ذلك مفاجئاً" وتساءل فجأة ما إذا كان هناك رجل آخر في حياتها. فكان ذلك ليبرّر البعد الذي كان يشعر به من ناحيتها من حين لآخر. كان يظن أنه من باب حماية النفس، لكنه بدأ الآن يتساءل ما إذا كان ناتجاً عن

علاقة رومانسية أخرى. لم يشأ الاعتراف بذلك لكن ظنه قد خاب. "وما الذي دفعك لقول ذلك؟"

"إنه الفطور... إن استمرّيت بإمضاء الكثير من الوقت برفقتك فسأصبح حتماً بحجم هذه الطاولة. أنت مسبب للسمنة. آكل كثيراً جداً وأنا برفقتك". فرمقها بنظرة رضىً وارتياح وارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة.

ثم بدا مرتبكاً بعض الشيء وهو يجيب "ظننتك عنيت ما قلت. أقلقتني لدقيقة" وشعر عندها كم أنه سريع التأثر.

"كنت أعني ذلك. فلا أستطيع أن أصبح سمينة في مهنتي. سأبدو حمقاء حينها. أين هي إذن أناقة محررة أعظم مجلة أزياء في العالم حين يبلغ وزنها مائتي باوناً؟ سيبعدونني عن العمل في الحال، وسيكون الذنب كله ذنبك".

"في هذه الحال، توقفي عن الأكل، فلن أطعمك مجدداً أبداً بعد الآن، وإن رأيتك تضعين يدك على الغداء اليوم، فسأطلب الطبيب وأطلب منه إجراء عملية لمعدتك. برأيي الشخصي، أظن أنه من الأفضل لكِ أن تكسبي بعض الوزن. ولكن من أنا لأسألك أن تجازفي بعملك من أجل وجبة من العجة؟".

"ليست المشكلة في العجة، بل في الخبز بالشوكولاته الذي رافقها. فأنا لا أستطيع مقاومته". وكانت تبتسم حينها فشعر بوخز في قلبه لمجرد النظر إليها.

"سنجعلك تتّبعين حمية من اثنتي عشر خطوة لدى عودتك إلى موطنك. لكنني ما زلت أعتقد أن عليك تناول وجبة الفطور". والحقيقة هي أنها تمتعت بكل لحظة من الفطور برفقته. كانت رفقته جيدة، حتى في الصباح مع العلم أنها لم تكن عادة تحب التحدث إلى أي كان قبل الذهاب إلى المكتب، حتى السيد وينستون. لكن الأمر الآن كان مختلفاً. فتلك كانت باريس، وكانت هناك هالة من الارتياح والسعادة والرومانسية تحيط بها من كل صوب لا سيما في الريتز وهو أحد الفنادق المفضلة لديها في العالم. أما بالنسبة إليه، فهو عندما كان يقصد هذه المدينة، كان ينزل عادةً في فندق ذا كريون. لكنه كان مسروراً هذه المرة لتواجده معها في الريتز.

وقالت بعفوية "عليّ أن أرتدي ملابسي". ثم وقفت حافية القدمين ومرتدية روب الحمام، فشعر لوهلة وكأنه متزوج، بغض النظر عن نظرتها للموضوع.

"تبدين جميلة جداً".

"هكذا؟" ونظرت إليه وكأنه قال شيئاً مضحكاً جداً وهي تمرر يدها في شعرها ثم شدت حزام روب الحمام وبدا اللون القرنفلي الفاتح ناعماً ورقيقاً قرب وجهها. فصدّت الإطراء بقولها "لا تكن مضحكاً". ثم دخلت إلى الحمام وأقفلت الباب. قال إنه سيقرأ الصحيفة فيما ينتظرها، لكنها، حين عادت، وجدته يحدق عبر النافذة. كان تائهاً في أفكاره ثم ضحا حين لامست يدها كتفه. فقد كان على بعد مليون ميل وهو يفكر فيها.

قال بإعجاب "يا لأناقتك!". كانت ترتدي بنطلوناً من الكتان الأسود والأبيض قدمه إليها بالماين السنة الماضية، وكان يُناسبها، وكانت تنتعل صندلاً عالي الكعب لبلاهنيك أسود من جلد السحلية وتحمل حقيبة هرمز من الجلد الأسود الناعم تعرف بكيلي مو. أما شعرها فكان مربوطاً وقد وضعت قرطين كبيرين لونهما أسود على شكل صدفة من تصميم سيمان شابس. بدت أنيقة ورزينة، واللون الوحيد في زيها، كان في سوارها الفيروزي الكبير الذي يلف معصمها. كل مسامها كانت تنطق بأنها رئيسة تحرير مجلة شيك. "هل أنت جاهزة؟" سألها وهما يستعدان لمغادرة الغرفة. كان كل ذلك لائقاً جداً، إنما بدا بطريقة مفاجئة عائلياً، وحين خرجا من غرفة الجلوس في جناحها، دخلا غرفة أدريان ثم خرجا مسرعين. فرفع حاجباً ونظر إلى كليهما وابتسم.

"يا للهول، أليست هذه أنباء سارّة. كنت آمل أن يحدث أمر كهذا. شهر عسل في الريتز". كان ذلك افتراضاً جريئاً من قِبله.

فبدا الإحراج على فيونا التي قالت، "إخرس أدريان" فيما كان جون يبتسم لهما وكان حينها قد ارتدى سترة، ورباط عنق جميل أصفر من مجموعة هرمز. "لقد تناولنا الفطور معاً ببساطة. فاسترح".

فأجاب وهم يخرجون من المصعد، "هذا مخيّب للظن" وبدا وكأن جون

يتقبّل مزاح أدريان المغيظ بروح رياضية. ثم تبادل الرجلان الحديث في المصعد ووقفت فيونا أمامهما. كان سائق أدريان قد تأخر، فذهب الجميع معاً في سيارة فيونا إلى أكاديمية الفنون الجميلة في شارع لافت بانك.

تماماً كما توقعت فيونا، كان العرض رزيناً، إنما أنيقاً ومثيراً للإعجاب ويشكل استعراضاً يختلف كل الاختلاف عن العرض الذي اصطحبت جون إليه في اليوم السابق. أعجب هذا الأخير جداً بذلك وقال إنه أحب ما رأى. وبعد العرض عاد أدريان إلى الفندق ليكلم المصوّر في حين ذهب جون وفيونا لتناول الغداء في لوفولتير. كانت قد بدأت تحس وكأنها أصبحت كسولة. فقد كانت تهتم الآن برفقة جون أكثر من اهتمامها لعملها.

أمضيا ثلاث ساعات مريحة معاً وهما يتناولان الطعام في لوفولتير، وحين اكتظ المكان، كانت فيونا تعرف أكثر من نصف الموجودين هناك. فكان هوبي جيفنشي قد حضر لتناول الغداء، كما وكان قد أتى قبله بارون دو لودنغوسن من إيف سان لوران. كان هناك أيضاً مصممون وشخصيات بارزة ومدراء مصارف. حين طلبا القهوة، راحت فيونا تتبادل الحديث ودياً مع أمير روسي جالسٍ إلى المائدة المجاورة. لقد كانت تعرف الجميع، والأهمّ من ذلك كله هو أن الجميع كان يعرفها.

ثم عاد كلاهما بعد الغداء إلى الفندق لإجراء بعض الاتصالات مع نيويورك، ثم والتقيا مجدداً عند الرابعة والنصف، إذ كانا قد اتفقا على التنزه في فوبور سان أونوريه ثم تبعها عن طيب خاطر إلى لو هرمز. حين عادا إلى الفندق عند الساعة السادسة، كانا قد أمضيا النهار كله معاً، وتفاجأت فيونا لشدة ارتياحها الكلي معه. لقد كان من المريح جداً أن يكونا معاً. فذهبت لتبدّل ملابسها في حين راح هو يرسل بعض الرسائل الإلكترونية عبر كومبيوتره، وحين التقيا مجدداً بعد مرور ساعة، كانت ترتدي بذلة حريرية زرقاء اللون فاتحة. كانا عندها في طريقهما لمشاهدة جيفنشي، الذي تبين أنه جريء بعض الشيء. صحيح أنها قالت إنها قد أحبت بعض تصاميمه إلا أنّ ظنها كان قد

www.rewity.com dodyadodo

خاب فيه من الناحية المهنية. ثم عادا إلى الريتز لحضور حفل كوكتيل شيك الذي كان قد نظمه أدريان بالكامل. كان الجميع موجوداً في الحفل وراحت بالتالي فيونا تتجول بين الحضور وتلقي التحية عليهم وتسلّم باليد على الموجودين. كانت ساعة قد انقضت حين غادرت برفقة جون ليحضرا آخر حفلة لجيفنتشي التي كانت بمثابة حدثٍ مشهديٍّ والتي كانت قد أُقيمت في خيمةٍ في حديقة لوكسمبور. ثم عند منتصف الليل قصدا أحد المقاهي لبضع دقائق، لأنها كانت قد وعدت بعض الأشخاص بأن تلتقي بهم هنالك. فلاحظت مندهشة أن الساعة كانت الثانية والنصف صباحاً حين غادرا. فلطالما كانت الأحداث تجري في ساعات متأخرة من الليل في باريس، وكنتيجة لذلك، كانت الليالي تطول.

فسألها جون حين استقلاّ المصعد معاً "أهذه هي الحال دائماً حين تأتين لعروض الأزياء؟" لم يكن يود الاعتراف بذلك ولكنه كان منهكاً. فهي كانت تعيش حياة تكاد تقتله خلال أسبوع، وأدرك بالتالي أنه من الأسهل بكثير على المرء، أن يعمل ضمن مكتب وأن يتناول العشاء خارجاً مرتين في الأسبوع. حتى أنه لم يكن بإمكانه البدء بالتفكير بكل ما أنجزاه وشاهداه في يومين. أما هي فلم تبدُ متعبة حتى، حين كانت تبحث في حقيبتها عن المفتاح.

"أجل، الأحداث هنا كثيرة ومتسارعة" ثم ابتسمت قائلة "أترغب في يوم عطلة غداً؟ سأقصد شانيل صباحاً، وغوتييه بعد الظهر".

لم يفهم شيئاً مما قالته، وشعر وكأنها تتكلم الصينية، لكنه كان يحب رنة تلك الكلمات بين شفتيها.

"ما أنا لأفوّت عليّ ذلك مقابل أي شيء. فأنا أتثقّف". ثم تساءل ما إذا كان من الغريب بالنسبة إليها أن تُشاهد برفقته باستمرار. فهذا الاحتمال لم يكن قد خطر على باله من قبل، وعلاوة على ذلك فإن هذه الرحلة لم تكن ترفيهية بالنسبة إليها، إنما رحلة عمل. "أتفضلين الذهاب وحدك يا فيونا؟" بدا قلقاً وهو يسألها ذلك لكنها ابتسمت له وهي تتكئ على باب جناحها. شعرا وكأنهما صديقين منذ زمن بعيد الآن، وهي كانت ترتاح لرفقته بشكل مثير للدهشة.

فأجابته بصدق "أفضل الذهاب معك، فأنتَ تجعل الأمر مسلياً أكثر فيصبح أشبه بالقيام بما هو جديد". فكان ذلك كلاماً لطيفاً، ومن دون أن يتفوه بكلمة، لامس خدها برفق.

"أحب أن أكون معك أيضاً". أحبَّ ذلك أكثر مما كان يحلم. فهذان اليومان اللذان كان قد أمضاهما معها قد حُفرا في ذاكرته، ومن دون أن يفكر، مال نحوها ببطء، وما شعر بنفسه إلا وهو يعانقها ويقبلها عند باب جناحها. بقيا هناك طويلاً، وخطر لجون أنه قد يصادف مرور أدريان في طريقه إلى غرفته. لكنه لم يشأ أن يقتحم غرفة فيونا. فبقيا هناك يتبادلان القبل، ويعانق أحدهما الآخر حتى همست في أذنه بصوت مخملي.

"أتود الدخول؟".

فردّ هامساً "ظننتك لن تسألي ذلك يوماً" فقهقهت برقة وهما يدخلان إلى غرفة الجلوس وأوصدا الباب وراءهما بهدوء. شعر لبرهة كل منهما وكأنه طفل شقي استغفل والديه. فخلعت حذاءها ووقفت أمامه حافية القدمين في حين كانت قد خلعت سترتها مسبقاً. كل ما كان يشغل تفكيره، كان فيونا وضمّها بين ذراعيه مجدداً. أمسكت يده حينها وتبعها إلى غرفتها. كان السرير مرتباً بامتياز وكأنه سيستقبل ثنائياً ملكياً. فقبلها ثانية، وأطفأ النور ثم لحق بها إلى سريرها. واختفت بالتالي ملابسه في الظلام بخفة اختفاء ملابسها وما هي بالتالي إلا لحظة حتى كانا في السرير، يحضن أحدهما الآخر طويلاً ويتذوق روعة اللحظة. عندها، ومع أن موجة من البرودة كانت قد أصابتهما سابقاً، اجتاح الشغف كل منهما. كانت تلك ليلة طويلة ما أمل أو حلم حتى بها أي منهما. لكن لو كان لأي منهما حلم يوماً، لكان تلك الليلة التي أمضياها معاً.

الفصل السادس

حاولت فيونا أن تبدو محترمةً ورزينة حين غادرا إلى عرض شانيل في الصباح التالي، وكان جون قد ارتدى بذلة رمادية وقميصاً أبيض ورباط عنق كحلي بلون الليل فبدا وكأنه ذاهبٌ إلى اجتماع عمل في حين أن فيونا وكما لو أنها تريد التعويض عن جنون الليلة السابقة، ارتدت سترة رسمية سوداء اللون لشانيل مع تنورة قصيرة. لكن كل ما أنجزته بذلك، كان أنها بدت جذابة أكثر من أي وقت مضى. فهذا على الأقل ما فكر به جون حين أخذها بين ذراعيه وضمها بشدة إليها فيما كان المصعد في الريتز يتجه نحو ردهة كامبون الرئيسة، ففهقهت فيونا.

فقال مازحاً، "تبدين بمزاج جيد هذا الصباح" وكان في الواقع كلاهما كذلك لسبب وجيه. فقد كانت تلك ليلة مميزة لكليهما.

"كنت فقط أفكر بكاميرات المراقبة في المصعد. يمكننا حقاً أن نقدم لها شيئاً جديراً بالملاحظة". ثم ضحكت ثانية لكن فُتح عندها الباب وكانت عائلة يابانية بانتظار أن تدخل. فتبع جون فيونا شاداً رباط عنقه وشعر كلاهما وكأنّ العالم بأسره كان بإمكانه رؤية ما حصل بينهما الليلة الماضية، وقد بدا ذلك بديهياً جداً لهما. "هل تنورتي قصيرة جداً؟" سألته قلقةً فيما كان أحد رجال الأمن يسمح لهما بالخروج عبر باب كامبون الذي يكون مقفلاً عادة. فهم كانوا قد فتحوه خصيصاً من أجلها ولم يكن بالتالي عليهما سوى أن يعبرا الطريق ليصلا إلى شانيل. وإلا لكان عليهما أن يسلكا الطريق كلها من حول ساحة فاندوم وهذا أمر غير منطقي.

"أظن أنه من الأفضل عليها أن تكون أقصر"، قال ذلك بصوت خفيض

وقد وصلا إلى شانيل. كان هناك في الخارج حشد كبير من الناس الذين كانوا بانتظار أن يدخلوا، ومجموعة معتادة من الصحافيين الفضوليين والمصورين الشرعيين. كانت دار شانيل صغيرة، وكانت المجموعة التي تحضر العروض من النخبة المختارة. فما أن رأوا فيونا حتى أفسحوا لها الطريق بين الحشد وسمحوا لها بالدخول. فتأبطت ذراع جون الذي كان يمشي إلى جانبها فيما كان المصورون يسترقون صوراً لهما. فسألها برقة "هل كل شيء على ما يُرام؟" إذ لم يكن يريد خلق مشكلة لها. ففي النهاية، هي مشهورة ولم يكن يعلم ما إذا كانت تمانع أن تُصوَّر برفقة رجل.

لكنها ابتسمت للكاميرا ثم ابتسمت له قائلةً، "كل شيء على ما يرام. أنتَ تبدو رائعاً". ثم تسلقت السلالم برزانة وجلسا بعدَ ذلك على مقعديهما. وخلافاً للعروض الأخرى، بدأ عرض شانيل في الوقت المحدد تماماً، وكان اللباس محتشماً ورائعاً. عزفوا موسيقى موزارت عند دخول العارضات بين المقاعد، وكانت الأناقة والتقاليد أساس كل مظهر من مظاهر العرض. لقد كانت الأزياء وكأنها مناسبة لزيارة امرأة مسنة لشرب الشاي. أمّا كارل لاغرفالد فكان قد صمّم مجموعة أثرت في الجميع تأثيراً عميقاً، وفستان الزفاف في الختام كان استعراضياً تماماً كما أخبرها أدريان. فالتقط الجميع أنفاسهم لدى رؤيتهم الفستان المخملي ذا الطرحة المصنوعة من فرو القاقم، ووقف الحضور ترحيباً بلاغرفالد نفسه حين أطل عليه. علمت فيونا أن الصحافيين سيركزون كثيراً على الصور، وهي كانت بالتالي بالكاد تستطيع الانتظار لطباعتها في شيك. لقد كان فستان الزفاف إبداعاً حقيقياً وكذلك المجموعة كلها.

فقال لها جون حين كانا يشقان طريقهما عبر الحضور للخروج "من المؤسف أنه كان فستان زفاف. لكان بدا رائعاً عليك". لم تتمكن فيونا من حبس ضحكتها حين كانت تنظر إليه مبتسمة.

"شكراً على الإطراء. أنا لم أرَ الأسعار بعد، ولكنني أظن بصراحة أنّ

ثمن ذلك الفستان يساوي على الأرجح ثمن بيت صيفي صغير، وهم لا يقدمون فساتيناً كذلك للمحررين مجاناً".

فقال بأسف، "هذا مؤسف حقاً"، لكان بدا رائعاً عليك".

كانا لا يزالان يضحكان ويتحدثان حين أدخلهما رجل الأمن مجدداً إلى الفندق ثم تناولا الغداء في الحديقة. بعد ذلك، سارعا إلى غوتييه برفقة أدريان. فغوتييه كان عرضه المفضل، وكانت المجموعة كلها لتلك السنة باللون الأحمر، بما فيها معاطف الفرو، وهي كانت من وحي الصين. لقد كانت مدهشة حقاً لكن فيونا بدت أقل حماسة حيالها منه.

أما العرض الأخير الذي حضراه فكان في وقت متأخر من بعض الظهر وكان لفالنتينو، وهو كان يتّسم بالأناقة بقدر ما كان عرض شانيل. كالمعتاد، كان فالنتينو أيضاً قد نفّذ الكثير باللون الأحمر، وللمرّة الأولى، كانت فيونا متعبة حين عادا إلى الفندق. فقد كانت لديها ملايين الملحوظات والصور لتراجعها، لكنها كانت ستقوم بذلك في الصباح، بعد مغادرة جون. فاتفقا لليلتهما الأخيرة، على تناول العشاء في مطعم بسيط على متن إحدى البواخر الصغيرة وأرادا بعد ذلك أن يتنزها في شارع ليفت بانك. فهي كانت ستقصد سان ترويبز بعد مغادرة جون بيوم، في حين أنّ أدريان كان يخطط للعودة إلى نيويورك حين تفعل، إذ كان لديه الكثير لينجزه هناك. في الواقع، لطالما كانت الحسابات التي تلي عروض باريس تبقيهم منشغلين لأسبوعيْن. لكنّ فيونا قررت الذهاب في عطلة لمدة أسبوعين كاملين. فهي لم تكن قد توقفت كذلك عن العمل لوقت طويل منذ سنوات. لكنها كانت تشعر أنها فعلاً بحاجة إلى ذلك.

"تبدين متعبة، أتودين فنجاناً من الشاي؟" سألها جون بقلق فهزّت برأسها ممتنة وسعيدة بأن تستلقي على الأريكة قليلاً فيما كانت تقرأ الرسائل التي تلقتها. لقد كانت ليلتهما السابقة قصيرة وهما لم يناما جيداً. فطلب الشاي لها وله أيضاً، وجلسا يسترخيان على الأريكة، ويتحدثان بشأن العروض الثلاثة

التي حضراها ذلك اليوم. ثم هنّأته على حضوره كافة عروض أسبوع الموضة. "يعود الفضل في ذلك إليكِ. فأنا لن أعرف حتى كيف أصف ذلك لأحد. كان ذلك خيالياً يا فيونا". ثم انحنى فوقها وقبلها. "وكذلك أنتِ". فهو لم يشعر بمثل هذه السعادة منذ سنين ولم يعرف يوماً أحداً مثلها. لقد كانت ساحرة ومثيرة ومدهشة وغامضة كله في آنٍ معاً. كانت كحيوان خلاب يركض في الغابة يركض طليقاً لكن جماله لا يُنتسى حين تتوقف لتنظر إليك. كان مغرماً بها من رأسه حتى أخمص قدميه وهو لم يكن يعرفها سوى منذ أسابيع. لقد كانت فيونا مصدومة بالأمر وسرّه ذلك أيضاً. فهي كانت مجنونة بحبه تماماً بقدر ما كان هو. لكنها كانت تخشى أن يكون ذلك ظاهرة خاصة بباريس وبإثارة الرحلة. فقد كانت تخشى أن يبطل السحر ما أن يعودا إلى موطنهما وأخبرته بكل ذلك فيما كانا يرتشفان الشاي.

"لا تكوني متشائمة إلى هذا الحد يا فيونا"، قال ذلك مؤنباً ثم أضاف "ألا تظنين أنه بإمكاننا أن نقع في الحب في سننا؟ فالناس يقعون في الحب دائماً ومنهم من هم حتى أكبر منا سناً بكثير. لمَ ينبغي ألا يكون هذا حقيقياً؟".

فنظرت إليه بقلق وأجابت "وماذا لو لم يكن كذلك؟" لكنها أرادته أن يكون كذلك أكثر مما أرادت أي شيء منذ سنوات. فهي أيضاً لم تعرف قط رجلاً مثله جباراً، وقوي الشخصية، وعقلانياً، ودافئاً، وعاطفياً، وذكياً، ولطيفاً، ومنطقياً، وبدا قادراً تماماً على تحمل جنون مهنتها المؤقت حتى في أسبوع عروض الأزياء؛ وعلاوة على ذلك، فهو كان قد أحب أدريان الذي كان يشكل شيئاً ثابتاً في حياتها. لم تكن واثقة تماماً من مستقبل علاقته بالسيد وينستون، ولكن من الممكن تدبر ذلك الأمر. أما سائر الأمور فقد بدت لها ممتازة، مع أنها كانت تعلم أنها ليست ولن تكون أبداً كذلك. لكنّ كل شيء بالطبع كان يبدو وكأنه ممتاز. بدا لها جون وكأنه كل ما أرادته يوماً وأتى ذلك كله مجتمعاً في إنسان واحد. أمير أحلامها. فهو لم يكن جذاباً وحسب، إنما كان أيضاً مميزاً ومثيراً، ولامع الذكاء. كان يتحلى بكل تلك الصفات.

ثم قال لها بثقة "لا تكوني هرة جبانة". أرادها أيضاً أن تتعرف بابنتيه، وهو كان واثقاً أنهما ستحبّانها ولو فقط لأنه يحبها.

"سأشتاق إليك حين أذهب إلى سان تروبيز" قالت ذلك وهي تقضم كعكة. كان الآن ذهابها يؤسفها. سوف يكون ذلك مضجراً وموحشاً من دونه. وهي كانت قد تلقت في الليلة السابقة رسالة تقول إن أصدقاءها الذين كانوا سيوافونها بقاربهم قد احتُجزوا في سردينيا، بسبب الطقس السيئ وهيجان البحر فقرروا المكوث حيث هم. كانت إذاً ستبقى وحيدة في فندق بيبلوس في سان تروبيز.

"يمكننا فعل شيء حيال ذلك، إن كنت تريدين. لكنّي لا أريد أن أكون دخيلاً على عطلتك، يا فيونا، فأنت بحاجة إليها. على أي حال أنتِ لن تغيبي سوى أسبوعين". بدا ذلك له بمثابة دهر.

فسألته باهتمام "وما الذي يجول في خاطرك؟".

"يبدو هذا جنونياً قليلاً، لكن إن كنت ترغبين بذلك، يمكنني إرجاء بعض المواعيد. ففي هذا الوقت من السنة، يكون الجميع تقريباً في عطلة، وابنتَيَّ منشغلتان. بإمكاني إذن مرافقتك إن كنت طبعاً تريدين ذلك. لكن إن كنت تفضلين ألا أفعل، فأنا سأتفهم تماماً. يمكنني أن أشغل نفسي للأسبوعين المقبلين". لكنها كانت قد بدأت تنظر إليه بدهشة.

"أتفعل ذلك حقاً؟ أيمكنك ذلك؟" كان ذلك جنونياً وهي كانت تدرك ذلك لكنها لم تأبه. بدأت تحب التواجد معه وأرادت أن تذهب إلى سان تروبيز برفقته، إن كان يستطيع تدبر ذلك.

"أستطيع، وأود وأفعل ذلك. أيبدو هذا جيداً لك؟".

"بل يبدو لي مدهشاً". فاتصل بسكرتيرته بعد نصف ساعة، فيما كانت فيونا تستحم وترتدي ملابسها استعداداً للسهرة. ثم خرجت مرتدية بنطلوناً فضفاضاً من الحرير وسترة من الحرير أيضاً بيجيّة اللون وشفافة بعض الشيء. لطالما نجحت في أن تبدو أنيقة وجذابة، وكانت تنتعل حذاءً أحمر حريرياً لسهرتهما غير الرسمية في باتو لو موش.

"أيمكن لسكرتيرتك تدبر الأمر؟" سألته كطفلة تنتظر العيد، وكانت تشير بذلك إلى تعديل مخططاته.

فضحك للسؤال وقال. "لم أعطها مجالاً للاختيار، إذ قلت لها إن عليها القيام بذلك. هذا جنوني قليلاً، لكن اسمعي يا فيونا، لا يعيش المرء إلا مرة واحدة. ومن يدري متى سنحظى بفرصة كهذه ثانية، فكلانا مشغول جداً. أنتِ سبق وأخذت فرصتك، فأقل ما يمكنني بالتالي فعله هو تعديل برنامجي ليتماشى وبرنامجك". كان يبتسم لها، جالساً على سرير غرفتها، فطوقته بذراعيها ممتنة لعثورها عليه ولكونها معه.

"أنت مدهش حقاً". ولكن كان هو من يظن أنها كذلك.

بعد ساعة من ذلك كانا على الباخرة يتناولان العشاء ويأكلان شرائح لحم البقر والبطاطا المقلية، ويمشيان على ضفة السين، يشاهدان الأضواء والمتاحف الباريسية. كان ذلك أمراً مألوفاً يقوم به جميع السياح إجمالاً، لكن أعجب كلاهما بالفكرة وسرهما أنهما قاما بذلك. كانا يناقشان برامجهما لسان تروبيز، وأراد جون أن يتصل بسمسار مراكب يعرفه ليرى إن كان بإمكانه استئجار واحد ليوم أو يومين. بدا ذلك رومانسياً وخيالياً لفيونا، وكانا بالتالي سيبقيان إلى ذلك الوقت في غرفتها في بيبلوس، الأمر الذي سيكون ممتعاً أيضاً. شعرت وكأنها تحلم في كل مرة كانت تنظر إليه.

تنزّها بعد ذلك في ليفت بانك، وتناولا شراباً في ساحة دو ماغو، واشترى لها لوحات صغيرة بسيطة من فنان في الشارع، كتذكار من أيامهما الأولى في باريس ثم عادا إلى الفندق عند منتصف الليل، وكادا يتسابقان إلى غرفتها، حيث سهرا طويلاً إلى حد أنها استغرقت في نومها صباحاً، ولم تستيقظ إلا حين طرق أدريان بابها ليودعها. لقد كان مغادراً إلى المطار، وهو كان قد أنجز أعماله كلها في باريس.

"ظننتكِ تعملين" قال بنبرة اتهامية. لكنها كانت تعلم أنه لم يقصد ذلك.

فحاولت تبرير موقفها قائلة "أنا أعمل... أعني سأفعل... كنت مرهقة".

"وأنا أيضاً. فأنا أعمل منذ الساعة السادسة، وأنت ما زلتِ نائمة حتى العاشرة والنصف. أريد احتلال منصبك حين أكبر". ثم لاحظ وهو يقول ذلك حذاءً رجالياً موضوعاً بترتيب تحت الطاولة الصغيرة، فرمقها بنظرة ملؤها الدهشة وقال "لا أظنك تنتعلين حذاءً رجالياً إلا في حال في حال كبرت قدماك كثيراً، أظنك. أفترض أنه في غرفتك".

"إهتمّ بشؤونك" قالت له بلطف وهي كانت قد أقفلت الباب المطل على غرفة النوم حيث كان جون لا يزال نائماً. فهما لم يخلدا للنوم إلا عند الرابعة صباحاً، لكن الأمر كان يستحق ذلك.

"كم ستعطينني كي لا أخبر السيد وينستون بذلك؟".

"ثروتي كلها"؟

ثم قال بخبث "وسوارك الفيروزي أيضاً؟ يمكنني تعديله كي يناسبني".

"إلاّ هذا! فلتذهب وتخبره إذاً".

"ربما عليّ القيام بذلك ببساطة. هل ما زلتِ ذاهبة إلى سان تروبيز؟" لم يرها قط كذلك من قبل، وقد أحب الأمر كثيراً. كل ما كان يريده هو أن تسعد، وهو كان قد أعجب بجون منذ قابله. فوجده رائعاً ومناسباً لها. كان كلاهما محظوظاً وكانت تستحق ذلك. فخلال كل سنين معرفته بها، لم يعجبه أي من الرجال الذين كانت فيونا على علاقة بهم وبالأخص ذاك المهندس المتزوج من لندن. أما قائد الفرقة الموسيقية الذي أراد أن يتزوج منها، فكان يجده سخيفاً. لكنّ جون كان الرجل الوحيد الذي رآه برفقتها وكان يستحقها.

فأجابته ببراءة "أجل ما زلت ذاهبة إلى سان تروبيز." لكن أدريان كان يعرفها أكثر من أن يخطئ فهمها.

"هل سيرافقك؟".

"أجل" وابتسمت بمكر.

"أيها الولدان الشقيان! حسناً، رحلة ممتعة إذن" قال ذلك وهو يعانقها.

www.rewity.com dodyadodo

"إتصلي بي إن احتجت أن تخبريني أي شيء، وأرسلي لي بالبريد السريع كل شيء قبل رحيلك". لقد كان لديها الكثير من الأعمال لتنجزها في ذلك اليوم قبل أن تبدأ عطلتها، وهي كانت تنوي إتمامها كلها. سواء أكانت مغرمة أم لا، كانت فيونا امرأة تنجز كل شيء في أوانه، وما كان بالتالي شيء ليغيّر ذلك.

"أعدك بذلك، مع السلامة... أحبك" ثم عانقته ثانية وغادر حاملاً حقائبه وقبعته المصنوعة من القش وحقيبة يده المصنوعة من جلد التمساح والتي تتناسب مع صندله.

"أحبك أيضاً. سلمي لي على جون. قولي له إنني سأتدبر أمر السيد وينستون". ثم لوّح لها بيده للمرة الأخيرة واختفى في المصعد حين كانت ترد باب الجناح، ثم أوصدته بهدوء. لم تشأ أن توقظ جون لكنه كان يتقلب حين تسللت من جديد إلى الفراش بالقرب منه.

"من كان ذلك؟" سألها وكان النعاس بادٍ على صوته، ثم لف ذراعه حولها واستدار نحوها. كانت تحب منظره في الصباح.

"أدريان. لقد غادر لتوه. لكنه حاول ابتزازي، إذ قال إنه سيخبر السيد وينستون. يريد مقابل صمته سواري الفيروزي. فقلت له أن ينسى الأمر".

"أيعلم بالأمر؟" قال جون فاتحاً عينيه وناظراً مترقباً الجواب "أخبرته؟!".

"لقد رأى حذاءك تحت الطاولة".

وما المبلغ الذي طلبه مقابل عدم إخبار الكلب؟".

"ليس كلباً".

"آسف، لقد نسيت... اقتربي، هيا يا حلوتي، أنتِ يا..." وضمها أكثر إليه، ثم بدأ نهارهما تماماً مثلما انتهت ليلتهما الماضية.

الفصل السابع

أنجزت فيونا عملها كله وأرسلته إلى أدريان قبل مغادرتها مع جون إلى سان تروبيز، وتمكن جون من إيجاد مركب شراعيٍ بطول مائة وأربعين قدماً معروض للاستئجار وكان السمسار قد أكد له إنه جميل، فانطلقا إلى سان تروبيز بمعنويات عالية. كان جون قد ترك رسالة لابنتيه يقول لهما فيها إنه باق في فرنسا لأسبوعين آخرين لكن كناهما كانتا في الخارج حين اتصل بهما.

ما إن وصلا إلى نيس كانت هناك سيارة ليموزين بانتظار فيونا لتقلهما إلى سان تروبيز وفندق بيبلوس. لقد كان لديها جناح رائع هناك، وكان المركب سيوافيهما في الصباح التالي.

أمضيا بعد ظهر ذلك اليوم ساعة على الشاطئ، ثم قاما بجولة على المحال التجارية، وتوقفا بعد ذلك عند أحد المقاهي. ثم اصطحبته تلك الليلة إلى المطعم الصغير المفضل لديها، وكان صاخباً ومكتظاً كما حذرته من أنه قد يكون. وبعد التنزه قليلاً، عادا إلى الفندق، وسرّهما أن يناما متعانقين. فغطّا في النوم هذه المرة، ما أن ألقيا رأسيهما على الوسادة. كان ذلك أسبوعاً طويلاً وحافلاً بالشغف والناس والإثارة، وهما كانا متحمّسين لكونهما في عطلة على انفراد.

وفي الصباح التالي، صعُقا لدى رؤيتهما المركب. فأمضيا بياض نهارهما وهما يبحران مع تسعة بحارة، وسواد ليلهما في مرفأ مونتي كارلو، حيث تناولا عشاءً رومانسياً وأبديا فرحهما لكونهما معاً في مكان باهر كهذا.

"كيف حدث ذلك؟" سألته فيونا بدهشة "هل فانتي أمر؟ متى مُتَّ وصعدت إلى الجنة؟ من أين لي بكل هذا الحظ؟" فهي لم تكن تحلم بإيجاد شخص مثله، وهو كذلك. كانت فيونا فاتنة.

"لعل كلانا يستحق هذا" قال ذلك ببساطة.

"هذا سهل جداً. أشعر وكأنني ربحت اليانصيب".

لكنه صحّح قولها، "لا بل ربحناه معاً". وأمضيا في الأسبوعين التاليين وقتاً مثالياً، وقتاً يفوق كل الآمال والأحلام والأماني. كان المركب معهما طيلة الأسبوع الأول فقط، فاستفادا منه جيّداً، وأمضيا معاً بعد ذلك وقتاً عادياً بعض الشيء. لكنهما استمتعا بذلك أيضاً، كما واستمتعا في سان تروبيز أيضاً حيث ذهبا إلى الشاطئ وقصدا المطاعم الجديدة. لكنّ العطلة انقضت كلها بسرعة، وبدا لهما الأمر وكأنهما يعودان إلى مطار نيس بعد مرور دقائق فقط على مغادرتهما إياه، ليطيرا مجدداً إلى باريس ومنها إلى ديارهما في نيويورك. كانت هذه المرة الأولى التي لا تجد فيها فيونا نفسها متحمّسة للقاء السيد وينستون. فيما كانا في طريق العودة، راحا يناقشان الطرق التي سيمضيان بها ما تبقى من فصل الصيف.

فكان جون قد سبق وشرح لها أن ابنتيه ستكونان منشغلتين حتى عيد العمّال، وأن مدبّرة منزله قد ذهبت في عطلة لتزور عائلتها في شمالي داكوتا، وأن كلبته ستمضي عطلة الصيف في مأوى للكلاب إذ أنها كانت بحاجة إلى عناية فائقة، ولم يكن هو قادراً على الاهتمام بها كما يجب في أثناء غياب مدبرة منزله. أما بعد تمضيتهما عطلة عيد العمّال معه، فكانت ابنتاه ستعودان إلى الجامعة، إلا أنه كان يراهما بانتظام خلال العام الدراسي. فابنته كورتني غالباً ما كانت تأتي إلى المنزل في عطلة نهاية الأسبوع إذ أنها كانت وحيدة في بيرنستون. أما هيلاري فكانت تبذل كل ما في وسعها لتأتي من براون مرة في الشهر، إلا في أثناء فترات الامتحانات. قال إنها كانت طالبة دؤوبة جداً. فهي كانت تريد أن تصبح عالمة محيطات وكانت ستتطوع للعمل في ذلك

صيف في أحد مختبرات لونغ بيتش في كاليفورنيا. كان جون قد سبق وقال لها ألف مرة إنه كان واثقاً من أنها ستحبهما. فهو لم يكن يشك في ذلك إطلاقاً، وأنهما ستغرمان بها تماماً كما فعل هو. كان ذلك سهلاً. لكنه كان أقل تأكداً من كيفيّة تفاعل فيونا معهما إذ أنه لم يكن لديها يوماً أولاد. لكنهما لم تعودا طفلتين بل أصبحتا امرأتين. إذاً لا بد أن تكون فيونا مرتاحة معهما، هذا ما قاله لنفسه، وكان واثقاً أنهن ستصبحن صديقات حميمات. فقد كانت ابنتاه بحاجة إلى رفقة امرأة بالغة سيما وأن كلتيهما تفتقدان أمهما كثيراً، وقد سبق لفيونا أن قالت إنها ستذهب معهما للتبضع. فهي لم تكن تعرف الكثير عن الأولاد والشباب، لكن التبضع كان أمراً تجيده حقاً، وفكرت بالتالي أن تلك قد تكون طريقة سهلة للتعرف إلى ابنتيه.

"إذاً ما الذي سنفعله حين نعود إلى ديارنا؟" طرحت فيونا سؤالها وهما جالسان في قاعة الانتظار الخاصة بمسافري الدرجة الأولى في مطار شارل ديغول ينتظران طائرتهما إلى نيويورك.

"بشأن ماذا؟ كنت أفكر أنه ربما بإمكاننا إيجاد منزل في هامبتونز نستأجره من أجل عطل الأسبوع". فلا بدّ من وجود منزل خالٍ لا يريده أحد؛ وهما كانا يحبان البحر والمناطق البعيدة عن المدينة؛ وإلا، فبإمكانه استئجار مركب آخر في أي وقت، الأمر الذي كان يروق لكليهما أيضاً. كانت الاحتمالات بلا حدود، لكن فيونا كانت تخطط لأمر آخر. والجدير بالملاحظة هنا هو أنهما كانا قد انتقلا مباشرة من المواعدة واحمرار الوجنتيْن خجلاً، إلى التشوّق لكي يكونا معاً طوال الوقت. فهو كان قد أخبرها الكثير في سان تروبيز.

"أتود الإقامة معي في منزلي حتى عودة مدبرة منزلك؟" سألت فيونا. وهو كان قد فكر بالأمر بنفسه لكنه لم يشأ أن يكون وقحاً وأن يقترح ذلك عليها.

"ولكن كيف سيشعر برأيك السيد وينستون حيال ذلك؟ ألا تظنين أنه علينا أن نسأله رأيه أولاً؟".

"لا تقلق، سأتفاوض أنا معه حول هذه المسألة. ما رأيك بالأمر؟".

"أظنها فكرة ممتازة. فأنا لا أستطيع أن أعتني وحدي بالمنزل في أثناء غياب السيدة ويسترمان، وليس لديّ شخص آخر يقوم بالتنظيفات. أما خدمة المنازل فهي لا تأتي إلا مرة واحدة في الأسبوع فقط. أظنّ الأمور في منزلكِ أسهل بعض الشيء، خاصة بوجود جمال، ومن الأسهل لكِ أن تكوني بالقرب من الكلب... عفواً، من ابنك. أقصد، السيد وينستون".

فأجابت مبتسمة "هذا أفضل". أحبّت الفكرة كثيراً، ثم راحت فجأة تفكّر بخزاناتها مذعورةً. فهي لم يكن لديها إنشٌ واحد خالٍ فيها، وكان عليها بالتالي إيجاد مكان لثيابه فيها بأسرع ما يمكن. فراحت تتساءل ما إذا كان يمانع باستخدام خزانة غرفة الضيوف في الطابق السفلي. فصحيح أنها كانت تحتفظ فيها بمعطفها المصنوع من الفرو وثياب التزلج، إنما كان بإمكانها على الأرجح إيجاد مكان لثيابه فيها... أو ربما في خزانة مكتبها... لكنّ هذه الأخيرة لم تكن تحتوي على مكان للتعاليق... أو ربما أيضاً في خزانة الحمّام... لكنها كانت مليئة بقمصان نومها وملابس البحر وبعض قمصان النوم القديمة. كان عليها أن تدبّر له مكاناً ما، وكان جون يتميّز برحابة صدره، كما وأنه كان مهذباً جداً وسهل الإرضاء، وقد أحبت ذلك فيه. لم يبدُ صعب المزاج، وبدا مَرِحاً.

توجها تلك الليلة مباشرة إلى منزلها. وكان جمال قد نظفه لها وملأه بالزهور. كما وكان قد ملأ لها الثلاجة بكل ما كانت تحب. لم تشعر بمثل تلك السعادة العارمة في حياتها، وكان من المفترض بالسيد وينستون أن يعود إلى المنزل في اليوم التالي، فكانت بالتالي تتحرّق شوقاً لرؤيته.

أعدّ لها جون الفطور، في الصباح التالي، فحضّر لها عجةً بالجبن وبعضاً من المافينز، ثم غادرا معاً المنزل، كلٌ إلى مكتبه. وصل جمال عند خروجهما تماماً، فحدّق إلى فيونا متفاجئاً. فهو كان قد رأى خلال تلك السنوات بعض الرجال يمضون الليلة عندها من وقت لآخر، كما وكان قائد الفرقة الموسيقية يقيم معها أيضاً، لكنه لم ير منذ وقت طويل، أحداً عندها في المنزل

عند الصباح. لم يكن يعلم إن كانت هذه نزوة عابرة، أم أنه كان ليبقى هناك، لكن ما لبثت كلماتها التالية أن شرحت الأمر.

"حَضرَته يكون السيد أندرسون يا جمال. أنا بحاجة إلى مفتاح له". وأتت كلماتها مقتضبة وسريعة، إذ كان لديها اجتماع هام في المكتب، وكانت بالتالي على عجلة من أمرها. "حضّرْ له نسخةً عن هذا المفتاح واتركه لي على مكتبي". ثم ذكّرته بأنّه عليه أن يكون هنا حين يُحضرون السيد وينستون عند الرابعة. ثم أوقفت بعد ذلك سيارة أجرة في الوقت عينه مع جون، وقبّل أحدهما الآخر في الشارع، ثم ذهب كلٌ منهما لمواجهة يومه في العمل.

كانا قد تواعدا على الالتقاء في منزلها تلك الليلة. لكنه كان سيقصد شقته أولاً ليجلب بعض الأغراض. لقد كان الأمر برمّته بهذه البساطة، وها هي قد أصبحت فجأة تعيش مع رجل في منزلها، وإنْ لفصل الصيف فقط أو أقله إلى حين عودة ابنتيه ومدبرة منزله. لكنها افترضت أنه قد يعود للعيش معها مجدداً ما أن تعود ابنتاه إلى الجامعة، وكانت تأمل أن يحصل ذلك فعلاً. كما وكانت تريد أن ينجح ذلك أكثر من أي شيء آخر. لقد كانت تحبه بصدق، وتجده رجلاً خارقاً وكانت تعلم أنه يشعر بالشيء نفسه حيالها. يا لهما من محظوظين!

"كيف كانت سان تروبيز؟" سألها أدريان وعلى وجهه ابتسامة السائل العارف حين دخلت من الباب وعلى ذراعها الكثير من الأوراق والملفات والمجلات التي عادت بها من باريس. فقد كان لديهما الكثير ليتكلما بشأنه.

"رائعة". ومن نظرتها تمكن أن يرى أنها لم تكن يوماً مرتاحة بقدر ما هي الآن.

"وأين هو الآن؟".

"في المكتب".

ثم سألها مازحاً، "وأين كان ليلة أمس؟". لقد كان بمثابة أخٍ لها، ولم يكن ذلك ليضايقها قط. فهي لم تكن تخفي عنه شيئاً تقريباً.

"هذا ليس من شأنك".

"هذا ما اعتَقَدتُه. ألم تخبري السيد وينستون بعد؟".

"سنطلعه على الأمر هذا المساء".

"اتصلي إذن بطبيبه البيطري وأحضري له مهدئاً للأعصاب. فقد يتسبّب له ذلك بصدمة".

"أعلم" ثم أخفضت صوتها قائلة، "لديّ مشكلة خطـرة ولا أدري كيـف أحلّها".

فالتفت إليها قلقاً "آمل ألا تكون خطرة جداً".

"قد تكون كذلك يا أدريان. فأنا بحاجة لأن أدبّر له مكاناً يوضب فيه ثيابه إذ لا مكان لذلك في خزاناتي".

"لماذا؟ هل سينتقل للعيش معك؟" سأل أدريان وقد بدا معجباً بالأمر. كان ذلك سريعاً. لكن هكذا تكون الأمور أحياناً. وهذا في الواقع ما كان قد حصل.

"نوعاً ما، أقلّه لفصل الصيف. حتى عودة مديرة منزلـه. أقسـم بأنـه سيقضي عليّ في حال أحضر معه اليوم الكثير من الثياب، لقد تحققت من كل خزاناتي ليلة أمس. فمعاطفي الفرو معلّقة في غرفة الضيوف، وثيابي الصيفية في الطابق العلوي، أمّا فساتين السهرة وقمصان النوم وثياب المكتـب – يـا للهول يا أدريان! لديّ ثياب وأغراض أكثر مما هناك في أي متجر. لا مكـان لديّ لاستيعاب رجل في منزلي".

"الأفضل أن تدبّري له مكاناً وبأسرع ما يمكن. فالرجال لا يحبون البحث عن أغراضهم وثيابهم بين فساتين السهرة وبالتالي فإن لم يكـن يلـبس ثيابـاً نسائية، فأنتِ تواجهين مشكلة حقيقية إذن".

"إنه لا يرتدي الثياب النسائية".

"لقد قضي عليك إذن. بيعي بعضاً من ملابسك".

"لا تكن سخيفاً. عليك أن تفكّر لي بحلٍّ ما".

"أنا مَن عليه التفكير في ذلك؟ لماذا؟ وهل أبدو لك كشـرطي خزانـات؟ فهو لن ينتقل للعيش معي، بل معك".

"ماذا كنتَ لتفعل لو كانت لديك ملابس فائضة بقدر ما لديّ؟".

"ما رأيك في أن تستأجري مقطورة جميلـة لثيابـك وترصـفيها أمـام منزلك؟".

"لستَ مضحكاً".

"لكنكِ كذلك. إحصري أغراضك كلها في خزانة واحدة وربمـا يمكنـك أيضاً ترك بعضها في غرفة الضيوف، أو استعيني بتعاليق نقالة، ووزّعيها في كافة أرجاء المنزل".

"فكرة رائعة". بدا فجأة وكأن قلقها قد زال. "أسدِ لي خدمة؛ اقصدِ متجر غراشيوس وابتع لي مجموعة من تلك التعاليق ثم اطلب من أحدهم أن يوصلها إلى المنزل. سأطلب من جمال أن يضعها في غرفة الضيوف وسأفرّغ لـه الخزانة الليلة".

"رائع. أترين كم يخطئ الناس بظنهم أن المشاكل بين العشـاق والأزواج ناجمة عن المال أو الجنس. إنها ناجمة عن الخزائن".

"أنت عبقري حقاً. إبتع لي هذه التعاليق وسأحاول أن أصل إلى المنـزل باكراً اليوم لأبدأ بتفريغ خزانة لـه. أشعر أنني حمقاء جداً لاقتنائي كل تلـك الأشياء".

"أجل، لكنكِ كنتِ لتشعري بحماقة أكبر، لو كنتِ غير أنيقة فـي مجـال عملك هذا. لنكن واقعيين".

"نحن إذاً شخصان سطحيّان مدلّلان. ربما سأسـتأجر شـقة لملابسـي وأستبدلها مع تغيير الفصول، وبذلك سأحتاج إلى نصف الخزانات فقط".

"انتظري لتتأكدي أولاً من نجاح العلاقة. كيف تجري الأمور بالمناسـبة؟ أفترض أنها كانت جيدة بما أنك تسمحين له بالانتقال للعيش معك".

"لن ينتقل للعيش معي" قالت مصحّحة "إنما سيبقى برفقتي في الصيف فقط".

"آسف، 'سيبقى برفقتك'. لا بد أن الأمور تسير بينكما على نحوٍ جيّد. فلم يبقَ أحد برفقتك منذ سنوات". كان أدريان يذكرها بما كانت على علم به.

"وقد ظننت أن أحداً لن يفعل مجدداً. ظننت أنني سأظل برفقة السيد وينستون إلى الأبد. أو على الأقل إلى أن يموت أحدنا".

"سيعيش أحدكما حياةً أطول من الآخر في تلك العلاقة، ونظراً لسن السيد وينستون ومشاكل القلب التي يعاني منها، آمل أن تكوني أنت من سيعيش أطول". فهزّت عندئذٍ برأسها وكأن تعليقه هذا قد أعادها إلى الواقع. فهي كانت تحب أن تعتقد أن السيد وينستون سيعيش إلى الأبد، لكنّ أدريان كان على حق عندما قال لها إنها ستكون محظوظة إن بقي برفقتها بعد سنةً أو اثنتين، هذا إن عاشهما. فسبق له أن لوشك أكثر من مرة على الرحيل. وهو بالتالي كان يأمل، فقط من أجل فيونا، ألا تدفع به مشاركته إياها مع معجب آخر يمشي على قدمين، إلى ملاقاة حتفه.

وبعد أن حلت مشاكلها الملحّة تلك، توجهت فيونا وكذلك أدريان إلى العمل، وراح هذا الأخير يطلعها على آخر المستجدّات بشأن عروض باريس. وكان لديها اجتماع عام للموظّفين من المقرّر انعقاده عند الحادية عشرة، إنما اتضح لها في ما بعد أنه أُرجئ إلى الساعة الثانية. فأمضت عندئذٍ طيلة بعد الظهر تنهي أعمالها المتأخرة وتنظر إلى صور عروض الأزياء وتتحقق من جداول مواعيد وتفاصيل التصوير. كانا منشغلين إلى حد الجنون وكانا قد أنهيا لتوهما عدد أكتوبر وبدأا العمل على عدد ديسمبر. كانا بعد شهر سينهمكان من جديد بالتحضير للعدد الخاص بعيد 25 ديسمبر الذي لطالما كان موضوعاً مهماً. خاب ظن فيونا لمعرفتها أن اثنين من المحررين المتدرجين الجدد المفضلين لديها قد استقالا في أثناء غيابها ورحلا عن المجلة وكان أدريان قد وظف اثنيْن آخريْن مكانهما خلال سفرها.

كما وقد صُعقت أيضاً حين أدركت أنّ هناك تصويراً رئيسياً مقرراً في وقت لاحق من هذا الأسبوع مع بريجيت لاكومب وتصويراً آخر أكثر تعقيداً مع ماريو تيستينو خلال نهاية الأسبوع. سيكون إذن هذا الأسبوع جنونياً. ها قد عدنا مجدداً إلى العمل.

لكن وعلى الرغم من كل انشغالاتها تلك، بذلت كل ما في وسعها لتغادر المكتب عند السادسة وكادت بالتالي تطير مسرعة إلى المنزل. كان أدريان قد أرسل أحدهم لشراء التعاليق لها، وكان بالتالي جمال قد ركّبها ووضعها لها في غرفة الضيوف. لكنها لم تكتشف أنه قد قام بتركيبها على نحو مغلوط إلا بعد أن انهارت مرتيْن على كل فساتين السهرة. فهو كان قد ركّبها رأساً على عقب، وساعدها بالتالي على إعادة تركيبها على النحو الصحيح.

"لا بد أنك معجبة حقاً بهذا الرجل" قال جمال وهو يلتقط فساتين السهرة عن الأرض للمرة الثالثة ويعلّقها. لم يستغرق تقبيلها ومعانقتها للسيد وينستون سوى دقيقتيْن، إذ أنه بدا شديد البرودة واللامبالاة حيالها. فهو لم يكن يحب الذهاب إلى المخيم، وكلما كانت ترسله إليه، كان يظل آخذاً موقفاً منها لأسابيع طويلة بعد ذلك. فلم تحظ قطّ باهتمامه إنما راح يتمطط على سريرها ويشخر عالياً.

"إنه رجل رائع"، بذلك وصفت جون وهي تعلّق بعض ملابس البحر وما يقارب الدزينة من فساتين السهرة. حين فرغت من ذلك، كانت قد أخلت ثلث الخزانة ليعلق فيها بذلاته، وكان لا يزال هنالك متسع في أرضها لأربعة أو خمسة أحذية، كما وكانت قد أفرغت له أيضاً جارورين. ولم يبدُ ذلك كثيراً، لكنه تطلّب في الواقع حوالى الساعتين لإنجازه. اتصل بها جون عند السابعة وشرح أنه لا يزال عالقاً في المكتب، وأنه لم يكن قد ذهب بعد إلى شقته، وكان بالتالي يأمل أن يكون عندها عند التاسعة. ثم سألها ما إذا كانت تريده أن يجلب معه البيتزا. فأجابت أن لا داعي لذلك إذ أنها ستحضر السلطة والعجة. فأعجب بالفكرة وابتسمت وحدها حين أقفلت. لقد كانت الإقامة برفقته رائعة.

www.rewity.com dodyadodo

كان جمال قد غادر حينها، فتوغلت مجدداً في خزاناتها باحثة عما يمكن إزالته، وتمكنت بالتالي من إزالة بعض سترات التزلج الفرائية التي قلما كانت تلبسها والمعطف الضخم الذي كانت ترتديه حين يتساقط الثلج، وكان هؤلاء يحتلون مكاناً كبيراً في الخزانة، إنما لم تكن في الواقع تلك المسافة لتوازي في الخزانة سوى مجالاً لتعليق بذلتين أو ثلاث إضافية فقط. بدا لها إيجاد مساحة له في خزاناتها أصعب من إيجاد الذهب، وكانت بالتالي تفضل بذل كل ما بوسعها في ذلك بدل أن تتخلى له عن خزانة كاملة. لقد كان ذلك طلباً غالياً، بغض النظر عن مدى حبها له.

ثم جلست على السرير بالقرب من السيد وينستون الذي نظر إليها، وأصدر أنيناً، ثم أدار لها ظهره. ففهمت قصده وذهبت تستحم قبل عودة جون. فقد أصبح فجأة كل شيء الآن مختلفاً. فالآن، وبدل أن تستلقي على السرير مساءً وهي تبدو في حالة مذرية، وبدل أن تتناول سمك التون المعلب، أو موزة وقطعةً من الخبز، كان عليها أن تبدو محترمة، لا بل جذابة وفاتنة، وأن تحضر الطعام لكليهما. لكن ذلك كان ممتعاً وكان سيدوم فقط خلال الصيف. كان الأمر أشبه بلعبة بيت بيوت. فلبست قميصناً حريرياً زهريّ اللون فاتحاً وانتعلت صندلاً ذهبياً وحضّرت المائدة وأعدّت السلطة، وكانت تنوي تحضير العجة حين يصل إلى البيت.

لكنه حين عاد أخيراً حوالى الساعة العاشرة، بدا منهكاً وكانت حاله أسوأ من حالها حين كانت تعود من العمل. فقد كان يحمل الكثير من الملابس التي أخرجها من سيارة أجرة وكيسين كبيرين مليئين بالأحزمة وأربطة العنق والملابس الداخلية والجوارب. بدا وكأنه ينتقل للعيش معها دائماً، وشعرت للوهلة الأولى برعشة في قلبها. ثم تذكرت في الحال كم كانت محظوظة وكم هي تحبه. فقد تذكرت ذلك حين قبّلها، رامياً كل أغراضه أرضاً في الردهة الرئيسية. بعد أن قبّلها، نظر من حوله كمن يتوقع أمراً ثم سألها "أين الكلب؟... عفواً... الولد... الرجل... صديقك... تعلمين ما أقصد، أعني السيد وينستون؟"

كان عليه التذكر لتصحيح التسمية. فكل مرة كان يقول فيها الكلمة الكافيّة، كانت تبدو وكأن أحداً قد صفعها. فهي كانت حساسة بعض الشيء حيال هذا الموضوع وكذلك كان الكلب على ما يبدو.

"إنه غاضب مني، وقد خلد إلى النوم في السرير".

"سريرنا؟... أعني سريرك؟" هزّت برأسها فابتسم وقبلها مجدداً. كان صدره رحباً جداً، فقد كان ذلك قبل كل شيء منزل السيد وينستون؛ فهو مَن جاء إلى هنا أولاً.

"لا بد أنك تتضور جوعاً. لقد حضّرت لكَ السلطة. أتريد العجة الآن؟"

إن أردتِ الصدق أنا لست حتى جائعاً. لقد أعددت لنفسي كوباً من الحساء حين كنت في شقتي. فالسيدة ويسترمان قد تركت كل الخزانات فارغة، وقد بدا لي المنزل مهجوراً".

"لكنه كذلك في الوقت الحالي". ثم ابتسمت فيونا بفخر وهي تفكّر بالمساحة التي أخلتها له في خزائنها آملةً أن يسعده ذلك".

أتعلمين بمَ أرغب؟ كلّ ما ارغب به هو وبكل بساطة الاستحمام والاسترخاء. ليس عليك أن تطهي أي شيء من أجلي". هي أيضاً لم تكن جائعة فأعادت القُوَط والصحون والسكاكين إلى مكانها وتركت السلطة في البراد. ثم تناولت موزةً وساعدته على حمل أغراضه إلى الطابق العلوي. كان قد جلب معه أيضاً عدة تلميع حذائه، وعدة تنظيف أسنانه. فقد كان حريصاً على نظافة أسنانه وكان بالتالي ومنذ زمن بعيد ينظفها كل مساء بالخيط الحريري الخاص.

وحين وصلا على فوق، ألقيا ثيابه كلها على السرير، وهي لم تدرك أنهما قد ألقياها على السيد وينستون إلا عندما سمعت شخير هذا الأخير من تحتها. فأزالتها عنه بسرعة، وإذا بهذا الأخير يرفع رأسه ويحدق إليهما، ثم يعود ويسنده ويبدأ بالشخير من جديد. بدا شخيره أشبه بصوت مثقاب كهربائي فابتسمت فيونا.

"أيعني ذلك أنه موافق أم لا؟" سأل جون وهو ينظر إليه بتعجب. فهو لم يسمع قط شيئاً كذلك سوى صوت آلة. "هل أخبرتِه بشأننا؟".

"نوعاً ما، أظننا قد فعلنا لتونا".

"وما كان ردّه؟".

"لم يقل الكثير".

فقال والارتياح يبدو عليه "جيد" فقد كان تعباً جداً ليتفاوض الآن مع كلب. لقد كان نهاره مضنياً، وكانت لديهم مشاكل جديدة مع زبونيْن. لم يكن الأمر مستعصياً لكنه أفسد نهاره ووتّر له أعصابه. كان يشعر وكأنه ميت، وكل ما أراده كان الاستحمام والنوم. فدخل الحمام فيما كانت فيونا تعلق وتوضّب له ملابسه، وحين خرج بعد عشرين دقيقة، شعر وكأنه إنسان جديد، مرتاح البال وخالٍ من الهموم.

أرته فيونا الجارورين المخصصين له. فشعر وكأنه طفل في مخيم، أو كأنه في يومه الأول في المدرسة الداخلية، وهو يتعلم أين هي خزانته. كان كل شيء جديداً بالنسبة إليه، لكنه لم يكن يمانع في ذلك. فجلّ ما كان يريده هو رفقتها. ثم أرته أين قد علقت له بذلاته وقمصانه، وهي كانت قد حشرتها بعناية لتتسع إلى يسار ثيابها، من دون أن تترك سنتيمتراً واحداً فارغاً. فحدّق بالملابس لبرهة متسائلاً لمَ لم تفسح لثيابه مجالاً أكبر، لكنه عاد وقرّر عدم قول أي شيء. كان هناك فستان مع ريش يتدلى من فوق إحدى بذلاته السوداء.

"المكان ضيّق هنا، أليس كذلك؟" هذا كان تعليقه الوحيد وهي كانت تكره الاعتراف بذلك، لكن بدت الخزانة وكأنها قد ضاقت وصغرت منذ بعد ظهر ذلك اليوم. فهي كانت فخورة جداً بالمساحة التي أخلتها له، وها هي الآن تبدو وكأنها غير كافية. فقطعت عهداً على نفسها بأن تدرس المشكلة مجدداً في اليوم التالي. لقد كانت بحاجة إلى بعض التعاليق الإضافية. لكن جون كان متعباً جداً ليكترث للأمر. فشغّل التلفاز وتمدد على السرير وإذا بالسيد وينستون يرفع

رأسه وينظر إليه وما بيده حيلة. بدا وكأنه يغوص أعمق في السرير، لكنه على الأقل لم يدمدم، لم يكن جون واثقاً إن كان بإمكانه النوم مع الضجيج الذي يصدره ذلك الكلب لكنه كان مستعداً للمحاولة وكان متعباً في تلك الليلة لدرجة أن الأمر لم يزعجه قطّ في الواقع. فغفا والتلفاز شغّال وهو يحضن فيونا بين ذراعيه. كان ذلك كل ما يريده. حين استيقظ صباح اليوم التالي، كانت فيونا قد أعدت له العصير والقهوة اللذين كانا بانتظاره، وسلّمته الصحيفة ثم أعدّت له طبقاً من البيض المخفوق. كان الكلب قد خرج مسبقاً.

كل شيء كان جيداً في عالمهما الصغير، وانقضت ليلتهما الأولى على خير. فكانت فيونا مرتاحة جداً حين غادرت إلى عملها، وأرسل جون الورود إليها بعد ظهر ذلك اليوم. فرفع أدريان حاجبه متعجباً حين رآها على مكتبها في اليوم التالي.

"لم يقده الكلب إلى الجنون؟".

"كلا على ما يبدو. نمنا كالتوائم الثلاث في الرحم". ثم قالت بفخر "أعددت له الفطور هذا الصباح".

"ومتى كانت آخر مرة قمت فيها بذلك؟".

"يوم عيد الأمهات حين كنت في الثانية عشرة من عمري". كان أدريان يعلم أنها تكره القيام بأي شيء في الصباح غير ارتداء ملابسها والتهيؤ للذهاب إلى عملها.

فقال لها وهو ينظر نحو السماء "يا مغير الأحوال!" وكان يبدو كصبي متحمس "لا بد أنه الحب".

الفصل الثامن

أثبت جون أنه مميز بقدر ما أملت فيونا أن يكون، وكان متفهماً جداً حين أخبرته أنه عليها البقاء في المدينة والعمل خلال الأسبوع الأول من عودتها. كان عليها الإشراف على تصوير تيستينو والتواجد في موقع التصوير بالطبع. فقال جون إن لديه الكثير من الأعمال لينجزها لكنه مع ذلك مرّ بموقع التصوير ليرى كيف كانت الأمور تجري هناك ووجده رائعاً. أعدّ لها العشاء حين عادت إلى المنزل. فكانت الحرارة تفوق المائة درجة وكانت فيونا تقف على الرصيف في الحر اللاهب طيلة النهار.

"من أين لي بكل هذا الحظ؟" قالت وهو يدلّك لها ظهرها الذي كان يؤلمها.

فأجابها فرحاً "كلانا محظوظ" فقد كان مسروراً جداً بالعيش معها وبالحصول على رفقة مجدداً وكان يستمتع بأوجه حياتها الغريبة بعض الشيء. كان كل شيء جديداً بالنسبة إليه. "اصطحبت السيد وينستون في نزهة هذا المساء، بعد أن مرّ وقت على القضية" قال بهدوء. "دار بيننا حديث مطوّل. قال إنه يسامحني على اقتحامي حياتك. لكنّ الأمر الوحيد الذي يزعجه على ما يبدو، هو تخوّفه من أن أستولي على خزانته". كان يلمّح إلى الموضوع أمامها، فأصدرت أنيناً. لم يكن لديها طيلة هذا الأسبوع دقيقة لتحل هذه المسألة وكان جون قد أشار إليها بأن بذلاته مسحوقة، وأنّ عليه كل صباح كي كل قميص من قمصانه قبل ارتدائه. لقد كانت ثيابها تلتهم ثيابه تماماً.

"آسفة. نسيت ذلك كلياً. أقسم أنني سأخرج المزيد من الأغراض من خزانتي غداً". لكنّ التعاليق في غرفة العنيوف قد امتلأت. فكان عليها رمي

أغراضها على السرير. وكان ذلك ثمناً بسيطاً تدفعه. ففي اليوم التالي، وتصديقاً على كلامها، قامت بذلك. أخرجت كل تنانيرها وسراويلها الجلدية، وألقتها مبعثرة على سرير غرفة الضيوف، مما منحه على الأقل مسافة إضافية لبعض البذلات والقمصان التي بدا أن لديه الكثير منها. كانت مسرورة أنهم لم يكونوا حينها في فصل الشتاء. فهو لم يكن عندها ليحظى بأي مكان لمعاطفه.

ذهبا في عطلة الأسبوع التالي، إلى الهامبتونز، وسرّها كثيراً أنهما استأجرا قارباً. لم يكن هذا الأخير كبيراً كالذي استأجراه في سان تروبيز، إلا أنه كان جميلاً، وأمضيا عليه وقتاً رائعاً. حتى أدريان كان قد أبحر معهما ذات عطلة أسبوع. وبين القارب والعمل وملاقاة بعض أصدقائهما، بدا الصيف وكأنه قد انقضى بسرعة، وكان ناجحاً جداً. اعتاد السيد وينستون على جون وقال جمال إنه رجل محترم حقاً. وفي نهاية أغسطس كانت فيونا قد تنازلت تقريباً عن نصف خزانة من خزاناتها. كانت حينها تعمل على عدد ديسمبر، وكان الجنون بادٍ على المكتب بأسره. فقد كان ذلك الوقت في السنة حافلاً.

كما كانا قد خططا منذ أشهر، غادر جون ليوافي ابنتيه في سان فرانسيسكو لمناسبة عطلة أسبوع العمل. كانت هيلاري قد انتهت من المساهمة في المختبر حينها، كما وكانت كورتوني قد انتهت من العمل في المخيم. أخبر جون فيونا أنه كان سيكلّم الفتاتين بشأنها خلال عطلة الأسبوع. فقد مضى الآن على رحيل أمهما أكثر من سنتين، ولم يكن جون يشك في أن الفتاتين ستسعدان من أجله. كانت عودة السيدة ويسترمان وكلبته متوقعة في عطلة الأسبوع. فكان الصيف قد انقضى، والكلبة كانت في الواقع كلبة آن. راودت فيونا أحلام يقظة بشأن التقاء الكلبين ووقوع كل منهما في حب الآخر من النظرة الأولى. أما بشأن التعرف إلى الفتاتين فكانت متوترة ومتحمسة في آن معاً. فهي كانت قد تطوعت بإقلالهم جميعاً من المطار مساء الاثنين ووجد جون ذلك مخططاً رائعاً.

فهو كان يريد أن يتناولوا العشاء كلهم معاً ذلك الأسبوع، كي تتمكن فيونا من التعرف إلى الفتاتين قبل عودتهما إلى الجامعة إذ أنهما كانتا ستبقيان في المدينة لبضعة أيام فقط. ثم كان عليه وفيونا أن يفكرا في التدابير التي سيتخذانها بشأن إقامتهما. فلم يكن من مكان له لديها، مع أنه كان سعيداً بالإقامة معها، لكن خزاناتها كانت كالكابوس، وعلى ما بدا، لم تستطع إخلاء مساحة كافية له فيها. لكنه كان يشعر أيضاً أنه من الغريب أن يجلبها إلى شقة كان يعيش فيها مع آن، وعلاوة على ذلك، فهو لم يكن واثقاً من ردة فعل الفتاتين حيال ذلك. كان يبدو أنه ما زال حساساً تجاه الموضوع وقالت فيونا إن ذلك جعلها تشعر بالغرابة أيضاً. فهما لم يكونا قد وجدا بعد حلاً لمشكلتهما تلك وكانا قد تطرقا لفكرة إمكانية انتقالهما إلى منزله، مع العلم أن ذلك كان سيشكل مشكلة لفيونا مع كلبها، فهي لم تشأ أن تقتلعه من جذوره، ولا أيضاً أن تتركه وحده ليلاً في بيتها. كانت تعلم أنهما عاجلاً أم آجلاً سيجدان للأمر حلاً.

المهم أنهما كانا سعيدين ومتفاهمين، أكثر مما كانت كذلك مع أي أحد وكان أدريان شديد الحماسة لهما. قررت في النهاية فيونا تمضية عطلة عيد العمل في المدينة عوض أن تذهب إلى كرم مارتا كما كانت معتادة أن تفعل كل سنة. فهما يخرجان كل عطلة أسبوع وبما أن جون سيكون في كاليفورنيا في عطلة الأسبوع، فقد كان لديها دائماً ما تريد تسويته وإنجازه في منزلها. فهي غالباً ما كانت تجد نفسها مشغولةً طيلة الشهر، وكان من الجميل بالتالي أن تبقى في المنزل لبعض الوقت وتسترخي. وخرجت ذات ليلة إلى السينما مع أدريان، وفي مساء اليوم التالي اصطحبت معلمها الخاص إلى العشاء. فقد كان من الجميل أن يكون لديها بعض الوقت لنفسها. لقد أصبح وقتها أضيق الآن وجون يقيم معها ولو بطريقة غير رسمية. كانا معاً طوال الوقت، لا يفارق أحدهما الآخر وكأنهما عصفورا غرام. حتى أدريان كان يشكو من أنه لم يعد يراها. لكن ذلك كان متوقّعاً بما أنها تعيش مع رجل الآن. كم تبدّلت الأحوال.

أول إشارة لها على أن الأمور لم تكن تجري على ما يرام في سان فرانسيسكو كان اتصال جون، الذي قال لها بصوت يبدو عليه التوتر إنه ما من داع لأن تقلهم من المطار لأنهم سيستقلون ببساطة سيارة أجرة لتعيدهم إلى المنزل، وإنه سيراها في اليوم التالي.

"هل من خطب؟" سألت وهي تشعر بانكماش في معدتها. وكان حدسها ينبئها أن هناك خطب ما.

فقال بهدوء "على الإطلاق. كل ما في الأمر هو أن الفتاتين تريدان فقط تمضية المزيد من الوقت مع والدهما وستكونان متعبتين بعد الرحلة الجوية. تريدان مقابلتك حين تكونان في أبهى حلتهما". في أبهى حلتهما؟ بدا ذلك اختياراً غريباً للكلمات. فهما لم تكونا قادمتين من طوكيو. لكن فيونا لم تجادله، إنما أخبرت أدريان بالأمر حين قابلته لتناول وجبة الغداء في اليوم التالي. كانا جالسين في حديقتها يناقشان النماذج الطباعية ثم أخبرته عن تلك المكالمة. فابتسم أدريان.

"لعلهما لم تتوقعا أن يجد له رفيقة بهذه السرعة. حتى أني أنا نفسي لم أكن أتوقع ذلك".

"بهذه السرعة؟ فأنا لم أواعد أحداً منذ سنتين".

وكانت قد قالت ذلك بإحساس مرهف.

"أعلم، أعلم. ولكن أظننا كلنا نتوقع أن يبقى أصدقاؤنا إلى جانبنا إلى الأبد، وألا يشغلهم شيء آخر عنا. لذا يكون الأمر دائماً بمثابة صدمة حين يجدون أحداً ويختفون".

"لكنني لم أختفِ بعد" طمأنته قائلةً وعانقته.

"أعرف هذا لكن قد لا تكون ابنتاه ناضجتين بقدر ما أنا عليه؛ وأيضاً كونك امرأة، فلا بد أنهما تريانك بمثابة تهديد لهما، ووجودك في حياته سوف يثبت لهما رحيل أمهما إلى الأبد. يميل الناس إجمالاً إلى تجاهل حقائق كتلك، وبخاصة الأولاد".

وتمكنت عندئذ من فهم مقصده إذ قالت، "كيف تعرف كل هذه الأشياء؟".

"أنا لا أعرفها لكني أحاول تخمينها ببساطة. انتظري لترى ما سيقوله لك لدى عودته".

لكنّ جون لم يقل الكثير حين قابلته صباح الثلاثاء لتناول الفطور. وبدا لها حزيناً. فسألته كيف كانت الرحلة وأجاب "رائعة". لكنها لم تقتنع بذلك. قبّلها، لكنه لم يبدُ حتى سعيداً برؤيتها. وعلاوة على ذلك كله، كان يبدو متوتراً وتحت وطأة ضغط نفسي. قال إنه يريدها أن تأتي إلى شقته على العشاء. فهو كان سيبقى هناك إلى أن تعود الفتاتان إلى الجامعة في آخر الأسبوع. كان سيوصل كورتوني إلى برينستون ذاك السبت، ليساعدها على الاستقرار في بيت الطلاب. أما هيلاري فكانت ستنتقل للعيش في منزل إحدى صديقاتها.

"وكيف حال السيدة ويسترمان؟" سألت فيونا بعفوية.

فالتفت إليها مرعوباً وقال، "إنها بخير" ثم غيّر الموضوع. وحين ذهبت فيونا إلى المكتب بدت خائفة عندما رأت صديقها.

"ثمة خطب" قالت لأدريان "أخاله توقف عن حبي في نهاية الأسبوع. يبدو مجنوناً".

"لعل شيئاً قد حدث مع ابنتيه. أعطيه فرصة فيونا. سيطلعك على الأمر حين تهدأ الأمور. هل سيعود للعيش معك حين تعود ابنتاه إلى الجامعة؟".

"لم يقل ذلك". كانت مرتبكة بعض الشيء لكنها كانت تحاول الحفاظ على رباطة جأشها. فهي لم تره إطلاقاً بهذا القدر من الغرابة.

"يستحسن بك أن تبدئي بإخلاء خزاناتك. فأنتِ لا تريدينه أن يجد الراحة من جديد في منزله. أم أنك تريدين ذلك؟" سأل أدريان بوضوح. فهزت برأسها موافقة إياه الرأي، وكانت تبدو مصعوقة. فقد أرعبتها فكرة أن تكون قد خسرته، لكن لا يمكن لذلك أن يكون قد حدث بهذه السرعة. بدا الأمر غير منطقي لها.

www.rewity.com dodyadodo

"كلا، لا أريد ذلك". أجابت، "أريده أن يعود إليّ".

"خففي عنك إذاً وحسب، ولْمهليه بعض الوقت. سيكون على ما يرام. إنه يحبك يا فيونا، ولا يمكن لهذا أن يتغير بين ليلة وضحاها".

"لقد وقع في حبي بين ليلة وضحاها، ولعله سيتوقف عن حبي بالسرعة نفسها".

"عليك أن تتأقلمي مع الوضع وأن تقدمي بعض التنازلات. كلاكما بحاجة إلى الوقت لتُطوّرا معاً علاقتكما؛ وبالمناسبة، كلاكما كان يعيش في دنيا العجائب هذا الصيف. لكن الآن وقد عادت ابنتاه، فقد عدتما إلى الواقع. عليك أن تتأقلمي مع هذا، أقله حتى تغادر الفتاتان مجدداً. عندها ترين كيف ستجري الأمور بينكما".

فقالت فيونا وهي تبدو مرتعبةً "سأتناول العشاء معهما الليلة" لكنه لم يكن قد رآها قط بهذه الحالة. لم تكن فيونا تخشى أي شيء قط، وبخاصة فتاتين شابتين. حتى أنها لمْ تكن تخشى الرجال. لكن ذلك كله كان ناتجاً عن خوفها من أن تخسرهم. فهي حتى الآن، لطالما كانت سعيدة بالعيش وحدها إلى أن أتى جون. لقد أضحت الآن تهتم للأمر، وأصبح لديها خوف من أن تخسره.

"ومتى تلتقين بهم؟".

"عند السابعة والنصف. في منزله. سوف تعدّ لنا مدبرة منزله العشاء. فأنا لم أقصد يوماً شقته، وهو لم يعد إليها طيلة الصيف سوى لجلب الثياب ولم أكترث يوماً بالذهاب معه. لكنه لم يدعَني هو أيضاً، الآن أتمنى لو أني كنت قد ذهبت. فالمكان جديد وكذلك الأشخاص و... تباً أدريان أنا خائفة".

"إسترخي سوف تكونين بخير. هو لم يكن يصدّق ما يراه. فالمرأة التي كانت تخيف نصف عالم المجلات، إن لم نقل كله، خائفة الآن من مدبرة منزل وفتاتين.

"ولم يسبق لي أن رأيت كلبته حتى".

"بالله يا فيونا، إن كانت ستتفق كلبته مع كلبك فسوف تضطرين عندئذ إلى تقبّل صحبة كلبة جديدة. أعطيهم فرصة جميعاً. خذي حبة مهدئ للأعصاب أو ما شابه واذهبي. ستكونين على ما يرام".

لم يحظيا بفرصة أخرى للتكلم بهذا الشأن طيلة بعد الظهر. لقد كانا كثيريْ الانشغال وكانت لديهما اجتماعات كثيرة، كما وقد طرأت عليهما ألف أزمة ومشكلة غير متوقعة. لكنها اتصلت بجون مرتيْن بين اجتماعاتها، وبدا لها وكأنه عاد بعض الشيء إلى طبيعته. فاعترفت له أنها كانت متوترة بشأن العشاء، لكنه عاد وأكد لها مجدداً أنه يحبها. فقلّ بعد ذلك قلقها. كان ذلك كله سببه وضعها الجديد هذا. فهي لم يكن عليها في السابق قط أن تقابل أبناء أحد، ولم تكن حتى لتهتم للأمر كثيراً. كان عندها في آخر النهار اجتماع مع أدريان وأربعة محررين آخرين، حين نظر إليها فجأة، لكنه بدا هذه المرة مرتعباً وهو يلقي نظرة على ساعته.

"متى يفترض بك أن تكوني هناك؟".

"عند السابعة والنصف، لمَ السؤال؟"....

"إنها الآن الثامنة وعشر دقائق، هيا اذهبي بسرعة".

"يا إلهي!" وبدت مرتعبة بقدر ما كان كذلك، فيما كان المحررون الآخرون يشاهدونهما غير مدركين ما الذي كان يجري. "كنت أريد الذهاب إلى المنزل لتبديل ملابسي".

"إنسي الأمر. إغسلي وجهك وضعي أحمر الشفاه في سيارة الأجرة. تبدين بحالة جيدة، هيا اذهبي!" ثم قادها نحو الخارج، وذهبت بسرعة من دون أن تقدّم اعتذاراً وجيهاً، واتصلت بجون من هاتفها الجوّال. كانت حينها الساعة الثامنة وخمس وعشرين دقيقة وكانت قد تأخرت حوالى الساعة على موعدها، فاعتذرت بشدة، وقالت إنها غفلت عن الوقت خلال اجتماع حول أزمة خطرة طرأت بشأن عدد ديسمبر. طلب منها جون عدم القلق بذلك الشأن، لكنه بدا منزعجاً وقلقاً لكنها لم تعرف سبب انزعاجه هذا إلا عندما وصلت إلى هناك.

فالشقة نفسها، كانت رحبة ومزينة بذوق وأناقة، ولكن كل ما فيها بدا لها بارداً ورسمياً، وبدت كلها تغص بصور زوجته المرحومة. بدت لهـا غرفـة الجلوس أشبه بمذبح. فكان هناك رسمٌ كبير لها على أحد الجدران كما وكـان هناك أيضاً على كل من جانبيه رسم لإحدى الفتاتين. فهم كـانوا قـد جعلـوا أحدهم يرسمها لهما قبل وفاتها بوقت طويل. لقد كانت سيدةً جميلةً وكانت تبدو كمبتدئة شبّت لتصبح رئيسة عصبة شبابية تعمل في حقل الإصلاح الاجتماعي. فحتى في الصور كان من السهل إدراك أنه لم يكن لديها أيّاً من أناقـة فيونـا وإبداعها، كما وأنها لم تكن تتمتّع أيضاً بمثل جمالها. لكنها كانت توحي بكونها زوجة مثالية. لقد كانت من نوع النساء اللواتي يضجرن فيونا إلى حدّ البكـاء، لكنها سرعان ما طردت تلك الأفكار من رأسها. فدخلت الشقة وهـي تعتـذر بشدة، وتقدّم شروحات بشأن الاجتماع مجدداً، وكادت تبكي. فقبّلها جون برفق على وجنتها وعانقها.

"لا بأس"، همس لها، "أتفهّم الأمر. الفتاتان بدتا مستاءتان قلـيلاً بشـأن والدتهما".

"لمَ؟". فهي لم تكن بكامل وعيها، وكانت شديدة الاستياء بشـأن تأخرهـا لتفهم ما كان يقوله. لمَ عساهما تستاءان بشأن والدتهما؟ فلقـد توفيـت هـذه الأخيرة منذ سنتين.

"لأنهما تعتقدان أن كوني معك هو خيانة لها". شرح جون ذلك بسـرعة قبل أن يدخلا غرفة الجلوس. "تشعران أنني لم أحبها قط، لأنني أريد أن أكون مع أخرى".

فأجابت فيونا هامسة "ولكن لقد مضى على رحيلها سنتان".

"أعلم لكنهما بحاجة إلى الوقت للتأقلم مع الوضع". وهي كانت قد تأخرت لساعة ولم يكن ذلك في مصلحتها. فشعرت فجأة بالأسف حياله إذ بدا لها وكأنه قد مرّ ببعض الأيام العصيبة، وهو كان قد مرّ بها بالفعل.

حين دخلت فيونا غرفة الجلوس، رأت شابتين متجهمتي الوجه جالسـتين

بصرامة على الأريكة. بدتا وكأنهما أُجبرتا على التواجد هناك وكـاد الأمـر يكون كذلك بالفعل. فهي كانت معتادة على رؤية أشخاص أكثر سـعادة فـي مواقف الاستضافة لكنهما حدقتا إليها من دون رحمة ولم تنـبس بالتـالي أي منهما ببنت شفة.

توجهت فيونا نحو التي بدت البكر والتي افترضت أنها هيلاري، ومدّت لها يدها قائلةً، "مرحباً هيلاري، أنا فيونا، تسرني معرفتك. وقالت ذلك بتهذيب محاولة أن تبدو دافئة وغير مُهددّة".

فحدقت إليها الفتاة وقالت من دون أن تمدّ لها يدها، "أنا كورتني وأظـن أن ما تفعلانه أنتما الاثنان مقرف". كانت تلك بالطبع طريقة لبدء الحوار فلـم تعرف فيونا بمَ تجيبها وتسمّرت في مكانها فيما بدا جون وكأنه سيغمى عليه أو يتقيأ.

لكنها عادت وأجابتها بهدوء قائلة "آسفة لأنك تشعرين بهذا. أتفهم أن هذا قد يكون صعباً على كلتيكما. لكنني لا أحاول إبعاد والدكما عنكما. نحن فقـط نحب تمضية الوقت معاً وهو لن يذهب إلى أي مكان".

"هذا غير صحيح، فقد سبق وابتعد، وكان يقيم معك طيلة الصيف. لقـد قال لنا البوّاب إنه أتى إلى هنا فقط لأخذ ملابسه". ثم علمت فيونـا لاحقـاً أن السيدة ويسترمان قد عادت لتطل على المنزل وأخبرت الفتاتين بذلك.

"لقد أمضينا بعض الوقت معاً، وهو على الأرجح يشعر بالوحدة هنا من دونكما". قالت فيونا ذلك وهي تنظر إلى الأخرى شقيقتها. أما جون فقـد بـدا مصدوماً من الحديث وكان بالتالي على وشك الانفجار دمعاً. فهو لم يكن يتوقع أن تكون ردّة فعل ابنتيه هكذا وكان يأسف لخيبة أمله فيهما، وقد تأذى بشـدة. فهو قد كان وفياً لوالدتهما وذكراها وكان قد بذل كل ما في وسـعه لإنقاذهـا وبقي إلى جانبها حتى النهاية وكان يساند ابنتيه، من دون تحفظ مـذلك. مـاذا بهما الآن تستكثران عليه أي نوع من السعادة مع امرأة أخرى وقد قطعتا عهداً بأن تكرها فيونا لمجرد رؤيتها، وكذلك فعلتا بطريقة خارجة على المنطق. ثـم

تابعت فيونا قائلةً، وهي تقف بعيداً بطريقة غريبة في غرفة الجلوس، من دون أن يدعوها أحدٌ للجلوس "تسرّني معرفتك يا هيلاري". كان جون يقف إلى جانبها ويبدو مهزوماً فقد كان يعاني من ذلك منذ سان فرانسيسكو وكان ذلك غير متوقع إطلاقاً. فلم تكن لديه أي فكرة عما يمكنه فعله معهنّ أو عن كيفية تغيير هذا الموقف المحرج للغاية، وكان يؤلمه أنهما كانتا قاسيتين مع فيونا. فهو كان قد طلب منهما أن تكونا على الأقل مهذبتين معها وأخبرهما أنها امرأة رائعة، وإنها لم تكن هي المسؤولة عن وفاة والدتهما، ولا هو كان كذلك. لكنهما قالتا إنهما تكرهانه وتكرهان فيونا على أي حال، وظلتا بالتالي تبكيان طيلة الأسبوع، وهو كذلك. ولكن كان الآن قد بدأ صبره ينفد، وبدأ يغضب منهما لأنهما كانتا تتصرّفان بطريقة غير منطقية. فكانت هيلاري تتجاهل فيونا كلياً وكانت الأجمل بينهما إلا أنهما كانتا متشابهتين جداً وبدتا كتوأم. فكانت كلتاهما زرقاء العينين وشقراء كوالدتهما، لكنهما كانتا تشبهان جون أيضاً.

فقال عابساً "يبدو أن كلتيكما قد نسيتما حسن التصرف. ما من سبب لمعاقبة فيونا لمواعدتي. كنت وفياً لذكرى والدتكما لسنتين. لا دخل لفيونا بالأمر، هي امرأة حرة ولها كل الحق بالخروج معي، ولديّ كل الحق بأن أكون معها إن اخترت هذا. إنما وقبل أن تتمكّن أي منهما من التعليق، دخلت غرفة الجلوس امرأة عجوز. كانت هذه الأخيرة ترتدي ثوباً كحلياً مع وزرة من فوقه، وحذاءً أسود ناعم خاص لتقويم الرجل، وكان شعرها مشدوداً جداً نحو الوراء وملفوفاً على شكل كعكة، وكانت بالتالي تبدو خالية من أي جانب جمالي. بدت كشخصية رسوم متحركة غاضبة وكان على فيونا أن تقاوم رغبة ملحّة بالقول، "السيدة ويسترمان، على ما أعتقد" لكنها ولحسن الحظ لم تفعل. فعوضاً عن ذلك، قدّمها جون إليها، وأبت السيدة ويسترمان أن تكترث لها، إذ راحت تنظر إليه مباشرةً.

"الطعام جاهز منذ ساعة ونصف. هل ستتناولون العشاء؟" قالت ذلك محدقة به وكانت الساعة التاسعة حينها؛ فاعتذرت فيونا منها على تأخيرها.

لكن أبت السيدة المسنّة أن تنظر إليها حتى، والتفّت بأرضها وعادت إلى المطبخ. من الواضح أنها كانت إلى جانب الفتاتين والسيدة أندرسون المرحومة. فلم تتمكّن فيونا من عدم التساؤل إن كانت زوجة جون المرحومة لتكون غير منطقية كذلك لو أنها حية. فقد كان من الصعب تصديق مستوى الضيافة الذي تتلقاه منهنّ كما وأنه كان من الأصعب عليها فهم ذلك.

انتظر جون الفتاتين لتقفا وتبعهما إلى غرفة الطعام ولم يكن بالطبع من المتوقع أن يكون العشاء سهلاً. كانت فيونا تشعر بالأسف الشديد حياله. فهو كان يبذل قصارى جهده لينقذ السفينة، لكنها شعرت وكأنهم كانوا يتناولون العشاء على متن التايتانياك وأنهم كانوا يغرقون بسرعة.

إتخذت الفتاتان مكانهما، فيما دعا جون فيونا للجلوس إلى جانبه، ونظراته تعبّر عن اعتذاره وحزنه، فابتسمت إليه لتطمئنه. كانت تعلم بطريقة ما أنهما سيتخطيان الأمر، مهما كلّف الأمر، وأنهما سيتمكنان لاحقاً من التحدث عن الأمر بحنين وروح الدعابة. لقد كانت مصرّةً على البقاء إلى جانبه وكانت تحاول مدّه بالقوة بقدر ما استطاعت. فيما كانت تنظر إليه بحب، دخلت السيدة ويسترمان إلى غرفة الطعام، وقدمت العشاء إلى المائدة. كان لحم البقر المشوي محروقاً حتى بات لا يميز، والبطاطس إلى جانبه قد أحرقت أيضاً حتى القرمشة، أما الخضار، أياً كان نوعها في السابق، فكانت غير معروفة، وكل ما إلى المائدة كان، وبكل معنى الكلمة، غير قابل للأكل. فعوضاً عن الإبطاء في تحضير العشاء لدى تأخر فيونا، أو رفع الطعام عن النار، تابعت السيدة ويسترمان طهو كل شيء على النار، لتثبت موقفها وتسجّل عدم موافقتها على خيانة مستخدمها المزعومة. فهي كانت قد اشتكت من ذلك إلى الفتاتين لدى عودتهما من سان فرانسيسكو، الليلة السابقة وأخبرتهما ما قد جرى خلال الصيف فيما كانتا بعيدتين عن المنزل، فأغضبهما وأحزنهما أن كل ما كان والدهما يفعله، أياً يكن، كان خطيئة، وهي بالتالي لم تكن تريد

العمل لدى خاطئ. كانت قد أخبرت الفتاتين أيضاً أنها قد تستقيل بسبب ذلك، مما أخافهما أكثر، حتى أنها أخبرت جون بالأمر نفسه حين عاد من المكتب في تلك الليلة. فشأنها شأن الفتاتين، لقد كانت تعاقبه وكانت فيونا تعلم أن هذه الأخيرة عملت لدى العائلة منذ ولادة هيلاري، أي منذ واحد وعشرين عاماً وكانت بالتالي ستقوم بما تستطيع لتصعّب عليه حياته. لم يكن ذلك غير عادل فحسب بل كان مرَضياً.

"ما رأيكم لو نطلب البيتزا؟" قالت فيونا ذلك محاولة ترطيب الأجواء، لكن كلتا الفتاتين حدقتا إليها بغضب، فيما أغلقت السيدة ويسترمان باب المطبخ بعنف، وكان من الممكن سماعها توصد الخزانات بعنف أيضاً خلال العشاء.

فقالت هيلاري "أنا لست جائعة على أي حال" ثم وقفت كورتني ولحقت بها. ومن دون أن توجّها أي كلمة أخرى لوالدهما أو لها، مشت الفتاتان نحو غرفتيهما، فجلست فيونا ونظرت إلى جون بتعاطف وحاولت الإمساك بيده، لكنه بدا وكأنه مهزوم، وبالكاد أمكنه بالتالي النظر إليها. فهو لم يكن محطم الفؤاد من معاملتهما له فحسب، إنما كان خجلاً جداً من تعريضه فيونا لهذا الموقف المحرج.

"آسفة عزيزي" قالت فيونا.

فأجاب بصوت مجروح "وأنا كذلك" وأجهش ببكاء مرير. "لا أصدق أنهما تصرفتا بتلك الطريقة، وأعتذر بشأن العشاء أيضاً. فقد كانت السيدة ويسترمان شديدة الولاء لآن، الأمر الذي كان رائعاً، لكن هذا ليس سبباً لمعاملتك بهذه الطريقة. أعتذر لأنني عرضتك لكل ذلك".

"وأنا أيضاً أعتذر عن تأخري. فأنا لم أسهّل الأمور بذلك. لقد أغفلت الوقت تماماً".

"ما كان ذلك ليُحدث أي فرق. فقد كانتا كذلك منذ أن أخبرتهما يوم السبت. خِلت أنهما قد تسعدان جداً من أجلنا ومن أجلي. صُدمت وخلت

أنهما ستتخطيان الأمر في اليوم التالي، لكنهما لم تفعلا، بل على العكس ازداد الأمر سوءاً". فخشِيَت فجأة أن يؤدي ذلك إلى إنهاء علاقتنا وبدت خائفة حين نظرت إليه، وهو رأى ذلك أيضاً. لقد كان رجلاً محترماً وانفطر قلبه على حالها. فنهض من حيث كان يجلس واقترب منها وضمّها بذراعيْه ليطمئنها، تماماً حين فتحت السيدة ويسترمان الباب سامحة لفيفي، كلبة العائلة، بالدخول إلى الغرفة، وهي كانت الحيوان المحبوب للسيدة أندرسون المرحومة، وكانت من مسؤولية السيدة ويسترمان منذ ذلك الحين. فوقفت فيفي في الباب، مصدرة عنيناً وهي تنظر إليهما وهما متعانقان. فكان من الصعب معرفة ما إذا اعتقدت أن فيونا كانت تهاجمه، لكنها من دون أن تستريح لتلتقط أنفسها حتى، طارت مباشرة من المطبخ وحطت عند قدمي فيونا وقبل أن يدرك أي منهما ما كان قد حصل، غرزت أنيابها بكل قواها في كاحل فيونا. ففاجأها الأمر أكثر من أي شيء لكنّ الكلبة رفضت تماماً إفلاتها. فتمسكت فيونا بجون الذي سكب إبريقاً من الماء على الكلبة، ثم دفعها بعيداً عن فيونا ورمى بها نحو المطبخ. فغادرت الكلبة نابحة مبلّلة فيما كانت السيدة ويسترمان تصيح قائلة إنه قد حاول قتل الكلبة، وهرعت تصرخ إلى المطبخ باكية والكلبة بين يديها، ولم تعتذر من فيونا، التي كانت تنزف بغزارة من جرح صغير في كاحلها.

وضع جون فوطة مبلّلة عليه وأجلسها وكانت فيونا ترتجف وشعرت أنها سخيفة كل السخف بسبب الفوضى التي كانت تسبّبها. لكن كاحلها ما كان ليتوقف عن النزيف. فضغط جون على الجرح وراح ينظر إليها بتعاسة وهو يساعدها لتدخل عارجة إلى المطبخ وصرخ منبهاً السيدة ويسترمان لتنتبه للكلبة. لكنها كانت قد انسحبت إلى غرفتها مع فيفي وكان بإمكانهما سماع الكلبة تنبح غاضبة عبر الباب، وبالتالي كل ما أراد جون فعله هو الخروج والذهاب إلى المنزل مع فيونا. لكنه علم أن عليه البقاء هنا أقله حتى عودة الفتاتين إلى الجامعة. فهو لم يمرّ بأي موقف كهذا من قبل. تفحّص كاحلها فيما

كانت تجلس على طاولة المطبخ، واضعة قدمها تحت الماء وكان ينظر إليها بحرج وأسى.

"يؤسفني قول هذا يا فيونا لكني أظن أن جرحك يحتاج إلى تقطيب".

فأجابت بهدوء "لا تقلق بشأنه" وكانت تسعى للتخفيف من هوله. "هذه الأمور تحدث".

فأجاب مبتسماً "في أفلام الرّعب فقط" ثم ربط فوطة مطبخ حول ساقها وساعدها للنزول عن الطاولة ورافقها إلى الخارج وهي تقفز، فيما كانا يشاهدان الدم يحدث بسرعة بقعة كبيرة حمراء على الفوطة. حتى أن الدم كان قد تسرّب من خلالها قبل أن يوقفا سيارة أجرة، وراح بالتالي يسيل على قدمها حين حملها جون إلى المستشفى وأوصلها إلى غرفة الطوارئ وكان يبدو عليه أنه لا يصدق ما يحدث.

حين فحصها أخيراً الطبيب الذي كان يعمل آنذاك قال إنّ الجرح عميق وبحاجة إلى تقطيب. فبنّجها بنجاً موضعياً وقطّب جرحها وحقنها بالكزاز إذ أنها لم تحقن به منذ سنوات، ثم أعطاها المضادات الحيوية والمسكنات لتأخذها معها إلى المنزل. بدا لون المنطقة حول ذقنها أخضر اللون وهي لم تكن قد تناولت شيئاً منذ الفطور وكان ذلك المساء قاسياً. شعرت بالدوار وهي في طريقها للخروج فكان عليها أن تجلس لدقيقة.

ثم اعتذرت قائلةً "يا لي من ضعيفة! ليس ذلك بالأمر المهم". كانت تحاول التقليل من أهمية الأمر من أجله، إنما كان ما تشعر به مريعاً وكان مفعول البنج يزول والألم في كاحلها يكاد يقتلها. فالوحشة الصغيرة كانت قد عضتها بكل قوتها التي تضاهي تقريباً قسوة ابنتيه. كانت الكلبة عزيزة جداً عليهما، وكذلك على السيدة ويسترمان.

"ليس بالأمر المهمّ؟! كانت ابنتاي مريعتين معك وكذلك مدبرة المنزل التي لا تحتمل. وقد هاجمتك كلبتي وقُطّب جرحك بثماني قطب وحقنت بالكزاز. ما الذي تعنينه إذاً بغير مهم؟" كان غاضباً ولم يكن يعلم من عليه

أن يلوم. "سأصطحبك إلى المنزل" قال ذلك بتعاسة وطلب منها أن تلزم مكانها إلى أن يجد سيارة أجرة. ثم عاد بعد خمس دقائق، وحملها إلى الخارج وحين أوصلها إلى المنزل نزع عنها ملابسها وهيّأها للنوم، وأعطاها دواءها ورفع لها قدمها على وسادة، ثم نزل إلى الطابق السفلي ليجلب لهما ما يأكلانه ويحضر لها كوباً من الشاي وحين عاد إلى فوق حاملاً صينية، كانت قد بدأت تبدو بحال أفضل. لكن جون أخبرها أنه اتخذ قراراً وبدت بالتالي مرتعبةً بانتظار سماعه. فبعد ليلة كتلك، لم يكن بإمكانه التوصل سوى إلى استنتاج واحد، ألا وهو أن وجود فيونا في حياته كان ببساطة صعباً جداً عليه. فجلست هادئةً فيما كان هو يستجمع أفكاره وينظر إلى المرأة التي أحبها في باريس أو قبل ذلك حتى. كان حباً من النظرة الأولى بالنسبة إليه.

"فيونا، إن كنت تريدين الاستمرار معي، فأنا أود الانتقال للعيش معك في عطلة هذا الأسبوع بعد أن أعيد كورتني إلى برينستون. أما هيلاري فهي تغادر مساء الجمعة إلى براون. لن أبقى في الشقة مع تلك المرأة وما من سبب أساساً يدعوني للبقاء هنالك. أريد أن أكون هنا برفقتك". ثم نظر إلى الكلب النائم الذي بالكاد تحرك لدى وصولهما إلى المنزل وابتسم. "أما بالنسبة للسيد وينستون فعلى الفتاتين أن تعتادا عليه. سأعود إلى المنزل حين تأتيان لتمضية العطل ونهايات الأسبوع. ولاحقاً، أود لو تأتين معي. سنعيّن لك حراساً لقصبة ساقك ونعطيك مسدساً محشواً لتستعمليه ضد السيدة ويسترمان والكلب. أتودّين الاستمرار في علاقتك معي؟" كاد يبدو متذللاً وهو يسألها، فانهمرت دمعاً، إذ كانت واثقة من أنه كان على وشك أن يخبرها أن الأمر قد انتهى بينهما. فهي لم تشأ أن تخسره. كانت فقط جد آسفة لأن ابنتيه كرهتاها. أما بالنسبة لمدبرة المنزل، فتلك كانت قصة أخرى، والكلبة كانت متوحشة بعض الشيء. لكنها كانت مستاءة جداً من ابنتيه.

www.rewity.com dodyadodo

فسألته قلقة بعض الشيء "هل أنت واثق من أنك تريد فعل ذلك؟".

فأجاب بإصرار،"أنا واثق" ولم يكن مرتاباً بهذا الشأن قيد أنملة، ولم يغضب قط بهذا القدر من ابنتيه، ولم يخب أمله كذلك.

لكنها لم تتمكّن من التوقف عن البكاء حين نظرت إليه، فأخذها مجدداً بين ذراعيه. كانت قد أمضت أمسية مرعبة. "أودّ لو تنتقل للعيش معي" وكانت ما زالت غير قادرة على التوقف عن البكاء فيما كان يعانقها، وكان أثر الصدمة شديداً بقدر ما كان ارتياحه لعدم تركها.

فقال برفق "إذاً لمَ تبكين؟".

"لأنه سيكون عليّ إفساح مجال أكبر لثيابك في خزانتي" ثم ضحكت والدموع تنهمر من عينيها وضحك معها.

الفصل التاسع

كانت فيونا جالسة في مكتبها في اليوم التالي، حين دخل أدريان لرؤيتها، بعد اجتماع. كانت تنظر إلى بعض الصور المعلّقة خلف مكتبها، واستدارت حين دخل.

"إذاً كيف كان الأمر؟" فكانت حشريته تقتله طيلة الليل، ولم يحظَ بالوقت ليتوقف لرؤيتها طيلة الصباح، وفي المرة والوحيدة التي فعل فيها ذلك، كان برفقتها أشخاص.

فقالت بسخرية "كان ذلك مثيراً للاهتمام".

"وما معنى ذلك؟".

"في الواقع، كرهتني مدبرة المنزل، ويحتمل أنها حاولت تسميمي، لكنها حرقت العشاء بأكمله لدرجة أنني لم أتمكن أبداً من تناوله. أما الفتاتان فقالتا إنهما تكرهانني، ولم تتكلما إلى والدهما منذ نهار السبت حين أطلعهما على الأمر. رفضتا التكلم إليّ، وأخبرتانا أننا مقرفان، وتوجّهتا نحو غرفتيهما، بما أنه لم يكن هنالك ما يؤكل على أي حال، ثم هاجمتني الكلبة" لكن أقله ابتسمت وهي تقول ذلك. فهي لم تكن قد خسرت روح الفكاهة بعد.

"آمل أنك تبالغين. أقله بشأن الكلبة. حقاً، كم بلغ الأمر من السوء؟ هل رَطّبت الفتاتان الأجواء لاحقاً؟".

"كلا، ولم أكن أمزح بشأن الكلبة حتى. إحتجت إلى ثماني قطب".

"هل أنت جدية؟" سأل وقد بدا مصعوقاً، وعندها رفعت ساقها وأراحتها على المكتب، وكانت مضمدة ومنظرها مؤثر.

"حقنوني بالكزاز، وأنا ألقى الآن علاجاً بالمضادات الحيوية. الأخبار الوحيدة السارة هي أنه استاء جداً، فخلته كان سيضع حداً لعلاقتنا، لكنه سينتقل للعيش معي في عطلة هذا الأسبوع". بدت مسرورة وكان أدريان يحدق بساقها غير مصدق عينيه.

"يا إلهي، ما الذي ستفعلينه بشأن خزاناتك؟".

"سيكون عليّ تدبر الأمر بطريقة ما، ربما أحوّل غرفة الطعام إلى خزانة عملاقة أو أنصب خيمة في الحديقة. الله أعلم، لكن سيكون علي التصرف. فهو على الأقل لا يزال يريدني. يا إلهي أدريان، كانت الفتاتان بغيضتين وكان بغضهما يفوق كل تصوّر. كانتا متوحشتين، تجاهه بالأخص، لكنهما كانتا كذلك معي أيضاً. أمّا مدبرة المنزل واسمها ريبيكا، فهي مخيفة كأفلام الرعب. ظننتها ستقتلني. لكنها حرّضت الكلبة على القيام بذلك بالنيابة عنها. الحمد لله أنها لم تكن من فصيلة البيت بول".

"وما كانت فصيلتها؟" سأل قلقاً. فحتى مع سردها الممتع للقصة، بدت القصة بغيضة وبدت ابنتاه حقيرتين.

"الحمد لله أنها من فصيلة البيكينجيز. تلك التافهة لم تكن لتنتزع أسنانها من ساقي. إضطر جون لسكب الماء عليها".

"يا للهول فيونا، كان ذلك مريعاً". ثم راح يضحك لأنها جعلت القصة تبدو مضحكة جداً، لكنها كانت خائفة.

ثم اعترفت دونما تلطيف للواقع "كان الأمر سيئاً جداً". "أظن أنني لن أذهب إلى هناك لتمضية العيد".

"يمكنك تناول عشاء العيد معي، فكلبيّ يحبانك". فهو كان لديه كلبان هنغاريان وكانا يعشقانها، ويكادان يقتلانها من القبل كلما رأياها.

لا أدري ما الذي سيفعله جون. ربما يتكفل الوقت بذلك. فابنتاه ستشكلان لنا مشكلة حقاً. أو أقله هما كذلك في الوقت الحاضر. تظنان أنه يخون ذكرى والدتهما".

"هذا سخيف. قلتِ مضى على رحيلها سنتان. فما الذي تتوقعانه؟ ما زال شاباً ولا يمكن أن يدفن نفسه معها".

"أعلم لكنهما لا تنظران إلى الأمر بهذه الطريقة. أظنهما تريدانه لنفسيهما، ولكنهما ليستا هناك حتى. فهما تسافران من أجل التحصيل الجامعي".

"ستتخطيان الأمر. أقله أنه لا يدع الأمر يبدله أو يقلبه ضدك".

"لا على العكس، حين عاد من المستشفى، أخبرني أنه يريد الانتقال للعيش معي، وهذا مخيف قليلاً أيضاً. فهذا سريع جداً. نحن نتواعد منذ شهرين ونصف فقط. لكنت انتظرت أطول، لكن من ناحية أخرى، أحب العيش معه وقد اعتدت عليه. إشتقت إليه طيلة عطلة الأسبوع".

"أيمكنه احتمال جنون حياتك؟ جمال والكلب ومجموعات المحيطين بك، وأنا، وكل من يلازمك، وساعات التصوير الطويلة المتأخرة، والمهل؟ إنه يبدو متحفظاً جداً، فاحرصي على إعطائه فسحة للتنفس ولا تقوديه إلى الجنون. لا يمكنك أن تستمرّي بالعيش كما كنت تعيشين حين كنت وحيدة يا فيونا. سيكون عليك إجراء بعض التسويات من أجله، بخاصة إن كان يعيش معك بالفعل، وليس فقط ضيفاً لديك كما كنت تعبّرين عن ذلك".

"ما زال حتى الآن صامداً، ولن يتنازل عن شقته. يمكنه البقاء هناك في أي وقت ليوم أو يومين ليرفه عن نفسه إن احتاج إلى ذلك". لكن أدريان راح يهزّ برأسه مبدياً عدم موافقته.

"لا تضغطي عليه حتى يحتاج إلى الترفيه، فأنا أعرف طبعك. تحبين القيام بالأمور على طريقتك الخاصة، فهذا بيتك أنت وحياتك أنت وكلبك أنت. وأنا مثلك ارتكبت الخطأ نفسه في كل علاقة خضتها. فأنا أنسى أن أتأقلم وأقدّم التنازلات، وعاجلاً أم آجلاً هذا يقود الآخرين إلى الانسحاب. الأفضل أن تفكري بالأمر فيونا". كان كلامه بمثابة تحذير وظنت أنه قد يكون محقاً.

"أعلم، أعلم" قالت ذلك ببسمة "من الصعب فعل ذلك أحياناً. فهذا طبعي".

"ليس هذا بعُذر. يمكننا جميعاً أن نتأقلم. سيكون من الغباء أن تخسريه وأظنك هذه المرة قد تكترثين حقاً للأمر". كان على حق وهي كانت تعلم ذلك.

"أجل، قد أكترث لذلك. أنا لا أريد خسارته. لكنني بالطبع لا أعلم ماذا يمكنني أن أفعل بشأن ابنتيه".

"دعيه يتكفّل بالأمر؛ هذه مشكلته هو فأنت لست زوجته". ثم خطرت على باله فكرة، ونظر إليها عن كثب أكثر" هل تفكرين في أن تتزوجي منه؟".

"كلا ولمَ يجدر بي ذلك؟ فأنا لا أريد أولاداً ولست بحاجة لأن أتزوّج وقد أطلعته على ذلك منذ البدء".

"وهل صدقك؟".

"على ما أعتقد" وبدت شاردة الذهن. "وماذا لو كان بحاجة إلى أن يتزوج؟"، قال بحكمة، "قد يكون محترماً أكثر منك".

فأجابت بثقة "كل شيء في أوانه، لكن حتى الآن، ليس هذا مطروحاً".

"ولم لا؟".

"لأنه قد يكون عليّ عندئذٍ التنازل عن الكثير من الخزانات. كما وأن ابنتيه قد تقتلانني".

"هذا احتمال، على ما يبدو. على أي حال، إن بدلت رأيك فأعلميني. وإن أخبرتني يوماً أنك ستتزوجين، فقد يغمى عليّ من شدة الصدمة. أريد أن أكون جالساً حين تخبرينني بذلك".

فقالت بثقة "لا تقلق، فأنا لن أخبرك بذلك. قد أكون تغيّرت لكنني لست مجنونة".

"ولم لا يمكنني تصديقك؟" قال أدريان وهو يهزّ برأسه غير مصدق كلامها ثم غادر المكتب. وكما كان متفقاً عليه، انتقل جون للعيش معها نهار الأحد، وهو كان قد أوصل كورتني إلى برينستون نهار السبت في حين كانت هيلاري قد عادت إلى رود أيلاند مساء الجمعة. وبعد ساعتين من عودته من

نيو جيرسي كان في منزل فيونا ومعه ست شنط ومجموعة من البذلات يحملها على ذراعه وثلاث علب ملؤها الملفات والأوراق. قال إنه قد يجلب البقية لاحقاً. هذه المرة أمضت ساعات وهي تحاول إخلاء مساحة أكبر لأغراضه. ولم يكن ذلك كافياً بعد، لكنها كانت قد أحرزت تقدماً. ومساء الأحد كانا ثنائياً سعيداً يقيمان معاً فعلياً. كانت ابنتاه قد عادتا إلى الجامعة، واحتفظت السيدة ويسترمان بالشقة لنفسها. أما فيفي فقد كانت الآن تحكم المسكن وكانت فيونا في منزلها مع جون مرتاحة وسعيدة. حتى أن السيد وينستون لوح بذيله القصير المكسو بالفراء حين رآه. كان الانتقال سهلاً إلى حد مفاجئ وبدأ بالتالي فصل جديد من حياتهما. بدا كل شيء يتطور بسرعة كبيرة.

استمر كل شيء سهلاً وهادئاً حتى العيد. ولم يكن بالإمكان تجنب موضوع العطلة، فدارت معركة بين جون وابنتيه حول ما إذا كان من المفترض أن يدعو فيونا للانضمام إليهم. لكنّ الفتاتين هددتا بعدم المجيء إن كانت فيونا معهم. وعلى عكس ما اعتقدت عائلته، أصرت فيونا على الانسحاب وبعد معارك طويلة وغير مجدية مع ابنتيه، وافق جون على مرادها على مضض. فهي كانت تخطط لتمضية العيد في منزل أدريان مع مجموعة كبيرة من أصدقائه، وقد أخبرت جون بصدق أنها كانت تفضل ذلك، إذ لم يكن بإمكانها تخيل أمراً أكثر إحباطاً من تمضية العطلة بين أشخاص لا يرغبون بوجودها معهم. فحتى وإن كان جون يرغب بذلك، فابنتاه لا توافقانه الرأي. هذا من دون أن نذكر السيدة ويسترمان وفيفي. كان ذلك موقفاً سخيفاً لكنه كان أفضل ما أمكنهما فعله حينها وكان جون ممتناً جداً لتفهمها.

أمضت وقتاً ممتعاً مع أدريان وأصدقاءهما في حين أمضى جون عيداً حزيناً وموحشاً مع ابنتيه ومدبرة المنزل التي كانت تقدم العشاء متجهمة الوجه. كان عشاؤه يتّسم بأي شيء سوى السعادة، وبما أنه وآن كانا كلاهما ولدين وحيدين في عائلتهما، وبما أن كليهما كانا قد خسرا والديهما وهما لا يزالان شابين، فلم يكن بالتالي لعائلتهم أي أقارب يمضون العيد برفقتهم. فلم تكن

العطلة سوى لتجعل الفتاتين تشتاقان أكثر إلى والدتهما. كان العيد كئيباً. وفي ختام العشاء الصامت، واجه جون ابنتيه بأنه كان متعباً من معاقبتهما إياه ليس فقط بسبب وفاة والدتهما إنما بسبب علاقته بفيونا أيضاً.

"لن أسمح لكما بفعل هذا" قال غاضباً فيما أجهشت الفتاتان بالبكاء وأخبرتاه أنهما لا تريدانه أن ينسى والدتهما.

فأجاب وقد أهانتاه بقولهما، "كيف يمكنكما قول ذلك؟ لقد أحببتها وما زلت أحبها وسأظل أحبها دائماً. لن أنساها أبداً ولن أنسى الأوقات الجميلة التي أمضيناها معاً. لكن هذا لا يعني أنه عليّ أن أبقى وحيداً لبقية حياتي لكي أتذكرها أفضل. أنتما رحلتما الآن، وترتادان الجامعة وأصبحت أنا وحيداً هنا. لذا أريد أن أكون مع فيونا. فهي امرأة رائعة".

فصرخت عندئذ به هيلاري قائلةً "كلا، ليست كذلك. فهي لم تتزوج يوماً ولا أولاد لديها".

"هذا لا يجعل منها شخصاً سيئاً. فربما هي لم تجد الرجل المناسب لها بعد".

ثم أضافت كورتني قائلةً، "أجل، لقد كانت منشغلة جداً بالعمل". كانتا تتكلمان وكأنهما كانتا تعرفانها، إلا أنهما لم تعرفاها قط! لا بل بذلتا كل ما في وسعهما لعدم التعرف بها.

"هذا ليس سبباً لمعاقبتها أو معاقبتي. وهذا ما كنتما تفعلانه. فهذا غير عادل تجاهي".

ثم سألت هيلاري والرعب باد عليها "هل ستتزوج منها؟" فقد كانتا تعتبران فيونا كعدوتهما وقد صممتا على كرهها دونما سبب منطقي. لم تعطياها فرصة قط، ولم تنويا حتى على ذلك. لكنه لم يكن ينوي السماح لهما بالتحكم بحياته.

فأجاب الوالد بصراحة "لا أعلم. لا أظنها تريد أن تتزوج. فهي تحب

حياتها كما هي. ولعلها محقة. ولمَ عساها تريد عائلة مثلنا بعد الطريقة التي عاملتماها بها أو لمَ عساها تريد ابنتي زوج مثلكما. الأفضل لها أن تبقى عازبة". بدت كل منهما شديدة الإحراج وكانت هيلاري قد اعترفت الأسبوع الماضي لزميلاتها اللواتي يشاركنها الغرفة نفسها، كم كانت معاملتهما لها حقيرة، وهي كانت في الواقع فخورة بذلك. وكانت شقيقتها محكمة الرأي مثلها إذ قالت، "كان بإمكاننا أن نفعل بها أكثر من ذلك بكثير حتى".

لكن هيلاري ختمت الموضوع قائلةً، "لا أريدها أن تصبح زوجة لأبي".

فأجاب جون بصرامة "فلتفعلا أسوأ ما يمكنكما. فلتفعلا أسوأ من هذا بكثير. إنها امرأة طيبة والقرار ليس قراركما بل قراري أنا. ما عدتما الآن طفلتين. لقد أصبحتما في التاسعة عشرة والواحدة والعشرين من عمركما. لا يمكنكما أن تتصرفا هكذا إلى الأبد. إن كان هذا ما تريدانه فتلك مشكلتكما. لكنني لن أدعكما تحطمان حياتي".

فقالت كورتني بوقاحة "لن نعود إلى المنزل خلال العطل إن تزوجت منها". وبدت كابنة خمسة أعوام لا كطالبة في السنة الثانية في برينستون.

"يؤسفني سماع هذا. فقد تجدا عندئذ نفسيكما في ظروف مختلفة بعض الشيء"، قال مهدّداً إياهما بطريقة غير مباشرة وبلغت بالتالي الرسالة كل منهما.

"أقد تحرمنا من المصروف؟" كانتا تتأكدان لأي مدى يمكنهما الاستمرار بذلك ولكنهما برأيه كانتا قد تخطتا الحد وأكثر.

"ما كنت لأجرب تخطي تلك الحدود لو كنت مكانكما. سيخيب أملي فيكما كثيراً لو استمريتما بهذه التصرفات إن تزوجت بفيونا".

ما قاله لهما تلك الليلة جعلهما تهرعان إلى المطبخ بعد العشاء، لاستشارة السيدة ويسترمان. فقد بدا من كل ما قاله إنه سيتزوج من فيونا.

لكن السيدة ويسترمان أكدت لهما قائلة "سنخرجها من هنا في خلال ستة

أشهر". وكانت الفتاتان تصغيان. بدت تلك كخطة جيدة لهما وأعجبتهما فكرة التخلص منها في غضون ستة أشهر. فهما لن تكونا بذلك مضطرتين إلى تحمّلها إلى الأبد، كما وأنهما ستسترجعان والدهما مجدداً. كان ذلك كل ما أرادتاه. فإن كانت أمهما قد رحلت، فهما لا تريدان أن يستولي أحد آخر على مكانها. أبداً.

ثم سألت كورتني وهي تبدو متوترة "وماذا لو طردك؟" فباستثناء والدهما، كانت هي كل ما تبقى لهما في هذه الحياة وهي كانت تعرف ذلك.

"فليفعل. عندها أعود إلى شمالي داكوتا ويمكنكما عندئذ المجيء معي والبقاء لديّ متى شئتما". فهي كان لديها بعض المال الذي ادخرته ومنزل صغير ورثته هناك عن أهلها. لم يكن بإمكانه أن يطالها بشيء، وهي كانت قد فقدت احترامها له على أي حال. فقد كانت ترى ما يفعله منافياً للأخلاق.

فقالت هيلاري بحزن "لا نريدك أن ترحلي، نريدك أن تبقي هنا إلى الأبد". لكن السيدة ويسترمان نفسها كانت تعلم أنها قد تتقاعد يوماً ما وترحل إلى منزلها. ففي أحد الأيام ستكبر الفتاتان وتتزوجان. فها هما الآن قد بدأتا ترتادان الجامعة وذلك لن يكون بعيداً الآن. وإن منعته من التزوج من تلك المرأة تكون أقله قد أتمت واجبها تجاه المرحومة السيدة أندرسون، إذ أنها كانت قد وعدتها بعد وفاتها بألا تسمح له بتشويه ذكراها أو ارتكاب أي حماقة. لقد كانت مدينة لها إلى ذلك الحد، وكانت بالتالي مستعدة لبذل كل ما في وسعها من أجل حمايتها. كانت آن أندرسون امرأة طيبة جداً. أما تلك المرأة الأخرى، تلك التي كان يطاردها ويجعل من نفسه أحمق برفقتها، بغض النظر عمن كان يظنها أو ما يفكر فيها، فهي برأي السيدة ويسترمان نكرة. وطالما أن ريبيكا ويسترمان حية ترزق، لن تحصل فيونا عليه أبداً. كان ذلك عهداً قطعته على نفسها وكانت لتفي به مهما حصل.

الفصل العاشر

على الرغم من التوتر بين جون وابنتيه، كانت الأمور مسالمة بينه وبين فيونا إلى حدّ ملحوظ. فتأقلمهما مع العيش سوياً جاء من غير مجهود، وحاولت فيونا إبقاء الفوضى في حياتها في حدها الأدنى الممل، الأمر الذي لم يتسبب له بالاستياء. حاولت جعل جمال يرتدي ثياباً رسمية أكثر، عوض أن يجوب المنزل وهو يكنس الأرض مرتدياً سروال الحريم واقترحت منذ ذلك الوقت فصاعداً أن يتصل بها الزوار مسبقاً قبل أن يحضروا فجأة كما كانت الحال في السابق منذ سنين.

لم تعد تنظم أيام تصوير في المنزل أو في الخارج في وقت مفاجئ كما كانت تفعل في السابق، ولم تعد حتى تسمح للمصورين من خارج المدينة بالنزول لديها. لقد كانت تحاول، على الأقل، أن تحترم جون. فهو كان يعيش حياة مختلفة تماماً عن حياتها، ولم يكن هناك حياة تتسم بالحرية والسهولة أكثر من تلك التي كانت تعيشها حين كانت وحيدة. لقد عملت إذن بنصيحة أدريان وكانت تريد أن يكون جون سعيداً. لكنّ الحد الوحيد الذي لم تسمح بتجاوزه كان ذلك المتعلق بالسيد وينستون. فهي لم تكن لتحدث أي تغييرات بشأن الكلب. فهو كان لا يزال ينام على سريرها وهي كانت لا تزال تفرط في تدليله تماماً كما يُدلل الطفل. إنما لحسن الحظ، بدأ جون يحبه ويجده مسلياً. أما هي، فكانت ما زالت لديها ندبة صغيرة جداً على كاحلها، كتذكار من فيفي. لم تدخل شقته قط بعد ذلك وكانت تجدها محبطة على أي حال. كان يذهب إلى هناك فقط حين تأتي واحدة من ابنتيه لتمضية عطلة الأسبوع في المدينة، ونادراً ما كان ليحصل ذلك. لقد كانتا منشغلتين في الجامعة ولم تأتيا قط على ذكر فيونا

ولا هو فعل. لكنه كان لا يزال يجد الوضع مأساوياً وكان يريد تغييره. لكنه لم يكن يعرف ببساطة كيف يقنعهما أو يتغلب على رأيهما. كانت السيدة ويسترمان تبقي الجمر مشتعلاً وتوقد النار كلما كلمتهما. كانت دائماً تذكرهما بأن ولاءهما الأكبر يجب أن يكون لوالدتهما. فكان ذلك ثأراً أصرّت السيدة ويسترمان على متابعته. وبعد سنوات أمضتها في الاعتناء بالفتاتين وبعد تعلّقهما بها، لم يعد بإمكان جون إرسالها إلى شمالي داكوتا، مع أنه في الواقع كان يود ذلك. وبما أن الكلبة كانت كلبة آن، فلم يستطع أن يتصرف بشأنها أيضاً.

كان يخطط للبقاء في الشقة مع الفتاتين لأسبوع آخر بعد عيد 25 ديسمبر إذ أنهما كانتا بعد ذلك ستذهبان للتزلج في فيرمونت مع بعض الأصدقاء، وكان بالتالي سيمضي عيد 1 يناير مع فيونا في جزر الكاريبي. كانا سيذهبان بعد ذلك إلى سان بارت ومن ثم يتوقفان في ميامي وهما في طريق العودة. فقد كان لديه زبون جديد مهم في ميامي، وهي كانت تريد أن تلقي نظرة على الشاطئ الجنوبي من أجل المجلة. كانا ينويان أن تدوم رحلتهما أسبوعين وكان قد وعد بتمضية ليلة العيد مع فيونا ونهار العيد مع ابنتيه. كان هذا أسلوباً مأساوياً في الحياة، ولكن لم يكن لديه خيار آخر حينها. كان ذلك بمثابة سلام مهدد بين قبيلتين، لكن ما من شيء مثالي. حياته مع فيونا كانت الأقرب إلى السعادة الحقيقية التي عرفها يوماً. فهو كان سعيداً حقاً معها وأدريان كان يقول إنه لم يرها يوماً تبدو بحال أفضل. كان العمل يسير بصورة جيدة لكليهما، وعلى الرغم من غرابة الأمر، تمكنا من تدبر أمرهما لتمضية العيد معاً.

كانت ليلة العيد التي أمضاها مع فيونا هادئة ومثالية، وبعد أن خلدت للنوم عاد إلى شقته، وكان هناك حين استيقظت ابنتاه في الصباح. إشتاق إلى فيونا طوال الليل، ولكن حينها كانت تلك تضحية كان مستعداً للقيام بها من أجل ابنتيه. إلا أنه كان حزيناً لأنهما لم تشكراه يوماً على ذلك. كان قد حافظ مع السيدة ويسترمان على مسافة من الفتور بينهما. فهي كانت تنظر إليه الآن وكأنه شرير مذنب.

لكن أقله، كان قد أمضى نهار عيد ممتع مع الفتاتين وقد أحبتا الهدايا التي

جلبها لهما، وكانت كل منهما قد عانت الكثير من المتاعب لتجد شيئاً يعجبه. لكن أعيادهم كانت دائماً الآن مصبوغة بغياب والدتهما. وفي وقت متأخر من تلك الليلة، وبعد أن كانتا قد خرجتا مع بعض الأصدقاء، تسلل لزيارة فيونا. فكلما كان يبتعد عنها كان يشتاق إليها كثيراً. لم يتمكن بدافع من الأنانية من مقاومة رغبته بإيقاظها والتحدث إليها ثم غادر مجدداً، ليعود إلى الشقة حيث بقي مع ابنتيه. لكن منزل فيونا كان بمثابة بيته الآن وكان يعلم أنه لم يعد بإمكانه العيش بتلك الطريقة لوقت أطول. كانت تلك حياة منقسمة، والذهاب ثم الإياب بدوا له دون جدوى. فهو كان قد فكر بالأمر كثيراً في الآونة الأخيرة، ولم يكن بالتالي قادراً على إيجاد سوى حل واحد فقط. لكنّ ما لم يكن يعرفه هو رأي فيونا بذلك الحل.

ففي اليوم التالي للعيد غادرت الفتاتان إلى فيرمونت، في حين سافر هو وفيونا في الليلة نفسها إلى سان مارتان، ثم استقلا من هناك مركباً إلى سان بارت. نزلا في فندق قديم جميل وكانت الإقامة فيه ممتعة، مع دفء الجو والشمس والطقس الجميل. فكانت تلك فرصة مثالية ساهمت في تقوية عزمه ومده بالشجاعة. لم يكن يريد إخافة فيونا لكنه أراد الشعور بأنها له الآن. فهو لم يكن يريد الاستمرار بتمضية الوقت جزئياً معها. في سهرة عيد الأول من يناير، رأت شيئاً غريباً في نظراته.

"هل أنت بخير؟" سألته فجأةً. وكان في نظراتها اهتمام وقلق وكانا قد تمددا على الشاطئ طيلة النهار.

"بخير جداً إنما لديّ سؤال أطرحه عليكِ". لم تتمكن حينها من تخمين ما قد يكون، وظنت أنه كان يريد أن يثير حشريتها بشأن أمر ما ليغيظها. فقد كان لديه روح فكاهة مؤذية قليلاً، مثلها تماماً.

فبادرت مازحة "أراهن على إنك تريد معرفة مَن أحب أكثر، أنت أم السيد وينستون. فكما تعلم، هذا ببساطة سؤال غير عادل. لقد كنا معاً لوقت أطول. لكنني أحبك بقدر ما أحبه تقريباً. وإن أمضيت معك وقتاً أطول، مَن يدري، فربما قد أحبك بقدر ما أحبه".

"أتتزوجين مني يا فيونا؟"

كان بإمكانها أن ترى من خلال عينيه أنه يعني حقاً ما يسأل. فانفرجت عندئذٍ شفتاها ثم أطبقتا بصمت، وحدقت به بذعر واضح "يا للهول، كنت تعني ذلك، صحيح؟".

"أجل، إنما ذلك لم يكن بالضبط الجواب الذي توقعته". وقد بدا قلقاً وكئيباً.

"لمَ فعلت هذا؟ لم سألتني؟" بدت غاضبة وكذلك أصبح هو. "قلت لك منذ البدء إنني لست بحاجة لأن أتزوج. الأمور جيدة كما هي. وإن تزوجت منك، فقد تتآمر ابنتاك ضدّي، وقد تحرض مديرة منزلك الكلبة عليّ. لست بحاجة إلى تفاقم المشاكل ولا أنت بحاجة إليها أيضاً". كانت تبدو حزينة. فلم يكن ذلك الجواب الذي كان يتمنى سماعه.

"هذا ليس من شأنهن إطلاقاً. هذا يعنينا نحن الاثنين فقط. السيدة ويسترمان مجرد موظفة وسيكون على ابنتيّ تقبل حقي بالسعادة وبحياة خاصة. فلكل منهما حياتها الآن. لا تكترثي لهما. ماذا عنك؟ ما الذي تريدينه أنتِ؟ هل تريدينني؟" ما كان بإمكانه أن يعبر عن الأمر ببساطة أكثر، وقد أثر فيها كلامه.

"بالطبع أريدك. لكنني سبق وحصلت عليك أليس كذلك؟ أنحتاج إلى أوراق لإثبات ذلك؟".

"لعلنا نحتاج إلى ذلك. أظننا نحتاج إليها". أجابها بصدق "فأنا لا أحب التخييم في منزلك فقط، وأنا أشعر وكأنني ضيف يحاول أن يجد له خزانة فارغة. كما وأنني أظن أنني لن أحظى بخزانة محترمة في ذلك المنزل ما لم أبنِ واحدة لي، ومن الوقاحة أن يفعل المرء ذلك في منزل شخص آخر. هذه مشكلة فعلية". ولكن برأي فيونا، كان الزواج أيضاً بحد ذاته مشكلة فعلية وخطرة جداً. أخطر من أي خطر أرادته يوماً.

"وإن سمحت لك ببناء خزانة، فهل ستبقى بحاجة إلى الزواج؟" وكان بإمكانه أن يرى أنها كانت تبدو خائفة.

"لمَ تخشين الزواج إلى هذا الحد؟" فهو لم يكن يفهم ذلك قط. لكنها كانت

تعاني من خوف مَرَضي من الأمر.

"في إطار الزواج، يترك الناس بعضهم بعضاً أو يموتون. أو يؤذي أحدهم الآخر ويخيب أمله ويهجره. إنما إن كان كل ما يفعلانه هو العيش معاً، ففي حالة سئم أحدهما الآخر فبإمكانه عندئذ أن ينسحب من العلاقة من دون أن يؤذي أحدهما الآخر". كان كلامها ذلك عن الوالد الذي تركها وترك أمها، وكان جون يعرف ذلك، لكن الأمر أصبح أعمق حينها. فهي لم تكن تريد أن يمتلكها أحد، أو أن تجازف بخسارة شخص تحبه. كانت تريد أن تكون بالقرب منه من دون أي ارتباط وثيق. فكان الزواج يبدو لها كقيد أو طوق محكم، وكانت بالتالي تخشى الاختناق. حتى أن الوضع مع ابنتيه قد يزداد سوءاً بعد الزواج، وقد يصبح أخطر. فالآن كانت تلك مشكلته وحده ولكن إن تزوجها فقد تصبح مشكلتها أيضاً. فهي الآن في هذه الحالة كان بإمكانها التعاطف معه وتجاهل الأمر، لكنها إن تزوجت به فسوف تصبح مضطرة على تحمل المشكلة.

ثم صارحها قائلاً "أحب أن أكون متزوجاً. أحب معنى ذلك. فهذا يعني أنني أؤمن بك وأنني سأحبك إلى الأبد".

فقالت بهدوء "عبارة إلى الأبد لا وجود لها". وكانت زوجته المرحومة قد أثبتت له ذلك. اللحظة الآنية هي وحدها الموجودة، وهذه سبق لهما أن حصلا عليها. فهي لم تشأ أن تؤمن بعبارة "إلى الأبد"، مع أي كان، فذلك لن يعود عليها سوى بالأذى في النهاية.

"بلى، هذه العبارة حقيقية فيونا. أو قريبة جداً إلى الحقيقة. أريد أن أكون معك إلى الأبد".

فقالت بهدوء "أنت تعني هذا الآن، ولكنك يوماً ما، إن غضبت أو مللت مني، فستهجرني. وإن كنت لتفعل هذا، فالبقاء على حالنا أسهل".

فسألها حزيناً "ألا تثقين بي؟".

"قد أكون أثق بك لكن ليس بالحياة. فالحياة لا تعطيك إلى الأبد. إنها ببساطة هكذا".

فقال برقة "لم أتخلَّ قط عن أحد في حياتي. ولن أتخلى عنك. لست من هذا النوع من الأشخاص".

"هذا ما تقوله الآن. لكن مَن يدري ما قد تقوله لاحقاً". فهي لم يكن بإمكانها الإقدام على ذلك ولم تكن ترى سبباً له. لمَ عساها تفسد أمراً جيداً بالمجازفة بالزواج؟ كان ذلك مخيفاً جداً. لكنها لم تكن تريد أيضاً جرح مشاعره، وقد شعرت بالإطراء لسؤاله.

"لا أريد أن أكون ضيفاً في منزلك إلى الأبد. أريد أن أمتلك شيئاً معك، وأن نتشارك الحياة معاً". ولم يشأ إطلاعها على الأمر، أو إخافتها أكثر، لكنه كان يود حتى إنجاب الأطفال منها. لكنه كان يعرف رأيها بهذا الموضوع. كل ما كان يريده الآن هو أن يكون زوجها، وكان بإمكانهما النظر في البقية لاحقاً. لم يشأ جعلها تخاف أكثر مما كانت خائفة. لقد كان هناك رعب في عينيها.

"هل ستفكرين في الأمر؟".

"لمَ؟".

"لأنني أحبك. وأريد أن أكون زوجك".

"يا له من أمر سخيف نقوم به. أن ألبس محبساً تقدمه لي، لن يجعلني أحبك. فأنا أحبك من قبل".

وهو كان يحمل محبساً في جيبه لها، لكنه لم يشأ إخبارها بذلك كي لا تنفر كلياً من الأمر. فهو لم يكن قد عرف قط امرأة أخرى مثلها، ولأجل ذلك أحبها.

"الأمر يتعلق بالوعد والالتزام. إنها طريقة أخبر بها العالم إنني أؤمن بك، وإنك تؤمنين بي، وإن كل منا فخور بالآخر".

"أنا فخورة بك. لا أحتاج لأن أكون زوجتك لأكون فخورة بك".

"ولكن ربما أكون أنا بحاجة إلى ذلك". ولم يقل أكثر في الموضوع بعد ذلك. إذ غفا بالقرب منها، واستلقت هي على السرير تفكر بما قد قاله، محاولة أن تتصوّر كيف ستكون الأمور لو تزوجت منه. فبدا لها الزواج وللمرة الأولى

في حياتها مريحاً عوض أن يكون مخيفاً. ثم فكرت في ما كان أدريان قد قاله لها، بشأن تقديم التنازلات، وربما إن كان الأمر يهمه إلى ذلك الحد، ولا يحدث فارق لديها بالفعل، فربما يكون أمراً يستحق العناء. فتمددت على السرير وراحت تفكر بالأمر طوال الليل، وغفت أخيراً حين أشرقت الشمس. وفي الصباح، شعرت بالهدوء بشكل غريب.

كان مستلقياً بالقرب منها، ينظر إليها حين استيقظت، فابتسمت له. لم تحب أحداً يوماً كما أحبته، وهو كان ربما محقاً. فهي لم تكن بحاجة إلى معاملات ورقية، ولكن لعل ذلك كان عملاً صائباً، أن تقف إلى جانبه وتدع العالم كله يعلم كم تحبه. ولكن وعلاوة على ذلك، كانت تعلم أنها طريقة لتقول له الكلمة الوحيدة التي لم تقلها لأحد قط، والتي أقسمت بألا تقولها أبداً، كانت تلك طريقة لتقول له إنها تثق به. فقد كان هذا صلب الموضوع بالنسبة إليها. فصحيح أنها قد أحبت قلائل في حياتها، لكنها لم تثق يوماً بأي منهم. أما هو فقد وثقت به ولعل الوقت قد آن لإثبات ذلك.

"أتذكر السؤال الذي طرحته عليّ البارحة؟" وكانت تهمس وهو مستلق بقربها.

"أجل" وابتسم لها "أظنني أتذكره" وكان يتوقع خطاباً آخر من خطاباتها يعلل عدم احتياجها إلى الزواج. "وماذا عنه؟".

"أظنني أود الإقدام على ذلك". وكانت تتكلم بهدوء متناه، فكاد لا يسمعها.

فردّ هامساً "هل أنت جادة؟" لم تكن لديه فكرة عما جعلها توافق أخيراً وصُعق للأمر.

"أجل أظن ذلك. لعلها ليست فكرة سيئة. أتزوج لمرة واحدة فقط، منك أنت. هذا يتنافى بصورة عامة مع مبادئي، ولكن معك، كنت أفكر باستثناء الأمر".

"وهذا ما أنا لأفعله" كان يحدق بها وكان عليها فقط أن تتشجع ولو لمرة حيال الأمر. فتلك كانت الطريقة الأفضل، أن تتزوج مرة واحدة فقط! "أتتزوجين مني حقاً فيونا؟" وبعد كل ما قالته لتحاول التكلم بالأمر، بالكاد تجرأ على تصديقها.

"أجل أظن ذلك ما لم أعد إلى رشدي".

"ربما علينا إذن الإقدام على ذلك قبل أن تفعلي".

"في أي وقت كنت تفكر؟".

"متى تشائين". وأراد جعل الأمر سهلاً عليها وقليل العناء قدر المستطاع.

"ربما خلال بضعة أسابيع، بعد عودتنا إلى المنزل. سنكون كلانا فقط وربما السيد وينستون".

"هل سيكون عليّ أن أتزوج من الكلب أيضاً؟".

"حتماً". وبدت وكأنها تعني ذلك، ولم يكن سيتجادل معها حول هذا الموضوع. كان متحمساً وسعيداً جداً. "وهل ستطلع ابنتيك على الأمر مسبقاً؟" سألت بقلق وتفهّم.

"لا أظن ذلك. فهما لن تريدا التواجد هناك. لذا أظنه من الأفضل إخبارهما لاحقاً. ما رأيك؟".

"هذا أفضل. يمكننا إقامة حفلة بعد ذلك أو ما شابه. ولكن أظننا حين نقدم على "الأمر" ولم نشأ حتى التلفظ بالكلمة، "يجدر بالأمر أن يكون حميماً".

"حددي اليوم وسأكون هناك". ثم ضمها إلى صدره ونهض من السرير، وأخرج المخمل من جيبه، وألبسها إياه بخفة. فاستلقت على السرير تحدق به بعجب ودهشة، ثم سال الدمع ببطء على خدّيها حين نظرت إليه. كانت قد تجرأت أخيراً، ووثقت به بما يكفي للقيام بذلك. أو بالأحرى كانت ستقوم بذلك على أي حال. كل ما أمكنها فعله حينها هو التمدد على السرير ومعانقته، مدركة كم تحبه. شعرت وكأنها قد وصلت أخيراً إلى برّ الأمان وأنها كانت بالقرب من شخص تشعر فعلاً بالأمان الحقيقي معه. كانت تعلم أنه بإمكانها ائتمان ذلك الرجل على قلبها، وحياتها من دون أي شك.

الفصل الحادي عشر

كان زفافهما هادئاً وبسيطاً بقدر ما تمكنا من جعله كذلك. ذهبا ذات يوم بعد العمل لعقد قرانهما. فاستقلا سيارة أجرة، وأخذت فيونا السيد وينستون معها. لم يكن ذلك نوع الزواج الذي قد يخطط له جون، لكنه كان تماماً ما أرادته فيونا. نزلت الدرج مرتدية بذلة بيضاء ومعطفاً من الفرو نادراً ما كانت ترتديه، وأسدلت شعرها الأملس والطويل على كتفيها. لم تبدُ يوماً بهذا الجمال. فألبسها محبساً بسيطاً ذهبياً، وحين نظرت إليه صدقت بالفعل أخيراً، أنها أصبحت ملكاً له إلى الأبد، وأنه كان ملكاً لها. لم تدرك قط من قبل كم كان هذا ليعني لها. فبالنسبة لفيونا، كان ذلك وعداً يجب ألاّ تخل به أبداً، وكانت تعلم أنه كذلك أيضاً بالنسبة لجون، الأمر الذي دفعها للزواج منه. حين عادا إلى المنزل بعد ظهر ذلك اليوم، جلسا هناك قليلاً، ثم بدأت تضحك.

"لا أصدق أنني أقدمت على ذلك" قالت.

"ولا أنا. يسرني أنك فعلت". ثم استدرك قائلاً "أو بالأحرى أننا فعلنا على ذلك". ثم قررا عدم الاتصال بابنتيه حتى صباح اليوم التالي. لم يريدا فعل أي شيء يفسد عليهما الأمر. أمضيا الليلة في السرير متعانقين، وبدا كل ما من حولهما هادئاً وساكناً. عندما استيقظا في الصباح التالي، كان الثلج يتساقط وقد غطى وشاح أبيض جميل العالم بأسره. فحضّرا الفطور وأخرجا الكلب في نزهة، ونظر إليها جون بإعجاب.

"بالمناسبة، ما اسمك الآن؟ أسأل فقط لأعرف بأي اسم أقدمك للناس".

"ما رأيك؟ أتجد فيونا أندرسون غريباً جداً؟ ففيونا موناغان أندرسون يبدو مبالغاً فيه. لو إسمع، سأجرب أندرسون لبضعة أسابيع، وإن أعجبني فسأبقى عليه".

"يبدو هذا منطقياً. عليّ الاعتراف بهذا. وآمل أن يعجبك".

ثم قالت وهي تشعر أنها طائشة "يمكننا مقايضة الاسمين".

إتصلت بأدريان لدى عودتهما إلى المنزل، في حين صعد جون إلى الطابق العلوي ليتصل بابنتيه. كان الاتصالان متوقعين. حاول أدريان أن يتمالك نفسه، إذ كان جدّ متحمّس، أما الفتاتان فكانتا فظتين مع والدهما. لقد كان يعلم أنهما أملتا ردعه بسلوكهما الغريب، وأنهما كانتا مرتعبتين لمعرفة أنهما فشلتا. لكن لم يكن هناك ما تفعلانه الآن. فقد تزوج من فيونا، وأمل أن تتقبلا الأمر، ولكن حتى وإن لم تفعلا، فهو لن يغير أي شيء. لم تطرح فيونا الكثير من الأسئلة حول ذلك الموضوع بعد أن كلمهما ولم تتوقع أي تغيير في ردة فعلهما. وسألها أدريان إن كانت ما تزال ذاهبة إلى باريس من أجل عروض يناير.

"أجل بالطبع. فانا لم أستقل من عملي بعد، فقد تزوجت وحسب" وقد تطلّب منها الأمر اثنتين وأربعين سنة فقط لتنجزه. كان ذلك مدهشاً حقاً.

لكن بالكاد تسنى لهما الوقت للاحتفال. فهما برأي فيونا كانا قد أمضيا شهر عسل طويل قبل الزواج، حين ذهبا إلى الكاريبي. وبعد مضيّ عشرة أيام على زواجهما، غادرت فيونا إلى باريس لحضور عروض الصيف والربيع وعند عودتها تماماً، كانت هناك أيضاً عروض للألبسة الجاهزة خلال أسبوع الموضة. لقد كان أسبوعاً حافلاً كما وصفته. فهي كانت تعمل باستمرار وبالكاد تمكنت من رؤية جون في الشهر الأول من زواجهما. حتى أنهما لم يحظيا بالوقت الكافي لتنظيم حفلة. وحين عادت ابنتاه إلى المنزل، أخبرهما أنه بإمكانهما البقاء معه في منزل فيونا وإلا فسيعود إلى المنزل برفقتها. لكنه لم يعد مستعداً للعودة إلى المنزل بمفرده لرؤيتهما.

فحصل عندئذ ما كان يرعب فيونا، إذ وافقت الفتاتان على مضض على ذهابها معه، وكان جون في الواقع، قد رجاها لكي تبقى في شقته خلال عطلة نهاية الأسبوع. كانت تعلم مدى أهمية هذا الموضوع بالنسبة إليه، فقد كان

الأمر مجدداً ينتمي إلى إحدى تلك التضحيات الشنيعة التي كان أدريان قد كلّمها عنها والتي كانت تحدث كل الفرق؛ فوافقت على الأمر. كاد ذلك يكون غير ممتع تماماً كما توقعت.

بالكاد كانت الفتاتان تكلّمانها، وحين كانتا تفعلان، كانتا تبدوان متشامختين وقذرتين لكنهما على الأقل احتملتا تواجدها هناك معهم، الأمر الذي كان بمثابة تقدم ملحوظ. أما السيدة ويسترمان فكادت تسمّمها بطبق من الكاري الكثير التوابل، ولكن أكثر ما أرعب جون، هو أنها أخرجت "عن غير قصد" الكلبة من المطبخ، فسارعت تلك الأخيرة مباشرة باتجاه ساق فيونا، إنما اليسرى هذه المرة وحظيت بقضمة من كاحلها الأيسر، بدل الأيمن، فاحتاجت هذه المرة إلى أربع قطب فقط. فنظر إليها أدريان مجدداً بتعجب تام حين رآها صباح الاثنين.

"مجدداً؟ هل أنت مجنونة؟ متى سيقتلون تلك الكلبة؟".

"ظننت أن جون كان سيقتل مدبرة المنزل، إذا صاح بها عالياً جداً بحيث راحت الفتاتان تبكيان، وهددته هي بالاستقالة. سيكون عليّ الحصول على مسدس حشو حين تأتي الفتاتان للزيارة في المرة التالية".

"آمل ألا تأتيا غالباً. وهل طرد مدبرة المنزل؟".

"لا يمكنه ذلك، فالفتاتان تحبانها".

"فيونا إنها تحاول قتلك".

"أعلم. وفاةً بسبب طبق من الكاري المسمّم! ما زلت أعاني من حرقة بسببها. أحمد الله على كون الكلبة قصيرة جداً لتطال عنقي وإلا لفعلت. عليّ ببساطة أن أبذل أفضل ما يمكنني، فأنا أحبه".

"ليس عليك أن تحبي الكلبة، ومدبرة المنزل، وابنتيه".

فاعترفت قائلة "التحدي أكبر من ذلك بكثير".

لقد أحرج جون مرة أخرى إلى حد قاتل، وكانت تلك عطلة أسبوع

www.rewity.com dodyadodo

مروعة وهو كان يعاني من ضغط شديد في المكتب، في حين كانت فيونا منشغلة أكثر مما كانت منذ شهور. فقد بدت المجلة كلها تسير نحو الجنون: مشاكل مع الناس، واستقالات، وتغييرات في شكل المجلة، والحملة الدعائية الجديدة التي كانت تتسبب بالكثير من المشاكل وتوجب إعادة تصميمها؛ الأمر الذي شكل إحدى مشاكل جون كما كان إحدى مشاكلها. كما وكان أيضاً أحد المصورين قد رفع دعوى على المجلة، وكادت إحدى عارضات الأزياء تلقى حتفها خلال أحد أيام التصوير، الأمر الذي جذب قدراً من الإعلام السيئ. فكانت فيونا تعود إلى المنزل عند العاشرة كل مساء، وتسافر أكثر مما فعلت يوماً. قامت بثلاث رحلات إلى باريس في شهر واحد، وفي الشهر الثاني إضطرت للبقاء في برلين لأسبوعين، ثم كان عليها السفر إلى روما مباشرة من أجل اجتماع مهم مع فالنتينو. إشتكى جون من أنه لا يراها أبداً وكان محقاً.

"أعلم حبيبي، أنا آسفة. لا أدري ما الذي حصل. يبدو أنه لا يمكنني تهدئة الأمور. في كل مرة أحل فيها مشكلة، تحلّ عليّ مشكلة أخرى". لكنّ مكتبه لم يكن أهدأ من مكتبها. فقد كانت الوكالة في فترة تسليم للمناصب مجدداً، وكان ذلك يسبب له مشاكل كبيرة. ثم في شهر أبريل، أخبرته ابنته أنها كانت حبلى وخضعت لعملية إجهاض وألقت بالتالي اللوم عليه، وقالت إنه لو لم يتزوج من فيونا لما كانت غاضبة إلى ذلك الحد ولتوخّت الحذر مع الذي عاشرته، لكن جون شعر بالذنب أيضاً وبطريقة غير مباشرة ألقى اللوم على نفسه، وحين غضب كثيراً ذات ليلة، ألقى اللوم على فيونا، الأمر الذي صدمها.

"أتعتقد ذلك حقاً؟ إني المسؤولة عن إجهاض هيلاري وحملها؟" ثم حدقت إليه غير مصدقة أذنيها.

"لا أدري ما أصدق. لقد أغضبناهما كثيراً واعترفي يا فيونا أنني لا أراك أبداً حتى". فذلك كان السبب الأهم وراء حزنه.

"وما دخل هذا بأي شيء؟".

"أشعر وكأنني أعيش مع مضيفة طيران. لا تأتين إلى المنزل سوى لتبديل ملابسك وحزم أمتعتك ولتُقلعي مجدداً وأنا عالق هنا مع كلبك ومجنون نصف عار يركض في المنزل منتعلاً حذاء نسائياً ذهبي اللون حين أعود من المكتب إلى المنزل. أحتاج إلى سلامة العقل هنا أكثر مما هي متوفرة. أريد العودة إلى منزل طبيعي بعد كل الضغط الذي أواجه في المكتب".

فأجابته حينها بكلمات لاذعة "إذاً كان عليك أن تتزوج من امرأة طبيعية". فما قاله لها كان مؤلماً.

"خلتُني فعلتُ ذلك. لا يمكنني العيش وسط كل هذه الفوضى".

"أي فوضى؟" فهي بالكاد أصبحت تستضيف أحداً الآن وتحوّلت صالوناتها إلى لا شيء، لأنها لم تشأ إغضابه وكانت قد وعدته أن تطلب من جمال ألا يخلع ملابسه، كما وكانت قد طلبت منه ذلك في السابق لكن كلما كانت تبتعد عن المنزل، كان يعود هذا الأخير ويفعل ما يشاء. إنما لم يكن من ضير في ذلك إذ أنه كان رجلاً طيباً.

ولاحظ أدريان كم بدت غاضبة حين أتت إلى العمل ذات صباح، وأطلعته على الأمر. كانت قد تشاجرت لتوّها مع جون مجدداً بشأن جمال.

فقال أدريان "قلت لك إنه عليك التنازل. اشترِ لجمال بذلة جديدة وقولي له إن عليه ارتداءها".

"وأي فارق يحدث هذا؟ ومن يبالي بما يرتدي ومتى يكنس؟".

فقال محدقاً بها "جون يبالي. وماذا فعلت بشأن الخزانات؟".

"لم يكن لديّ الوقت للقيام بأي شيء. فأنا منذ ثلاثة أشهر أمضي معظم وقتي في الخارج. لم أحظَ ولو باستراحة واحدة يا أدريان، وأنتَ على علم بهذا".

"من الأفضل أن تفعلي شيئاً. فأنت لا تريدين أن تخسريه".

"لن أخسره". وهي كانت واثقة من كلامها "نحن متزوجان".

"ومنذ متى كان هذا بمثابة ضمانة؟".

فأجابته بعناد "من المفترض أن يكون كذلك". "فهذا ما يفترض أن يكـون معنى الزواج أليس كذلك؟".

"بالطبع، هذا إن تزوجت من ملاك. ولكن مع البشر، فقـد تنتهـي مـدة الكفالة. فصبر الناس قد ينفد فيونا". وهو كان يحاول تحذيرها.

"حسناً حسناً، سأعطيه خزانة. ولمَ عساه يحتاج إليها على أي حال؟ فقـد ترك القسم الأكبر من ثيابه في الشقة مع ثياب زوجته ورسمها الـذي أكرهـه والذي تشاجرنا بشأنه ذلك اليوم. فهو يريد جلبه إلى منزلي كي تشعر الفتاتـان أنهما في بيتهما هناك. وبحق الله لم عساي أود العيش مع رسم زوجته؟".

"تنازلي، تنازلي!" ولوّح بإصبعه في وجهها "لديه وجهة نظر صائبة. فقد يجعل ذلك ابنتيه تحبانك أكثر. يمكنك تعليقه في غرفة نومهما. ولـن تكـوني بالتالي مضطرة لرؤيته".

"لن أحوّل منزلي إلى متحف لزوجته المرحومة ولا يمكنني العيش كذلك حتى".

فقال أدريان بهدوء، "السنة الأولى هي دائماً الأصعب"، وذلك لأنه لم يكن هو الذي يتنازل، ولا حتى فيونا. فقد كانت تريد إبقاء كل شيء علـى حالـه، وفي كل مرة كان جون ينقل فيها شيئاً، كانت تعيده لدى رجوعها من المكتب. فهي كانت قد طلبت من جمال ذات مرة عدم السماح لجون بتغيير أي شـيء، وتشاجرا بالتالي بشدة حين كانت في لوس أنجلوس تشـرف علـى تصـوير لمادونا، إذ كان جون يريد وضع بعض كتبه في المكتبة وما كان جمال ليسمح لـه بذلك. فاتصل بها جون إلى لوس أنجلس وهدد بترك المنزل إن لم تتصل بجمال وتطلب منه التراجع. كانت تلك أول مرة يفعل فيها ذلك، فخافت وطلبت من جمال أن يدعه يفعل كل ما يريد. تجادل عندها جمال معها على الهـاتف وقال إنها طلبت منه عدم السماح لجون بتغييـر أي شـيء. فكـادت تصـبح هستيرية وهي تنهره، وتأمره بتنفيذ ما طلبت وحسب، وعدم خلق المزيد مـن

المشاكل. ثم اتصل بها جمال باكياً تلك الليلة وهدّد بالاستقالة، فرجته ان يعمل. كانت تريد أشخاصاً مألوفين وأماكن وأشياء مألوفة من حولها. أصبح فجأة كل شيء يتبدل من حولها. فقد أصبح لديها ابنتا زوج لا تحتملهما، ورجـل يريـد ترك بصمته على حياتها، ولديه الحق في ذلك. لكنها وبعد حياة طويلة عاشتها على سجيتها كانت تشعر أن كل تغيير يريد إجراءه هو بمثابة إهانة لشخصها. حتى رؤية كتبه في مكتبتها كانت تثير غضبها بعض الشيء. فهـو كـان قـد وضع بعضاً من كتبها على رف علوي ليفسح المجال لكتبه.

كانا وكأن كل منهما يريد الشجار مع الآخر باستمرار تلك الأيام. كانـا يتجادلان، يصرخان ويلقي أحدهما التهم على الآخـر. وقـد هـددت السـيدة ويسترمان بالاستقالة وكان جون يفكر في بيع الشقة، فغضبت ابنتـاه كثيـراً. فحتى ولو باعها، كانت فيونا تعرف أن ابنتيه ستأتيان لتبيتا في شـقتها وهـي مهما حصل، لم تكن مستعدة لإيواء الكلبة حتى أنها هددت بقتلها إن جلبها إلى منزلها، وهو كان قد قال شيئاً عن الأمر لهيلاري وكـورتني فأصـبحتا الآن تكرهانها أكثر. فقد كانت تلك حلقة مفرغة لامتناهية من سوء التفـاهم وسـوء نقل الكلام وحساسية الأعصاب والمواقف المحبطة باستمرار للجميع.

أما في أبريل فقد انعطفت الأمور نحو الأسوأ بشكل ملحـوظ جـداً، حـين أخبرها جون أنه ينظم حفل عشاء لزبون جديد، وأنه يريد إقامته في لو سيرك، في غرفة خاصة، وطلب من فيونا المساعدة. لم تكن سكرتيرته بارعة في تلك الأشياء وبدا من المنطقي أن يطلب العون من فيونا. فكل ما أراده منهـا هـو أن تحجـز الغرفة، وتختار الطعام، وتطلب الزهور، وتساعده في توضيب المكان وتخصيص الأمكنة للقادمين. فقد كان عليه دعوة الكثيرين من الوكالة، أقله عضـو مـن كـل فريق عمل، وكانوا يشكّلون مجموعة غريبة نوعاً ما. فهو كان يعـرف الزبـون جيداً، لكنه لم يلتقِ قط بزوجته، وكان يثق بذوق فيونا بالتفاصيل وبطريقـة تقسـيم أماكن الجلوس. فكان الزبون رجلاً صارماً من الغرب الأوسط، وبعيداً كل البعـد عن عالم فيونا.

فأوّل ما أصرت عليه فيونا كان إقامة الحفل في منزلها، إذ قالت إن ذلك قد يضفي إليه لمسة خاصة، وسيكون أقل احتشاداً إلى حد بعيد كما وقالت لـه أيضاً إن الأمر سيكون مريحاً أكثر مما لو نظم في مطعم؛ الأمر الـذي يبـدو رسمياً أكثر، مع أنهما كانا يحبان لو سيرك.

ثم أصرّت قائلة "أنا أنظم دائماً حفلات عشاء هنا للمجلة" وكان جون غير مرتاح للأمر.

"الأشخاص الذين تستضيفينهم من أجل المجلة مختلفون جداً. أنـت لـم تقابلي أحداً قط أكثر تشدداً من هذا الرجل وأنا لا أعرف شيئاً عن زوجته".

"ثق بي، فأنا أدرك ما أفعل". قالت ذلك واثقة ومصرّة علـى اسـترجاع ضغط وتوتر الأشهر السابقة. "سأستضيفهما كصاحبي مقـام رفيـع. سـأجعل طهاتي يحضرون الأطعمة وإن أردت يمكننا تحضير طعام فرنسي شهي مثلما يفعلون في لو سيرك".

ثم سألها قلقاً "وماذا عن جمال؟ فهـذا الرجـل كـان رئـيس الحـزب الجمهوري في ميتشيغان قبل انتقاله إلى هنا ولا أظنه قد يتقبّـل فكـرة مـدبر منزل يرتدي بنطلون حريم، ولا أريده أن يجدنا غريبي الأطوار".

"لديه بذلة. سأجعله يرتديها. أعدك بهذا. سأهدده بالقتل". طمأنته وكانـت تعني ذلك. فهي وبعد أن تزوجت من جون كانت قد اشترت له لباساً محترمـاً يليق بمدبر منزل، تحسباً لأمسية كتلك وكانت تريد أن تكون حاضرة لهـا. إلا أنه لم يكن قد لبسها بعد، ولكنها كانت تعلم أنها تناسب مقاسه تمامـاً. فجعلتـه يجربها وجعلت أحداً يعدلها له. ثم اتصلت في اليوم التـالي بالطهـاة وببـائع الزهور وطلبت عشاء فرنسياً فاخراً. كانت ستقدم الهو بريـون والكريسـتال والشوفال بلان والشاتو ديكام للتحلية وكانت مصممة على التعويض في تلـك الليلة عن كل خطاياها السابقة، وكانت واثقة تماماً أن كل شيء سيكون جيـداً. فهي لم تترك أي شيء للفرص.

لكن في اليوم المقرر لحفل العشاء، واجهت أزمة كبيرة في المجلة، وهدّد

اثنان من أفضل المحررين لديها بالاستقالة من أجل نموذج طباعي طرأ عليـه إشكال واضطرت بالتالي فيونا إلى حذفه. كانت لديها الحرب العالمية الثالثة في المكتب، وعلاوة على ذلك أعلنت سكرتيرتها حملها وكانت تتقيأ طيلة النهـار، ولم يكن أدريان بكامل طاقته بسبب الزكام. أما هي فكانت تعاني من صـداع قوي في منتصف بعد الظهر كان يهددها بأن تصاب بداء الشقيقة. فتناولت فور وصولها إلى المنزل حبة دواء وجدتها في خزانة الأدوية في علبة غير مكتوب عليها أي شيء، كان أحدهم قد أعطاها إياها في أوروبا. كان الدواء خفيفاً نوعاً ما وقد أفادها في السابق. لقد كان كل شيء تحت السيطرة. وقبل نصف ساعة من حفل العشاء، جعل الطهاة كل شيء منظماً، وكان جمال يرتدي بذلته وبدت المائدة جميلة، وكان الكريستال والزجاجيات يلمعان. وحين تفحص جون كـل شيء قبل وصول الضيوف، بدا مرتاحاً ومسروراً. بدت المائدة كصورة فـي مجلة. كانت مثالية، ورائحة الطعام شهية.

ثم وصل ضيف الشرف وزوجته في الوقت المحدد، بل في الواقـع، قبـل خمس دقائق منه، الأمر الذي وجدته فيونا مربكاً قليلاً. فقد كانـت ترتـدي بخفـة لتوها، ثوباً أسود غير معرق حين رنّ الجرس، فأسـرع جـون بنـزول الـدرج وانتعلت هي حذاء أسود من قماش الساتان بكعب عال، ووضعت قرطين كبيـرين من المرجان. بدا زيها بسيطاً جداً ومحترماً، حتى أنها بالكاد عرفت نفسها، حـين ألقت نظرة على نفسها في المرآة قبل أن تنزل لملاقاة الضيفين. وكانـت لا تـزال تعاني من الصداع، لكنها كانت تشعر بتحسن منذ تناولت الدواء. فابتسمت بـدفء للزبون، حين عرّفها جون أولاً بماتيو ماديسون ثم بزوجته الرسمية إلـى أقصـى حد. لم يبدُ أي منهما وكأنه استرق بسمة منذ سنوات. أما سائر الضيوف فقد خفّفوا قليلاً من حدة إرباكهما إذ بدأوا يتوافدون الواحد تلو الآخـر. مـن المفتـرض أن يكونوا عشرة ضيوف كلهم ومع جون وفيونا يصبحون اثني عشرة.

مرّر جمال أطباق المقبلات الاثني عشر أولاً وكان كل شيء يجري على ما يرام. لكن صداع فيونا كان يعود ثائراً وقَلَقُ جون الواضح بشأن الأمسية لم

يساعدها، فقد كانت تشعر بالضغط النفسي لمجرد مشاهدته. أراد أن يكون كل شيء مثالياً، وقد كان كذلك. فقررت فيونا تناول حبة أخرى من الدواء وذهبت لتدير الموسيقى لإضفاء الجو، وابتسمت لنفسها. فهي لم تكن قد أقامت حفل عشاء محترم ورزين كهذا منذ سنوات أو حتى إطلاقاً. لقد كانت تحب الأمور النابضة بالحياة والمسلية، وبالطبع الأكثر غرابة. لكنها أرادت أن تقوم بكل شيء تماماً كما طلب منها جون وهذا بالطبع ما فعلته.

لكن حين مرّر جمال المقبلات للمرة الثانية، رأت جون يلفت انتباهها مشيراً إليه، ولم تتمكن من فهم ما كان يقوله. فقد كان مقطباً جبينه غاضباً ثم مرّر نظره باتجاه قدمي جمال. عندها فقط رأت أنه، مع بنطلونه الأسود ذي خيط الساتان عند طرفه، والسترة الرسمية السوداء المحترمة، والقميص الأبيض ورباط العنق المقوس الذي كان يضعه، كان قد انتعل حذاءً نسائياً ذهبياً بكعب عال بعد أن ابتدأ حفل العشاء. فعرفته للحال، إذ كان حذاءها. فلحقت به إلى المطبخ وأخبرته أنه عليه أن يخلعه.

"لمَ لم تنتعل حذاءً محترماً؟" كانت تؤنبه فيما وقفا يهمسان في المطبخ فنظر إليها ببراءة ورفع كتفيه.

"لأنه يؤلمني".

"وكذلك هذه. تصيبني تقرحات كلما لبستها. عليك خلعها جمال، وإلا سيصاب جون بنوبة مرضية".

"أكره أحذية الرجال فهي قبيحة جداً". وكان يبدو حزيناً.

"لا يهمني. فالليلة مهمة. بدّل حذاءك".

"لا أستطيع".

"ولمَ لا؟".

"لقد رميت حذائي".

"أين؟".

"في سلة المهملات". فرفعت غطاء سلة المهملات وهناك كان، مع صدفات المحار وعلبتين فارغتين من الكافيار ونصف ثمرة من الطماطم كانت قد وقعت هناك عليه بالصدفة. لم يكن من الممكن أبداً أن ينتعل ذلك الحذاء، لذا كانت على وشك أن تقترح أن ينتعل حذاء جون لكنه كان يفوق مقاس قدمه بأربع مقاسات تقريباً.

"إصعد إلى الطابق العلوي وانتعل زوجاً من أحذيتي المسطحة على الأقل. وليكن أسود!" وألحّت عليه وهو يصعد الدرج راكضاً بحذائها الذهبي العالي الكعب، في حين عادت هي إلى ضيوف جون المملين. لكن حين دخلت غرفة الجلوس، تعثّرت، فتطاير محتوى كأسها من الشراب في الغرفة واستقر على فستان سالي ماديسون.

فشهقت فيونا "يا إلهي، آسفة يا سامي.. أعني آسفة... يا.. سالي" ولاحظ جون للحال أنها كانت تهذي ولم يكن قد رآها كذلك من قبل فلم يتمكن من معرفة ماذا دهاها. فسارعت بالعودة إلى المطبخ لتجلب فوطة وبعض الماء تنظف بهما فستان السيدة.

ثم تدهور حال السهرة بسرعة بعد ذلك إذ عاد جمال منتعلاً حذاءً مختلفاً كما طُلب منه لكن عوضاً عن الأسود، اختار حذاء مسطحاً باللون الزهري الفاقع من جلد القاطور ولم يكن ذلك ما فكرت به فيونا. فلاحظ كل من في الغرفة الحذاء فيما كان جمال يمرّر المقبلات. وحين جلسوا لتناول العشاء، كانت فيونا متعبة جداً إلى حد أنها لم تتمكن من النهوض. فاضطرّت إلى الصعود إلى الطابق العلوي والتمدّد قليلاً قبل تقديم الحلوى. كان الطعام ممتازاً لكن جمال كان قد فاجأ عائلة ماديسون إلى حد ملحوظ واستمر بمفاجأتها حين راح يقدّم العشاء وهو يتحدث بمودّة إلى الضيوف. فكان جون غاضباً بمكان أنه كان مستعداً لقتل زوجته حين يغادر الضيوف.

لقد كان في الواقع شديد الغضب حين صعد إلى فوق ووجدها ممدّدة بفستانها على سريرهما. فاستيقظت ما أن دخل.

"يا إلهي، أعاني من صداع فظيع" ثم استدارت ونظرت إليه ووضعت كلتي يديها على رأسها.

"لمَ بحق الله فعلت بي ذلك؟" سألها وقد كان غاضباً. لم تكن قد رأته قط غاضباً إلى ذلك الحد، ولملّت ألا تراه كذلك أبداً مجدداً. "كيف لمكنك أن تفعلي هذا خلال عشاء بتلك الأهمية؟ بحق الله فيونا، تصرفت كمرشحة لمسابقة ملكة الجنون".

"أصابني صداع فظيع فتناولت دواء ما قبل العشاء، أظنه تفاعل بهذه الطريقة. ولكنه لم يُحدث ردود الفعل هذه من قبل". لكن ما كانت تجهله، هو أن العلبة كانت تحتوي على عدة أنواع من الأدوية.

"وهل كان جمال تحت تأثير الدواء نفسه حين كان يرتدي ملابسه؟ ما الذي كان يفعله منتعلاً ذلك الحذاء؟".

فقالت محاولة التركيز على ما يقوله "أي منهما؟ الذهبي أم الزهري؟" كانت لا تزال تحت تأثير الدواء وبعد خمس دقائق، وعلى الرغم من بذل مجهودها الأقصى للانتباه إلى ما كان يقوله، غفت مجدداً.

عانت في الصباح التالي من ردة فعل مضنية، ولم تتمكن من تذكر أي شيء عن العشاء. لكن على الفطور، راح جون يفيدها بما جرى بنبرة باردة ولم يكلمها بعد ذلك لأسبوع. لكنه ولشدة دهشته، فاز بالزبون على الرغم من كل هذا إلا أنه اتصل بماديسون في اليوم التالي واعتذر عن تصرف زوجته وأمل ألا تكون قد ألحقت الضرر بثوب سالي. فتفهّم ماثيو ماديسون الأمر إلى حد مفاجئ وشرح جون إن فيونا كانت قد ارتكبت خطأ لسوء الحظ، بأن تناولت دواء مجهولاً وأدرك أن ذلك كان عذراً يختلقه أي رجل لزوجته الطائشة. ما من شك بعدها حين ولى أبريل وحلّ مايو، أنه كان لا يزال للسهرة وقعها عليهما. فقد كان جون لا يزال مستاءً بسبب ذلك، مع أن فيونا اعتذرت له على ذلك ألف مرة. فمن بين كل الأوقات التي كان يمكن أن تجرب فيونا فيها دواء جديداً، لم تكن تلك الليلة هي المناسبة، طالما أن جون مَعني بالأمر.

وفي مايو، وخلال تصوير مهم دام أسبوعاً، طُرد مصور عالمي مشهور من غرفته في الفندق بسبب شجار دار بينه وبين المدير حول إزعاجه للضيوف الآخرين. فلم يكن عندئذٍ أمام فيونا خيار آخر، سوى استضافته في منزلها وإعطائه غرفة الضيوف لديها لينام فيها، مما يعني إن كل تعاليق ثيابها ذات الدواليب قد نُقلت إلى غرفة الجلوس. فكانت هناك فوضى عارمة في المنزل لدى عودة جون من المكتب، ووجد المصور برفقة فتاتين ورجل في غرفة الجلوس في وضع غير محتشم، في حين كانت فيونا لا تزال في العمل. فجنّ جنون جون وغضب جداً وكان غضبه مبرراً وطردهم جميعاً وكان لا يزال يرتعد غضباً حين اتصل بفيونا إلى المكتب. لكنها لم تلمه على ما فعل إذ كانت هي أيضاً مستاءة من الأمر. لكن المصور كان أحد أهم من تعاملت معهم ولم تَرده أن يتوقف عن العمل معها، الأمر الذي فعله في اليوم التالي، حين عاد إلى باريس غاضباً. لم تكن لديها عندئذٍ أيّ فكرة حول كيفية ملء الفراغ في عدد يوليو، وكانت بالتالي جالسة في مكتبها تبكي بسبب ذلك حين دخل أدريان وصرخت في وجهه.

"إن قلت لي مرة واحدة بعد أن أتنازل فسوف أقتلك، ذاك الأحمق بيار سان مارتان، كان مع أصدقائه في وضع مناف للحشمة في غرفة الجلوس عندي ليلة أمس فطرده جون. وها هو الآن قد استقال ولا أعرف بالتالي ماذا أفعل بعدد يوليو. ومنذ ثلاثة أسابيع رحت أهذي تحت تأثير دواء فرنسي للصداع خلال العشاء الذي أقمته لجون في المنزل. كل منا يقود الآخر نحو الجنون. فرسم زوجته في غرفة الجلوس لديّ وابنتاه تكرهانني وأنا المذنبة في كون ابنته قد أجهضت. وماذا عساي أفعل بعدد يوليو؟ ذاك السافل قد انسحب وتركني وحدي تحت وطأة المسؤولية حين طرده جون إلى الشارع ولا ألومه على ذلك. فأنا لكنت جننت أيضاً لو رأيته. وجون لم يسامحني بعد على ما فعلت خلال العشاء. فقد أصابني ألم الشقيقة وانتعل جمال حذاء بلاهنيك الذهبي الخاص بي ذا الكعب العالي. كانت تلك سلسلة من الويلات.

"يا إلهي. سيقتلك يا فيونا إن كان عليه أن يتأقلم مع وضع كذلك. فحياتك خارجة عن السيطرة".

"أعلم. أحبه، لكن لا يمكنني التعامل مع ابنتيه ويريدني أن أحبهما، وهما طفلتان مزعجتان شقيتان مدللتان وأكرههما".

فقاطعها قائلاً "ولكنهما طفلتاه المزعجتان الشقيتان المدللتان، وهو يحبهما. والآن تخصانك أيضاً وأكنت تحبينهما أم لا، عليك التأقلم معهما لأنك تحبينه. ولا تستضيفا بعد الآن المزيد من المصورين في منزلك هكذا لوجه الله".

فقالت بحزن وهي تمسح أنفها "الآن تقول لي هذا".

"وربما يتعيّن عليك التخلص من جمال أيضاً وتوظيف مدبر منزل طبيعي مكانه".

"لا يمكنني فهو معي منذ زمن بعيد. فهذا لن يكون عادلاً".

"وليس من العدل أن تتوقعي من جون أن يعيش مع مدبر منزلك هذا صاحب اللباس الجريء الذي يجوب المنزل ببنطلون قصير تتداخل فيه خيوط ذهبية، منتعلاً حذاءك. فذلك مُحرج له. فماذا لو جلب أحداً إلى المنزل من المكتب. وكان هذا الأمر قد أقلقها من قبل ممّا دفعها إلى أن تشتري له البذلة. لكنها كانت تعلم أن جمال بحاجة إليها وكان ولياً جداً وطيّب القلب وبدا لها طرده لئيماً فعلاً. وهي لم تكن تفهم لمَ لا يمكن لجون تقبّله أيضاً.. "أنت لا تُسهّلين الأمر على جون"، كان أدريان يوبخها فيما كانت تسند ظهرها إلى كرسيها.

فتنهّدت قائلةً "ولا هو يسهّل الأمر عليّ حتى. كان يعرف كيف هي حياتي قبل أن يتزوج مني. فقد أقام معي بحق الله".

"أجل، لكن الأمر مختلف الآن وقد تزوّجتما. فهذا منزله أيضاً الآن".

"ما زال يحتفظ بشقته. فلمَ لا يستقبل ضيوفه هنالك إن لم يكن يريدهم أن يشاهدوا جمال؟". مع العلم أنها كانت هي التي اقترحت إقامة عشاء العمل له

في منزلها، الأمر الذي بدا لها فكرة جيدة وهو كان كذلك حقاً لو لم تصب بصداع الشقيقة وتتناول الدواء وتقع تحت تأثيره الجانبي.

"لمَ يجدر به الذهاب إلى منزله؟ ظننتك أخبرتني أنه كان يريد بيع الشقة؟".

"يريد ذلك ويريد أن تبقى الفتاتان معنا، مما يعني خسارتي لغرفة الضيوف وتواجد الوحشتين في أرجاء منزلي مع كلبتهما القاتلة".

"بحق الله فيونا، هي مجرد كلبة صغيرة. ما عساها تكون؟". وبدا شارد الذهن، إذ كان ذلك يغضبه أيضاً.

"إنها من فصيلة البيكينجيز، ثمّ لمَ أنت دائماً إلى جانبه؟".

فقال أدريان بهدوء "لست كذلك. أنا إلى جانبك لأنني أعلم أنك تحبينه. وإن لم تتصرفي بشأن كل ذلك فسوف تخسرينه، ولا أريد أن يحل بك ذلك".

"كان هذا تماماً ما كنتُ أخشاه وسبب رفضي للزواج. فأنا لا أريد أن يكون عليّ التخلي عن ذاتي لأكون ملكاً له".

"لستِ مجبرة على ذلك. فجمال ليس ذاتك. سيكون عليك فقط التخلي عن بعض الأمور الكمالية ولا عن ذاتك".

"وما الذي يتخلى عنه هو؟".

"على هذا المعدل، سيتخلى هو عن صحته العقلية ليعيش معك. أنظري إلى الأمر من موقعه. فهو يريد أن يجعل ابنتيه تشعران بالارتياح معك، ولا يريد أن يخسر ابنتيه من أجلك. الواقع أنّ لديك مدبر منزل أحمق يركض بلباس جريء في أرجاء المنزل بغض النظر عن مدى لطفه، وهذا يحرج جون. وعلاوة على ذلك لديك كلب عجوز رائحته نتنة يشخر على سريره كل ليلة ولديك عمل يجعلك تجوبين العالم باستمرار ولديك أصدقاء غريبو الأطوار مثلي وتستضيفين في منزلك فرنسيين يدعون الفتيات إلى منزلك ويتصرفون

معهنّ بطريقة منافية للحشمة على مرأى الجميع في غرفة الجلوس لديك. فإلى أي مدى تحافظين على رجاحة عقلك لو جرّك أحدهم وسط كل ذلك وتوقّع منك التعايش معه؟ بصدق، أنا أحبك لكن لكنت جننت لو عشتُ معك".

"حسناً، حسناً سأسوّي الوضع. لكن الرسم في غرفة الجلوس مبالغ فيه قليلاً، أليس كذلك؟".

"ليس إن كان يجعل ابنتيه تشعران كأنهما في منزلهما. بدّلي رأيهما فيكِ أولاً، ويمكنك من ثم نقل الصورة إلى غرفتهما لاحقاً".

"لا أريد أن تكون لهما غرفة".

"تزوجتِ أباً لفتاتين. فيجب أن تحصلا على غرفة. عليك التنازل عن مكان ما". قال ذلك بقسوة. أراد أن ينجح الأمر من أجلها، وقد بدأ يقلق وكذلك هي.

فقالت وهي تمسح أنفها مجدداً، "هذا صعب عليّ". أصبح فجأة كل شيء محبطاً جداً لكليهما.

"الأمر بالصعوبة نفسها له. إمنحيه شيئاً. ستخسرينه إن لم تفعلي". كان كلاهما يعرف أنها لا تريد ذلك ولكنها لا تريد أيضاً تغيير أي شيء في حياتها. أرادته أن يعتاد على كل ذلك وأرادت أن تختفي ابنتاه من حياتهما، ولم تكونا ستفعلان ذلك. إن كانت تريده، فعليها الترحيب بهما في منزلها مهما كانتا قاسيتيْن معها. ثم نبهها أدريان "لا مزيد من المصورين في المنزل. عديني بذلك على الأقل واشترِ لجمال حذاءً رجالياً محترماً". لم تزعج نفسها بإخبار أدريان أنها قد فعلت وأنه قد رماه لأنه وجده قبيحاً.

"حسناً أعدك" كان ذلك الجزء الأسهل. أما الباقي فقد كان أصعب بكثير وكانت لا تزال تفكر بالأمر حين عادت إلى المنزل مساءً ووجدت ملاحظة من جون. فهو كان قد عاد إلى شقته لبضعة أيام لينعم بشيء من الهدوء. فاتصلت به إلى هناك لكنّ السيدة ويسترمان أجابتها وقالت لها إنه في الخارج. ولم تصدقها فيونا فاتصلت به على هاتفه الجوّال وكان قد حوله إلى البريد

الصوتي. فشعرت كما لو انه أبعدها عن حياته وشعرت بالذعر. لعل أدريان كان محقاً وكان عليها إجراء بعض التغييرات بسرعة.

لكنها شعرت وكأن الأقدار تتآمر ضدها، إذ فاجأتهم حالة طارئة خلال تصوير في لندن بعدها بيومين، وأصرّوا على مجيئها. كانوا يعدّون قصة عن العائلة الملكية. فلم يكن أمامها خيار. كان عليها الذهاب وهذه المرة غابت لأسبوعين. لم تتمكن من الاتصال بجون سوى مرتين فقط خلال غيابها، وكان هذا الأخير يبدو دائماً شديد الانهماك ليكلّمها. كان هاتفه الجوّال دائماً محولاً إلى البريد الصوتي وحين عادت، كان لا يزال في شقته. قال إنه لم يكن يريد البقاء في شقتها خلال غيابها. كانت ابنتاه في عطلة جامعية برفقته في المنزل، كما وكانتا بعد أسبوعين ستذهبان لتمضية عطلة الصيف. ثم صدَمَ فيونا بقوله لها إنه سيذهب من دونها معهما في عطلة. فكانوا سيقصدون المزرعة في مونتانا حيث كان يأخذهما دائماً مع آن وكانوا سيذهبون خلال تواجدها في باريس من أجل عروض الأزياء.

"ظننتك ستأتي معي" قالت وقد بدت خائفة وخائبة الأمل.

فأجابها بهدوء "أحتاج إلى تمضية بعض الوقت معهما" ثم مزّق قلبها بما قاله بعد ذلك "فيونا، إن علاقتنا فاشلة. حياة كل منا مختلفة عن حياة الآخر. تعيشين في بلبلة دائمة وجنون واضطراب. ومصورون غريبو الأطوار يعبثون في منزلك. لقد طفح الكيل". قال ذلك بجدية. لكن بالنسبة إليه كان الكيل قد طفح معه خصوصاً بعد عشاء العمل وتصرفاتها الغريبة وانتعال جمال حذاءها الذهبي أولاً ومن ثم الزهري. بدا كل شيء غير مهم وسخيف، لكنه كان كثيراً بالنسبة إليه.

فردت شاكية "هذا غير عادل. لقد حصل ذلك مرةً واحدة فقط".

"لكن هذه المرة غالباً ما كانت تحصل. ولا يمكنني أن أقبل بأن تعيش ابنتيّ في جوّ كهذا. فماذا لو كانتا هناك حين كان ذاك الأحمق في غرفة الجلوس لدينا؟ ماذا لو دخلتا؟".

"لو كانت الفتاتان في الجوار، لما سمحت له بالمبيت عندنا أساساً. إنه أحد أهم المصورين الذين أعمل معهم ولم أشأ أن أخسر التصوير". لكنها خسرته على أي حال والآن كانت تخسر جون أيضاً.

"وجمال فتًى لطيف. لكنني لا أريده في جوار الفتاتين أيضاً. في حياتك الكثير من الشخصيات الغريبة وأنتِ تحبين ذلك. هذا جزء من عالمك لكن لا يمكنني العيش مع كل ذلك الجنون في بيتي. فأنا لا أعرف أبداً من الذي سيكون هناك لدى دخولي في حين أن الشخص الوحيد الذي لم يعد هناك إطلاقاً هو أنتِ. رحلت بصورة دائمة تقريباً، منذ تزوجنا". وكان قد بدأ يشعر أنها تتعمد ذلك لتجنبه.

فأجابته بحزنٍ "عانيت مشاكل كثيرة في المجلة".

"وكذلك أنا في الوكالة. لكنني لا أعاقبك على هذا".

"بلى، تعاقبني. كان ذلك وقتاً عصيباً لكلينا".

"كان أصعب مما تظنين" قال بحزن. "ليس لديّ حتى مكان أعلق به بذلاتي".

"سأعطيك المزيد من الخزانات. ويمكننا شراء منزل أكبر إن أردنا. فمنزلي صغير جداً لشخصين". فكيف بالأحرى لأربعةٍ إن كانت الفتاتان ستنتقلان للعيش معهما لا سمح الله.

"لا مكان في حياتك لشخصين. أم أنها ربما وبكل بساطة غريبة جداً".

"إن كنت تريد شخصاً لائقاً ورسمياً إلى هذا الحد فلم تزوجت مني؟" وانهمرت الدموع على خديها.

"لأنني أحبك. كنت أحبك حينها. وما زلت أحبك. لكن لا يمكنني العيش معك ومن غير العادل أن أتوقع أن تتغيري. فهكذا تريدين أن تعيشي. كنت مخطئاً في دفعك إلى الزواج. أدرك ذلك الآن. كنت محقةً في البقاء حرةً كل تلك السنين. كنت مدركة لما تفعلين. لم أكن كذلك. أظنني أردت أن أكون

جزءاً من ذلك. فقد كان مثيراً. لكنني أدرك الآن أن ذلك كثير عليّ".

"ما الذي تقوله؟" كانت مرعوبةً ومحطمة الفؤاد، لم تتمكن من تصديق ما تسمعه. كان قد أخبرها إن الأمر سيدوم إلى الأبد وقد وثقت به.

"أعني أنني أريد الطلاق. بل سأحصل عليه قريباً. سبق وتكلمت مع محاميّ وتكلمت بهذا الشأن مع ابنتيّ في الأسبوعين الأخيرين".

"تكلمتَ معهما بشأنه قبل أن تفاتحني به؟" بدت عندها كطفلةٍ متروكةٍ في الشارع وكان ذلك ما يوشك على فعله بها إلاّ أنها لم تكن طفلةً بل امرأة وكان لديه حق بالرحيل.

"سأطرد جمال. يمكنك الحصول على كل خزاناتي. سأرمي ثيابي. يمكنك أن تنتقل وابنتاك للعيش هنا ولن أدع أبداً مصوراً آخر يبيت هنا مجدداً". كانت ترجوه. لم تشأ أن تخسره. ففكرة خسارته جعلتها تشعر باليأس والسقم.

"لن ينجح الأمر أبداً. وخلاصة الأمر أنني لا أريد خسارة طفلتيّ وسأخسرهما حتماً إن بقيت معك". كانتا لا تزالان ابنتيه حتى وإن عاملتاها بطريقةٍ مريعة، وكان يحبهما أكثر مما يحبها وكانتا تحت تأثير السيدة وسترمان الشريرة، تضغطان عليه وتبتزانه عاطفياً ليهجرها. لقد مهّدت المشاكل بينه وبين فيونا أرضاً خصبة للقوى المعادية لهما، وقد نجح الأمر وكنّ أخيراً قد انتصرن عليه وأصبح بالتالي على فيونا أن ترحل.

"لا يحق لهما أن تفعلا هذا بي، ولا أنت أيضاً". لم تتمكن من تصديق ما جرى. وحتى مع حزنها، كانت تعلم أنها مذنبة في بعض ذلك، أو حتى في الكثير منه. لكن بعضه كان خطأه وقد عقد صفقةً مع ابنتيه ضدها. في النهاية، لقد ربحتا. كانت ستخسر الرجل الوحيد الذي أحبته حقاً. كان أدريان محقاً. لم تتنازل بما فيه الكفاية. شعرَت بالأمان الشديد إلى أن تجاهلت كل التنبيهات وها هو الآن سيطلقها، ليرضي ابنتيه. لكنها ارتكبت الكثير من الأخطاء أيضاً.

لم يعد قط إلى منزلها. وصلتها أول مجموعة من الأوراق بعد أسبوعين. دامت المسألة كلها من بدايتها حتى نهايتها أحد عشر شهراً. سنة تقريباً ليست بالكثير. دامت بما يكفي لتحبه حقاً، ولتتألم روحها عند رحيله. كانا متزوجين لستة أشهرٍ تقريباً وكانا سيطلقان قريباً. كان كل شيءٍ لا يقبله العقل. فلقد قطع وعداً. كان قد أحبها. كانا متزوجين. فلم يعنِ ذلك شيئاً. الزواج كان الأمر الوحيد الذي لم ترده يوماً والآن أصبح كل ما تريده. كان كل شيءٍ خدعةً ظالمة.

بعد أسبوعين من تسلمها الأوراق، غادرت إلى باريس من أجل عروض الأزياء.

فرافقها أدريان كما كان يفعل دائماً لكنه بقي برفقتها هذه المرة عوضاً عن جون. جرّها من مكان إلى مكان وكان يطاردها كالشبح. كادت تفقد صوابها لهول ما جرى وكان بإمكانه قراءة ما يخالجها من أفكار ومشاعر. كان أدريان قلقاً بشأنها إلى حد محبط، وكان الأمر كما لو أن فيونا، تلك المرأة التي عرفها وأحبها وضحك وعمل معها، قد اختفت تماماً.

الفصل الثاني عشر

لم تذهب فيونا إلى الهامبتونز طوال الصيف، لكنها بقيت في المنزل، تسهر على جراحها وتجلس في المنزل وحيدة في الليل وتذهب إلى المكتب، وتبكي. كان الأمر وكأن الحياة كلها بما فيها من سعادة وحماسة وشغف قد أفلتت من بين يديها. شعرت وكأنها كانت في نفقٍ طويل، تائهة في الظلام. فكل ما أملته وأحبته ووثقت به أُخذ منها. في كل مرة كانت ترى فيها جمال يثب مرحاً في المنزل، كانت تلوم نفسها مجدداً على الأخطاء التي ارتكبتها. فسواء أكانت على خطإٍ أم على صواب، كانت تلوم نفسها كلياً. كان جون قد قدّم لها كل ما أرادته يوماً وخشيت أن تتمناه، لكنها حين فشلت في فهمه، أخذ منها كل شيء مجدداً. لم يؤلمها شيء في حياتها إلى ذلك الحد، ولا حتى وفاة والدتها، أو حين خسرت رجالاً بعد ذلك. خسارة الزواج التي تشاركته مع جون كان بمثابة وفاة أملها. كانت تبدو كطفلة شقية تعاقب على قراراتها غير الذكية والحكيمة وأساليبها الحمقاء. أنزل بها عقاب الراشدين وحكم عليها بالموت، أو هذا ما كانت على الأقل تشعر به. لكنها لم تكن تستحق لا العقاب الذي أنزله بها ولا الأذى الذي ألحقته بنفسها بعد ذلك، ولم يكن شيء قد يقوله أو يفعله أحد ليصلح الأمر مجدداً. بالكاد تمكنت من العمل حين كانت تتجول خلال الصيف بانتظار سبتمبر. وفي عطلة يوم عيد العمال، في الحر اللاهب، حلّت عليها الكوارث مجدداً، إذ أصيب السيد وينستون بنوبة قلبية ووضع في الإنعاش لمدّة أسبوعين.

كانت تزوره مرتين يومياً، قبل وبعد العمل، وكانت تربّت له وجهه وتقبّل ساقيْه وتجلس بهدوء بالقرب منه. لكنه بعد ظهر ذات يوم شخر شخيراً

ونظر إليها نظرة مسالمة ثم أغمض عينيه وغطّ بسرعة في نوم طويل. كانت تلك ميتة مسالمة، إلا أنها كانت بمثابة صدمة أخرى لها. كان لها بمثابة صديق محبوب ووفيّ.

وبعد يومين، كان لديهم اجتماع هام مع وكالة إعلاناتهم، ولم تكن تستطيع تجنب ذلك بأي طريقة. فناقشت الأمر مع أدريان مسبقاً وقال إن عليها حتماً حضور هذا الاجتماع بغض النظر عن مدى صعوبة الأمر عليها. وهي لم تكن قد سمعت كلمة عن جون طيلة الصيف. فهو حين أنهى الأمر، أنهاه كلياً. كان الوقت يمر بسرعة، وكانت إجراءات الطلاق ستنتهي خلال ثلاثة أشهر. فبعد زواج قصير كهذا، لم يجدر بالأمر أن يصدمها إلى هذا الحدّ، ولكن حتى أدريان كان يعلم الآن أنه كذلك.

فهي كانت قد فتحت له في نفسها أماكن لم ترَ قطّ النور والهواء والحب من قبل، ولم تعرف قط لمسة بشرية، وحين أوصد الباب على علاقتهما وعلى كل تلك الأمور التي تسبّبت لها بجراح لطالما كانت تحاول تجنبها في حياتها. لكن الأسوأ من ذلك هو أنه كان يُعيد فتح كل جرح من جروحها وهو يتسبّب لها بالمزيد. كان ذلك انفجار دمارٍ شامل، ولم تكن بالتالي قادرة على الجلوس والاجتماع به. وفي الصباح الذي كان الاجتماع مقرّراً فيه التقطت الهاتف لتعتذر بحجة المرض، ثم فكّرت بالأمر بطريقة أكثر حكمة. كان أدريان محقاً فقد كان عليها الذهاب وإن فقط من أجل كرامتها. والأسوأ من ذلك هو أنها كانت تريد رؤيته، وقد فعلت.

دخل جون أندرسون إلى الاجتماع وبدا مسمرّاً ووسيماً ورياضياً وكان يرتدي بذلة زرقاء فاتحة اللون، وقميصاً أبيض ذا نتوءات في القماش وكان يناسبه تماماً ويضع واحداً من أربطة عنقه وكانت من مجموعة هرمز باللون الكحلي وعليها نقاط صغيرة حمراء، وفي جيبه منديل أبيض. بدا وكأنه ثري جداً وشعرت فيونا كأنها متسولة.

لكنها بدت لكل من رآها في الاجتماع كفوءة وهادئة وأنيقة كالمعتاد.

كانت هي التي تصدر كل الأوامر وتتحكم بكل شيء وكانت مرحة ومهذبة حين تتوجّه إليه بالكلام. لكن ما من أحد كان يعلم ما كلّفها مجرد تواجدها هناك، أو التحدث معه لبضع دقائق وهما في طريقهما للخروج.

فقال بتهذيب "تبدين بخير يا فيونا" لكنها حين نظرت إليه رأت جداراً واقياً يلفه، وحاجباً واقياً، من الجليد وراء عينيه. لم يكن ليدعها تدخل حياته مجدداً وما كان أحد ممن رآهما ليحزر أنهما كانا متزوجين، أو أن أحدهما أو كلاهما ما زال مغرماً بالآخر. حافظ كل منهما على رزانة تصرفاته المهنية كلياً، مع أنه لاحظ كم خسرت من الوزن وكم كانت شاحبة. كانت ترتدي فستاناً أسود ضيق من مجموعة يوهجي ياماموتو وكان يبرز نحافتها الشديدة وكان وجهها بلون الثلج حين تكلما. ألم تسافري قط هذا الصيف؟ ولم يبدُ له أنها فعلت، وإن فعلت فلا بد أنها كانت تختبئ تحت صخرة. كادت بشرتها تبدو شفافة من شدة البياض.

فقالت شاردة "كنت أعمل على هذه الحملة الدعائية، ونحن ننهي دائماً عدد ديسمبر في أغسطس. كنت أعمل كثيراً طيلة الشهر". لقد شعرت في الواقع منذ رحيله أنها غير منتجة تماماً كغصن يابس، من الناحية الإبداعية ولم تأتِ بأي فكرة محترمة منذ أشهر. كانت تشعر أنها مرهقة جداً وهي كانت فعلاً كذلك. "كيف حال الفتاتين؟".

"ممتازة. أصبحت هيلاري في صف التخرج وكورتني في السنة ما قبل الأخيرة وهي الآن خارج البلد، إنها في فلورنس، وسأذهب بالتالي لرؤيتها كلما سنحت لي الفرصة". تكلما كشخصين يعرفان بعضهما ولكنهما لم يلتقيا منذ وقت بعيد، عوض أن يكونا كشخصين كانا متزوجين ومتحابين. كان قد طردها من حياته كلياً، وبعد برهة، سار كل منهما في طريقه.

كان أدريان يراقب ما يجري، وكلّمها بصوت هادئ وهما يغادران الغرفة معاً. فسألها وهو يبدو قلقاً "كيف كان ذلك؟".

فسألت متظاهرة بعدم معرفة ما يكلمها بشأنه" كيف كان ماذا؟".

www.rewity.com

"رأيتك تتكلمين إلى جون".

"كان ذلك جيداً"، ثم استدارت لتكلم شخصاً آخر، ثم عادت إلى مكتبها ونجحت في تجنبه لبقية بعد الظهر. ففي كل مرة كان أدريان يأتي فيها إلى مكتبها ليناقش أمراً، كانت تدّعي أنها مشغولة أو على الهاتف. لم يكن بإمكانها التكلم إلى أي كان ولا حتى هو.

تطلّب منها الأمر شهراً بعد ذلك لتحكّم عقلها وتدرك بعد العديد من الكوارث الصغيرة التي حلت عليها في المكتب أن ليست حياتها هي الوحيدة التي لم تعد قادرة على تحمّلها إنما عملها أيضاً. فهي بالكاد كانت قادرة على الصمود ولم يعد لديها حتى السيد وينستون لتعود من أجله إلى المنزل في المساء. لم يعد لديها أحد ولا شيء، والحياة الممتعة، والمجنونة، المتحررة التي كانت تحبها يوماً لم تعد لتجذبها بشيء. كرهت الذهاب إلى العمل كل يوم، وعلاوة على ذلك، كرهت العودة إلى المنزل.

قدّمت طلب استقالتها إلى مجلة شيك في الأول من أكتوبر، وعلمت أن الوقت قد حان لذلك. أعطتهم مهلة شهر، وذلك لم يكن طويلاً وفي رسالة خاصة إلى رئيس المجلس، أوصت بشدة بأدريان ليشغل منصبها. قالت إنها كانت ستتقاعد لأسباب صحية وشخصية، وأنها كانت قد اتخذت قراراً بالتوقف عن العمل سنة أو اثنتين والانتقال إلى الخارج، وذلك لم يكن كله كذباً. كانت محبطة بمكان أنها لم تعد تقوى على العمل، وقررت بالتالي أن تؤجر منزلها، وتنتقل للعيش في باريس لبضعة أشهر. وأرادت، حين تشعر بتحسن، أن تكتب كتاباً.

دخل فجأة أدريان إلى مكتبها في لحظة إعلان تقاعدها. وقال وهو يبدو متألماً ومحطم الفؤاد، "لم تطلعيني على ذلك! فيونا ما الذي فعلته؟".

فقالت بهدوء "كان عليّ القيام بذلك، لا أستطيع القيام بعملي بعد الآن، أظنني خسرته. فهو ببساطة لم يعد يعني لي شيئاً، ولم أعد أكترث البتة لا للناس ولا للسهرات ولا للمظاهر ولا للملابس. لم أعد آبه إن حضرت عرضاً للأزياء أم لا، وآمل في الواقع ألا أفعل".

"كان بإمكانك على الأقل إخباري قبل فعل ذلك. كان بإمكاننا التكلم في الأمر. لمَ لم تأخذي عطلة لستة أشهر؟". لكنهما كانا يعلمان أنه لا يمكنها فعل ذلك في عملها. لم يكن بإمكانها ترك المجلة من دون شخص يضبطها، وفي الواقع حين ذهبت لأسبوع وقعت كل المشاكل وخرج كل شيء عن السيطرة. ثم بعد يومين علم أنها كانت قد أوصت به لوظيفتها. كان ذلك القرار الصائب، وكانت تلك توصية حكيمة. وبعد أسبوعين من تقاعدها كان أدريان قد عُيّن رئيس التحرير لشيك، فأطلعوها على ذلك بعد أسبوع، وحين استقر كل شيء، كان قد أصبح بإمكانها الرحيل. تطور كل شيء بسرعة. فتركت مكتبها بهدوء من دون أن تنظر خلفها، وكانت هناك دموع في عينيها حين خرجت وهي تحمل صندوقاً مليئاً بالكتب ونبتةً وحيدة كانت الموظفة التي سلفتها قد أعطتها إياها منذ سنين. كان أدريان يبكي بلا تحفظ حين أخذ منها الصندوق. فكان كلاهما يعلم أن رؤساء التحرير القدامى يستبدلون بسهولة وينسون بسرعة. لكن ما من شك أن فيونا موناغان قد تركت بصمتها ودربتّه جيداً. كانوا يريدون إقامة حفلة وداع لها عند رحيلها لكنها رفضت ذلك. فهي لم تكن بمزاج يسمح لها بذلك. وبعد خمس دقائق من مغادرتها المكتب، رافقها أدريان إلى سيارة الأجرة وسلمها الصندوق الذي كان يحمله لها.

فهمست مبتسمة بحزن "أحبك". والتقت عيناهما واشتبكت نظراتهما.

"أنت أفضل صديقة عرفتها على الإطلاق". قال والدموع في عينيه.

"وأنت كذلك، أراك غداً". كان سيزورها صباحاً في منزلها ليساعدها على حزم أمتعتها، وهي كانت قد أجّرت منزلها وكانت سترسل كل المفروشات لتخزينها. لم تكن ستأخذ أي شيء معها إلى باريس. فقد استأجرت غرفة صغيرة في الريتز بسعر خاص قدّموه لها حتى تتمكن من إيجاد شقة. وبفضل الاستثمارات الحكيمة التي كانت قد قامت بها خلال السنوات الماضية، كان وضعها المادي جيداً ولم يكن عليها أن تعمل لوقت طويل. كانت ستجد شقة وإن شعرت أنها فعلاً تنوي ذلك، فقد تكتب كتاباً، ربما في الربيع. ولكن

قبل ذلك، سوف تمضي وقتها في المشي والنوم المطوّل إلى أن تتخطّى كل أحزانها. لكن الأخبار السارة كانت أنها لن تضطر بعد الآن إلى رؤية جون أندرسون مجدداً. فهي كانت ستشتاق إلى المجلة، وكانت تعلم ذلك، ولكن ليس بقدر ما كانت ستشتاق إليه. لكن كان عليها نسيانهما كليْهما. لقد كانا جزءاً من الماضي وكان المستقبل مجهولاً ولم يبدُ مليئاً بالأمل في حين كان الحاضر مؤلماً بقدر لا يحتمل.

حضر أدريان في صباح اليوم التالي كما وعد واحتاجا إلى اليوم بأكمله ليفرّغا محتوى خزاناتها ويوضّباه في صناديق خاصة بالملابس. فدُهشت لما وجدته هناك، وبجبال الثروات القديمة التي تخلت عنها والتي كانت في يوم من الأيام تعني لها شيئاً.

"بإمكانك تأسيس متحف للموضة بكل هذه الأشياء" قال ذلك وهو يلقي بحمولة جديدة من الثياب على ذراعه، فوق ما كانت ستقدّمه للأعمال الخيرية. فردّت كئيبة "لو فعلت هذا حين كان جون هنا لكان حَظيَ بأكثر من نصف الخزانات". إذ لم يكن قد بقي أي شيء تقريباً في الخزانات التي كانت ذات يوم محشوّة.

فقال أدريان بحكمة "إنسي الأمر، لم يكن ذلك بسبب الخزانة فحسب إنما بسبب العديد من الأمور الأخرى. فنمط حياة كل منكما مختلف جداً. كان متزوجاً طيلة حياته ولم تكوني كذلك يوماً. كانت لديه ابنتان أما أنت فلا، وكانت ابنتاه ومدبرة منزله يكرهنك، وقد حاولت كلبته قتلك مرتين. أمّا الأشخاص الذين كنتِ تمضين وقتك معهم فكانوا يقودونه إلى الجنون". وكان كلاهما يعلم، كما علم جون لاحقاً، أنه على الرغم من حبه لها وأنه كان يجدها رائعة ومثيرة، كانت في النهاية قد أصبحت له بمثابة مصيبة مزعجة أجبر على تحملها وقد أبكته كثيراً. كان أدريان يعتقد حقاً أن جون أحبها، ولكنه ببساطة أقدم على أكثر مما يمكنه تحمله. كان يحتاج إلى امرأة أهدأ بكثير مما قد تكون فيونا يوماً. إلا أن قلب أدريان قد انفطر لكون جون قد تركها فجأة

كذلك. بدا ذلك غير عادل إطلاقاً برأيه. فهي لم تكن تستحق ذلك مهما كانت حياتها فوضوية.

"هل أخبرتِه بشأن السيد وينستون؟" سألها بفضول وهو يلقي خمسين جوزاً من أحذية مانولو في واحد من صناديق الأعمال الخيرية. فقد كانت كعوبها عالية جداً حتى لجمال. أما الأحذية المسطحة فكانت ستعطيه إياها إذ لم تشأ أن تشجعه على انتعال الكعب العالي.

"لم أرَ أن ذلك يعنيه". وكانت تجيب على سؤال أدريان بشأن الكلب. "لم أشأ أن أبدو مثيرة للشفقة. شكراً لأنك طلقتني وبالمناسبة مات كلبي أيضاً". كانت قد دفعت خمسة آلاف دولار لتدفنه في مدفنٍ للحيوانات الأليفة، ومن أجل حجر قبر من الرخام على شكل قلب لم تره أبداً. فهي لم تحتمل الخروج لزيارته.

ثم عاد أدريان ليساعدها مجدداً نهار الأحد، وأمضت بالتالي بقية الأسبوع تتصرف بممتلكاتها. اصطحبها أدريان إلى المطار ووقفا يتبادلان النظرات للحظة دامت طويلاً قبل أن تتخطى رجال الأمن.

"إعتني بنفسك وتوقفي عن إيذاء نفسك. تحصل الأمور لسبب وجيه". أجل، كرحيل والدها ووفاة والدتها وطلاقها من جون، وموت السيد وينستون والتخلي عن عمل كان ذات يوم يعني لها كل شيء. والآن لم يعد لأي شيء معنى. "واتصلي بي فأنا أقلق بشأنك".

"إبرغ في عملك" وبللت الدموع عينيها وهي تتركه. كانت تعلم أنه سيفعل. فهو كان بارعاً كمحرر، وكانت أمامه حياة أطول بكثير من تلك التي بقيت لها في تلك المرحلة. "إجعلني فخورة بك" وكانت كذلك على أي حال.

فقال والدموع تنهمر على خدّيه "أحبك" وغسلت وجهيهما الدموع حين قبّل أحدهما الآخر. "إقضي عليهم في باريس. أراكِ في يناير أو قبل ذلك إن تمكنت من المغادرة". بدا وكأن دهراً يفصل بينهما وبين يناير وكانت مشكلتها

الكبرى أنه قُضي عليها في نيويورك بطريقة مست بعواطفها بعمق شديد. شعرت وكأنه يجدر بهم وضعها في الطائرة في كيس للجثث لا على مقعد. لم تكن قد شعرت من قبل بمثل هذا الإحساس المريع في حياتها.

ثم همست قائلة، "إعتنِ بنفسك" وقد أخفضت رأسها ومضت بعيداً والدموع تعميها. أما هو فظلّ واقفاً هناك حتى غابت عن نظره والدموع تتزحلق على خديه.

الفصل الثالث عشر

كانت الغرفة التي استأجرتها فيونا في الريتز صغيرة بمكان أنها كانت تشبه الرحم بنظرها وكانت تطلّ على سماء الشتاء. فجلست تحدق عالياً بحنين وشوق إلى الجميع وإلى كل شيء وإلى جون وأدريان وعملها ومنزلها والسيد وينستون وحتى جمال. فهي كانت قد خسرت خلال أشهر قليلة كل شيء، والآن أصبحت هنا غير واثقة مما سوف تفعله لاحقاً. كانت باريس ممتعة وحزينة، لكنها كانت تناسب مزاجها وكانت بالتالي سعيدة بوجودها هناك. لم تكن بحاجة إلى التكلم مع أي أحد أو إلى رؤية أي كان، وهي في الواقع، لم تكن تشاء ذلك. غاصت في حزنها وأساها.

بلغتها في منتصف يناير أوراق الطلاق إلى باريس، لكن الأمر لم يعد مهماً الآن. لم يعد بالأحرى أي شيء كذلك.

أمضت يوم العيد وليلته في غرفتها، وفي تلك الليلة بالذات بدأت تكتب. لم يكن ذلك الكتاب الذي فكرت أنها قد تكتبه. فكان كتاباً يدور حول قصة طفلة صغيرة عاشت طفولة شبيهة بطفولة فيونا ثم كبرت وأصبحت امرأة فراحت تخبر عن الأخطاء التي ارتكبتها هذه الأخيرة في حياتها ومن ثم عن فترة التعافي التي مرت بها. كان من الأسهل جداً رؤية ذلك الآن؛ السبل التي اختارتها والرجال الذين خشيتهم وأولئك الذين اختارتهم عوضاً عنهم وعزمها ومهنتها والأمور التي اختارتها بدلاً عن العلاقات الحقيقية، والوظيفة التي عنَت لها الكثير لدرجة أنها جعلت الظلام يخيّم على كل شيء آخر، والتضحيات التي كانت تنوي القيام بها والأولاد الذين لم تنجبهم أبداً وسعيها الدائم نحو الأفضل... وحتى الكلب الذي غدا بديلاً عن طفل، والتضحيات التي لم تقدمها

قط لجون لأنها كانت خائفةً جداً من أن تفسح له مجالاً، ليس في خزاناتها وإنما في قلبها، إذ أنها لو أعطته كل شيء مما كان لديها مسبقاً، لكانت ستخسر الكثير إن خسرته وقد حصل ذلك. كان كل ذلك في القصة، صفحة بعد صفحة فيما كان ولى ديسمبر وحل يناير. كانت غائصةً في كتابته حين وصل أدريان ورآها تبدو أفضل حالاً مع أنها كانت لا تزال نحيلةً جداً وشاحبةً جداً يكاد لونها يصبح رمادياً. لكنها لم تكن قد غادرت غرفتها منذ أيام. لقد كانت تكتب بغضب، وهو كان لا يزال في باريس حين اتصل بها السمسار ليقول لها إنه وجد لها شقةً. فاتصلت بأدريان وكان ينزل في الريتز أيضاً كالمعتاد ووعدها بالذهاب معها لرؤيته بعد عرض غوتييه. فهي كانت تتحاشى بحذرٍ كل الذين ينتمون إلى عالم الموضة. إذ لم يكن لديها ما تقوله لهم بعد الآن.

فتسلّلت خارج الفندق برفقته، واضعةً نظارات غامقة اللون وشادّةً شعرها إلى الوراء ومرتديةً معطفاً مزوّداً بغطاء للرأس وكان المطر ينهمر بغزارة. لكن حتى مع المطر كانت الشقة جميلة. فقد كانت في مبنى، خلف مبنى آخر في فناء مرصوف بالحصى مع حديقةٍ إعتني بها بدقة. فكان ثنائي يعيش في هونغ كونغ يملك المنزل الآن، وهما لم يكونا يأتيان إليه إطلاقاً ولكن لم يطاوعهما قلبهما على بيعه، وكان من السهل معرفة السبب، فقد كان المبنى آهلاً حتى الطابق العلوي والعلية وكانت حديقة على سطحه. كان كبيراً جداً عليها وحدها وكانت فيه أيضاً غرفة في العلية بإمكانها أن تستخدمها للكتابة. فاستأجرته على الفور وقال لها السمسار إنه بإمكانها الانتقال إليه في الحال. كان مفروشاً بطريقة بسيطة ببعض المفروشات القديمة الطراز وسرير ذات غطاء مزخرف. فتمكنت من تصوّر نفسها تعيش فيه لوقت طويل، وكذلك تصوّر أدريان.

كان بإمكانه تخيلها سعيدةً هناك، وقد أخبرته عن الكتاب، لكنها لم تكن لديها أي فكرة عن تاريخ إنهائه. فأملت أن يكون ذلك في بداية الربيع، في حال استمرّت على الوتيرة التي كانت تكتب فيها. لكن لم يكن يهمها كم تطلب ذلك

من الوقت. فهي لم تكن حتى تعلم إن كانت ستنشره أم لا. لكن كتابته كانت تجعلها تشعر بتحسّن نفسي.

وحين وقّعت على عقد الإيجار في اليوم التالي، وحررت شيكاً بالمبلغ المطلوب منها، أدركت أنه اليوم الذي كان من المفترض به أن يكون يوم عيد زواجها الأول، ولم تدرِ إن كان ذلك انتقاماً أم مصادفة غير سارة، وعادت إلى غرفتها إلى الريتز مع أدريان. كان هذا الأخير لا يزال قلقاً عليها إذ أنها انهارت وراحت فجأة تتكلم عن جون وعن مسامحتها له على كل ما فعله بها وعلى تخلّيه عنها وقالت إنها تتفهّمه ولا بأس بذلك، وأنه كان محقاً وأنها قد أساءت التصرّف إليه كثيراً، ولكن ليس بقدر ما كانت تسيء التصرّف إلى نفسها منذ ذلك الحين أدرك أدريان. فهي كانت لا تزال تلوم نفسها على كل ما حدث، وتساءل أدريان ما إذا كانت مشتاقةً إلى وظيفتها مع أنها كانت تقول عكس ذلك تماماً. لكنه لم يكن واثقاً من إذا ما كان من المفترض به تصديقها. كانت حياتها تبدو له فارغةً جداً الآن وغير آهلةٍ سوى بشخصيات كتابها. وهو كان يعلم أكثر من أي شيء أنها بحاجة لأن تسامح نفسها، وتساءل ما إذا كانت ستفعل ذلك يوماً أم أن الأشباح ستظل تلاحقها إلى الأبد. كان قلبه لا يزال مُنفطراً لرؤيتها على تلك الحال، وكان ذلك يدفعه إلى الغضب من جون لنفاد صبره وهجره إياها بهذه السرعة.

لم يشأ أدريان أن يتركها حين غادر باريس في نهاية الأسبوع. فهي كانت ستنتقل إلى شقتها في اليوم التالي لكنه لم يتمكن من البقاء هناك لمساعدتها. كانت لديه مواعيد في نيويورك عليه أن يعود من أجلها وأحدها كان مع جون أندرسون. كانت شيك تواجه بعض المشاكل مع الوكالة لكنه لم يطلع فيونا على الأمر. فقد كان من الصعب أن يضع نفسه مكانها، وكان ذلك بمثابة تحدٍّ بالنسبة إليه. كان إعجابُه بها يزيد يوماً بعد يومٍ حين كان يدير ألف شيء معاً في العمل مصلياً كي يتمكن من النجاح في ذلك. فهو كان يستشير فيونا في العديد من الأمور إذ لطالما كان معجباً بصفاء ذهنها وتفكيرها

الصائب وذوقها الخارق وحكمها الذي لا يخطئ على الأشياء. لقد كانت امرأة مميّزة وكان واثقاً من أن الكتاب سيكون جيداً وسيلقى نجاحاً كبيراً. فهي كانت تضع قلبها وروحها فيه. وفيما كان أدريان يغادر مطار شارل ديغول، راح يفكّر فيها كما كان يفعل دائماً وراح يصلي سائلاً الله أن تكون بخير. كانت بنظره ضعيفة وهزيلة جداً، إنما قوية في الوقت نفسه، وهو بالتالي كان معجباً بشجاعتها أكثر حتى من إعجابه بأسلوبها.

فيما كان أدريان عائداً إلى الولايات المتحدة، كانت فيونا في صدد الانتقال إلى شقتها الجديدة الواقعة عند لو بولفار دو لاتور موبورغ. كانت الغرف شرحة وواسعة، والسماء رمادية، وقد وجدت تسرباً بسيطاً للماء في المطبخ لكن المكان كان إجمالاً نظيفاً ومجهزاً بكافة البياضات والأطباق وأواني المطبخ. فكانت هناك غرفتا نوم وحمامان وغرفة جلوس صغيرة ومطبخ حميم حيث كان بإمكانها استقبال الأصدقاء والغرفة النيّرة في الطابق العلوي. كان ذلك في الواقع كل ما تحتاج إليه. اشتاقت في الأيام القليلة الأولى إلى الريتز وإلى الوجوه المألوفة هناك، كما وإلى عاملة الخدمة في الليل إذ أنها كانت دائماً تطل عليها وإلى عامل الهاتف الذي كان دائماً يميّز صوتها، وإلى البواب الذي كان يمدّ لها قبعته للبقشيش، وإلى خدم الفندق أصحاب الوجوه الطفولية في ردائهم الأزرق الذين كانوا يبدون كالصبية الصغار وهم يحملون لها طرودها، وإلى الناطور الذي كان يهتم بكل احتياجاتها الإدارية البسيطة. فهي لم تكن تذهب إلى أي مكان ولم تكن بالتالي بحاجة لأن يجروا لها أي حجوزات، لكنهم كانوا يوصلون أغراضها، ويرسلون رسائلها وطرودها في البريد، ويشترون لها كتباً تحتاج إليها في أبحاثها، وكانوا دائماً لطيفين معها حين تتوقف لدى مكاتبهم للتكلم إليهم.

شعرت في بادئ الأمر بالوحدة في الشقة ولم يكن لديها أحد تتكلم معه. لم يكن بإمكانها أن تطلب شيئاً لتأكله في أي وقت، ولكن من ناحية ما، كان ذلك لخيرها. فكان عليها ارتداء ملابسها والخروج ولو بالجينز وكنزة قديمة.

كان هناك مطعم كانت تأكل فيه من وقت لآخر أو تتناول القهوة ومتجر بقالة على بعد بضعة مبان حيث كانت تشتري طعاماً. وأحياناً كانت تظل حابسة نفسها في شقتها إلى أن ينفد منها الطعام والسجائر. فهي كانت قد عادت إلى التدخين مجدداً، الأمر الذي لم يساعدها على استعادة وزنها. كانت لا تزال تخسر من وزنها وأضحت ثيابها تبدو معلقة عليها، ولكن كل ما كانت تلبسه على أي حال كان كنزات وقمصان قديمة والجينز. كانت تشعر أنها فرنسية جداً حين كانت تدخن وهي جالسة في مقهى على الرصيف تقرأ الصفحات الأخيرة مما كتبته، وكانت مسرورة من ذلك معظم الوقت.

أمطرت كثيراً في باريس ذلك الشتاء واستمر الطقس على هذه الحال إلى حين ولى الشتاء وحل الربيع. وفي أبريل، حين عادت الشمس تسطع أخيراً، كانت تتمشّى مطولاً في لو كيه. وقفت ذات يوم تشاهد السين وتتذكر عشاءها مع جون في لو باتو موش. كان ذلك منذ سنتين تقريباً، وشعرت كأنها قد عاشت حياة كاملة منذ ذلك الحين. أما الحياة التي كانت قد عاشتها من قبل فقد ذهبت مع الريح: الناس، والعمل في شيك، وحتى السيد وينستون، وجون بالطبع. فقد بدا لها الآن أبعد من كل شيء، وقد كان كذلك بالفعل.

وفي بداية مايو شعرت فجأة بتحسّن حالها وكانت مستجدات الكتاب جيدة. كانت تبتسم أحياناً وهي تقرأ الصفحات، وتضحك حتى عالياً وهي جالسة وحيدة في غرفة الكتابة. كانت تعيش حياتها وحيدة في باريس منذ أكثر من ستة أشهر، لكنها أدركت الآن أن ذلك قد أفادها. شعرت أنها عادت مجدداً إلى طبيعتها حين عاد أدريان في يوليو، وارتاح بالتالي هذا الأخير لرؤيتها تبدو أفضل حالاً بكثير. فكانت قد كسبت بعض الوزن، وتدخن كمدخنة، لكن لونها كان جيداً. وكانت قد قصت شعرها قليلاً كما وكانت عيناها الخضراوان تلمعان حيوية، وبدت رائعة حتى بالنسبة له. لطالما كانت له عين ناقدة صائبة بشأنها، فهي كانت لا تزال صديقته الأعز على الرغم من أنها كانت تعيش بعيداً جداً وأحبّ ما أخبرته بشأن الكتاب.

www.rewity.com dodyadodo

كانت تنوي الذهاب معه إلى لوفولتير هذه المرة ولم تمانع فكرة دخولها معه إلى دار نشر مجلة أخرى. فهي لم يعد لديها الآن ما تخفيه ولم تعد تبدو مهزومة وكانت تبلي بلاءً حسناً. وسألتها الناشرة عما كانت تفعله الآن، فأجابتها مبتسمة أنها تكتب كتاباً.

"يا إلهي آمل ألا يكون رواية تدور حول قصة حقيقية عن خبرتك في مجال الأزياء"، قالت الناشرة ذلك مذعورة. فضحكت فيونا.

"لا يمكنني فعل ذلك بأصدقائي. إني أكتب رواية لا دخل لها إطلاقاً لا بعالم الموضة ولا بعالم النشر لا من قريب ولا من بعيد. أسرارك في بئر عميقة معي". فارتاحت عندئذ الناشرة ثم استدارت فيونا باتجاه أدريان مبتسمة بعد مغادرة المرأة وقالت، "كتاب بشأن الموضة قد يضجرني حتى الموت". فضحك كلاهما وانقضا على طبق مشترك من البوفيتيرول للتحلية. إرتاح لرؤيتها تأكل جيداً، إلا أنها كانت تدخن في الوقت نفسه خلال الوجبة.

"وماذا بشأن اقتنائك كلباً آخر يوماً ما؟" وكان أدريان ينوي اقتراح هذا الأمر عليها منذ وقت طويل لكنه كان ينتظر حتى تُشفى جراحها من خسارة السيد وينستون وقد مرّ الآن وقت طويل بما يكفي ليجازف بالاقتراح. لكنها تناولت سيجارة أخرى وهزّت برأسها.

"أتذكرُ كيف كنت؟ لقد عدت إلى سابق عهدي مجدداً. لا مسؤوليات لديّ ولا التزامات، ولا عوائق، ولا أريد أن أمتلك أي شيء أو أحب أي أحد، أو أتعلق بالناس أو الأماكن أو الأشياء كثيراً. هذه قاعدة يبدو أنها تنجح معي. فَهِم من ذلك أنها كانت لا تزالُ مجروحة، وربما ستكون كذلك دائماً. والجرح الذي خلّفه جون، مهما كان وقت تواجده في حياتها قصيراً، كان أسوأ الجراح كلها. لكن أدريان شعر أنها على الأقل بدأت تسامح نفسها، على الأخطاء التي ارتكبتها وعلى كل ما لم تتمكن من منحه إياه. فهي خلال أشهر وحدتها، كانت قد ناضلت بشدة لتغوص بعمق أكثر إلى داخلها، ولأول مرة منذ أن غادرت المجلة وانتقلت إلى باريس، شعر أدريان أنها قد فعلت الصواب. فقد أصبحت

أكثر عمقاً وحكمة مما كانت يوماً، وكانت حياتها أقل جنوناً. فلم يكن هناك مدبرو منزل غريبو الأطوار يركضون في أرجاء المنزل مرتدين بنطلون الحريم. لقد أصبحت تتبع الموضة أقل من قبل وتهتم أقل بالجديد وبالثياب الحديثة التي ترتديها. بدت أقل سعياً وراء الأفضل، وأقل قسوة على نفسها كما وبدت مرتاحةً وأكثر فلسفةً في نواح عدة. كانت تقول إنها تستمتع بتنظيف الشقة بنفسها. لكن الأمر الوحيد الذي كان يقلقه كان أنها تعيش وحيدة ومعزولةً عن العالم بأسره. فهي كانت لا تزال في الرابعة والأربعين من عمرها وكانت بالتالي لا تزال شابة جداً لتعزل نفسها بهذه الطريقة. قالت إنها لا تهتم بمواعدة أحدهم، وأنها لا تريد حياة اجتماعية. فكل ما كانت تريده كان في الواقع إنهاء كتابها، وهي كانت قد حدّدت لنفسها مهلة لإنهائه في نهاية الصيف. وحينها كانت ستأتي إلى نيويورك لوقت قصير لتجد وكيلاً يبيعه لها. كانت إذن ستبقى في باريس في الصيف كي تتمكن من العمل، وبدت غير مهتمة للذهاب إلى جنوب فرنسا، وبالكاد التفتت إلى أدريان حين سألها ما إذا كانت ذاهبة إلى سان تروبيز. كان هناك العديد من الأماكن التي لم تعد تريد زيارتها أو التواجد فيها. قالت إنها لم تعد تهتم لأمرهم، لكنّ كليهما كان يعلم أن تلك الأماكن تؤلمها كثيراً.

فبقي معها لبضعة أيام بعد عروض الأزياء وحين غادر باريس في أوائل يوليو، عادت هي إلى عملها. لكن ذلك كان ترفيهاً جيداً لها أن ترى أدريان. فهما صحيح أنهما غالباً ما كانا يتكلمان مع بعضهما البعض على الهاتف لكنه كان طبعاً من الأفضل لهما أن يتكلّما وجهاً لوجه. فهما كانا يتناولان العشاء معاً في لوفولتير كل يوم تقريباً وكانت قد أعدّت له العشاء في شقتها ذات مرة، وجلسا بالتالي على المسطبة يأكلان أطباق الجبن ويتسامران. كان عليه الاعتراف بأنها لم تختر حياة سيئة، وهو بطريقة ما كان يحسدها على عيشتها. إلا أنه كان قد حظي بفرصة جيدة في وظيفتها القديمة حيث كان قد أجرى عدداً من التغييرات منذ رحيلها.

"ربما آتي إلى باريس وأؤلف كتاباً حين تتقدم بي السن" قال ذلك وهو يمطّط ساقيه، وكان ينتعل حينها حذاءً رائعاً للمانولو بيتون.

"عليك كتابة الكتاب الذي لم أكتبه" قالت ذلك مبتسمة "حول عالم الموضة. فأنت تعرف أسراره أكثر مني". إذ كان الجميع يبوح بأسراره لأدريان وهو كان كتوماً جداً. فهي كانت دائماً تعلم أن أسرارها محفوظة معه.

"قد يجعلني عندها الجميع أوقع لهم على عقود. لكنّهم إن لم يفعلوا هذا بعد، فلن يفعلوا أبداً!" أحبَّ فكرتها لكن ذلك كان لا يزال بعيداً. فهو الآن في المنصب نفسه الذي كانت هي فيه حين كانت في سنّه.

ما أن غادر حتى راح كتابها يتطور بسرعة ونادراً ما كانت بالتالي لتأخذ منه فرصة بعد ذلك. كانت تستيقظ عند الفجر، وتحضّر القهوة وتدخن سيجارة وتجلس للعمل. وفي معظم الأوقات، لم تكن لتبعد ناظريها عن الكمبيوتر حتى الظهر حين كانت تتناول بعض الفاكهة وتمطط جسمها لتعود إلى العمل من جديد. جلست هناك ليلاً نهاراً لمدة شهرين كاملين، وكانت باريس خالية في الصيف حتى من السياح الذين بدوا وكأنهم يزورون أماكن أخرى كبريطانيا أو الجنوب أو إيطاليا أو إسبانيا. فهي لم تكن تغادر شقتها سوى لشراء الطعام.

وكان ذلك يوماً مشمساً ومشعاً في نهاية أغسطس حين كتبت جملة، وجلست تحدق بها والدمع يترقرق في عينيها، مدركة ما قد حدث للتو. فهي كانت قد أنهت الكتاب.

فقالت بعذوبة "يا إلهي، لقد أنهيته". وراحت بعدها تضحك وتبكي في آنٍ معاً. ثم جلست تحدق به، وتقرأ السطر نفسه المرة تلو المرة تلو المرة. كانت قد أنهته حقاً. الكتاب الذي كانت قد وضعت قلبها وروحها فيه قد اكتمل أخيراً، وكان قد تطلب منها الأمر تقريباً ثمانية أشهر بالتحديد.

فاتصلت بأدريان عند الصباح، وكان هذا الأخير قد وصل إلى العمل لتوه. وما أن عرف أن فيونا هي المتصلة حتى رفع سماعة الهاتف على الفور.

"يمكنك استرجاع وظيفتك الآن" قال يائساً. "إنهم يقودونني إلى الجنون". فثلاثة من أفضل المحررين لديّ قد استقالوا لتوهم".

"ستجد سواهم. جميعهم قابلون للاستبدال بمن فيهم أنا. واحزر ماذا؟" سألته بحماسة.

"ماذا؟ هل أنتِ حامل.... أم أنك قابلت شاباً لطيفاً وستعودين إلى نيويورك. أرجوك إلهي، أعدْها. وتريدين العمل لديّ".

"ليس طالما أنت على قيد الحياة. لا، لا شيء مما ذكرته. لقد أنهيت الكتاب لتوي!". وبلغه حماسها عبر الهاتف. "يا للهول! لا أصدق! بهذه السرعة؟ أنت عبقرية!" كان متحمساً من أجلها، إذ كان يعلم كم يعني هذا لها، وكان كالمعتاد فخوراً بها. فكان أحدهما بمثابة شقيق للآخر، شقيقاً لم يحظ الآخر به فعلياً يوماً. ثم سألها آملاً، "أستعودين إلى ديارك الآن؟".

"هذه دياري الآن، لكني سأذهب إلى نيويورك بعد بضعة أسابيع. أريد مقابلة بعض الوكلاء. إنما عليّ تبييض النص أولاً كما وأريد أن أجري عليه بعض التعديلات والتصحيحات". لكنّ الأمر في النهاية أخذ وقتاً أطول مما تصوّرت.

فقد حلّ شهر أكتوبر قبل أن تصبح جاهزة للذهاب إلى نيويورك، وهي كانت ستقابل هناك ثلاثة وكلاء وكانت ستنزل لدى أدريان، إذ كان لا يزال المستأجرون في منزلها وكانت قد قررت بيعه. كانت في الواقع ستعرضه للبيع بينما هي هناك، وكانت ستعرضه على المستأجرين لديها أولاً. فإن تمكنّا من الاتفاق، فسيوفر ذلك عليهما رسوم الوكالات الرسمية، الأمر الذي قد يكون جيداً لكليهما، سيّما وأنهم كانوا قد أحبوا المنزل. وهي كانت قد اتخذت قراراً بعدم العودة للعيش في نيويورك إذ أنها كانت سعيدة في باريس ولم يعد لديها شيء هنا في نيويورك سوى أدريان الذي لم يكن يرى مانعاً في الذهاب إلى باريس لرؤيتها. وما أن تعود إلى هناك، كانت ستبدأ بوضع كتابٍ جديد وهي كانت قد بدأت بوضع مخططه التمهيدي، وتابعت بالتالي العمل عليه قليلاً في الطائرة.

قابلت فيونا أدريان في المجلة، وبدا الأمر غريباً بالنسبة إليها، تماماً كزيارة بيت الطفولة حيث يقيم الآن آخرون. وكانت زيارة منزلها أغرب حتى. فكانوا قد طلوا الغرف بألوان مختلفة وملأوها بمفروشات قبيحة. لكنه أصبح يخصهم الآن، ولم يعد لها فيه شيء. تحمسوا جداً لعرض شرائه فاتفقوا معها على السعر خلال يومين، وتجنبوا بالتالي رسوم الوكالات. فكانت الرحلة تستحق بالتالي العناء وإنْ من أجل ذلك فقط.

أمضت بضع ليالٍ مع أدريان في شقته، وذهبت لمقابلة بعض وكلاء الأعمال الأدبية الذين أرادت أن تختار أحدهم، فكرهت اثنين منهم، لكن الثالث بدا بحسب رأيها مناسباً تماماً. كان ذكياً وطموحاً، وحديثه مثيراً للاهتمام، وكان على اطلاع شامل بعمله. وكان بمثل عمرها تقريباً. أخبرته عن موضوع الكتاب وأعجبه. فتركت نسخة خطية معه، وشعرت وكأنها تترك طفلها مع الغرباء. كانت متوترة جداً حين عادت إلى شقة أدريان تلك الليلة. فكانت قد بقيت مع الوكيل لساعات طويلة وكان أدريان قد أعدّ لها العشاء إذ كان يعلم أن مقابلة الوكلاء بشأن كتابها ستتسبب لها بضغوط نفسيّة جمّة.

فقالت متوترة "وماذا لو لم يعجبه" وكانت ترتدي حينها كنزة ذات قبة وبنطلوناً رمادياً كما وكانت تنتعل حذاءً من قماش الساتان الرمادي وكان السوار الفيروزي المميّز يلف معصمها. فهي لم تلاحظ ذلك لكنّ الوكيل كان مفتوناً بها إلى حد بعيد. لكن كل ما كانت فيونا تهتم لأمره كان الكتاب. حتى أنها لم تعد تتبرّج قط، ونادراً ما عادت تفعل، لكن بشرتها كانت نضرة جداً، وعينيْها واسعتان جداً إلى حدّ أن أدريان نفسه وجدها أجمل كذلك.

"لن يكره القصة. فأنتِ تكتبين بأسلوب جميل فيونا والقصة مؤثرة ومحبوكة جيداً". فهي كانت قد تلت عليه بعض المقاطع، وأرسلت إليه بعض الصفحات عبر الفاكس وناقشت معه الأفكار الرئيسة للقصة مع كل التغييرات التي أجرتها عليها ألف مرة.

"لن تعجبه، أعرف هذا". وفي الصباح التالي كانت قد أقنعت نفسها أن

الوكيل سيرفضها، وكانت بالتالي تتسلل لتدس النسخة الخطية في أحد الأدراج في مكان ما. كانت قد بدأت التركيز على الكتاب الجديد.

رنّ فجأة الهاتف في منزل أدريان في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم وكانت عادة فيونا تترك الاتصال يتحوّل إلى المجيب الآلي، لكنها ولسبب ما هذه المرّة أجابته ظناً منها أن المتصل أدريان. فقد كانا يحاولان الاتفاق على تفاصيل العشاء تلك الليلة، مع أنه كان أكثر انشغالاً منها حين كانت تشغل تلك الوظيفة. لكنّ الفارق الوحيد بينهما كان أنه لم يكن يقيم الحفلات، ولم يكن يَدَع المصورين أو العارضين والعارضات يبيتون لديه. لكنه كان قد اعترف لها منذ سنة حين غادرت، أنه كان قد وظف جمال عنده. فسرّت فيونا لرؤيته عند وصولها، وكان أدريان قد ألبسه بذلة مؤلّفة من بنطلون أسود وقميص أبيض مع سترة قصيرة بيضاء ورباط عنق، نادراً ما كان يرتديهما، حين يستضيف أدريان أحداً. قال أدريان إن جمال لم يكن سعيداً عنده بقدر ما كان عندها، ولا حتى إلى حد قريب من ذلك، وذلك لأنه لم يكن يحصل على ملبوسات قديمة منه وكانت أحذيته كبيرة جداً على قدميْه. لكن جمال بدا سعيداً جداً في عمله الجديد.

أجابت فيونا بحذر بعد أن رفعت السماعة "نعم؟". وكان صوت المتصل غير مألوف. لم يكن ذلك أدريان، فندمت على الإجابة. ولكن ما أثار دهشتها هو أنّ المتصل كان يسأل عنها. فكان هذا أندرو بايدج، وكيل الأعمال الأدبية الذي كانت قد قابلته في اليوم السابق.

وافاها بالجديد بسرعة، إذ أنه كان يعلم كم يبلغ توتر الكتّاب الجدد، وأخبرها بالتالي في الحال أنه أحب الكتاب وأن روايتها تلك كانت إحدى أفضل القصص التي قرأها منذ سنين والتي تكون الأولى للمؤلف. ورأى أنّه سيكون عليها العمل أكثر على طباعته وإعداده كما وقال لها أيضاً إنه يظنّ أن لديه ناشر له: فهو كان سيتناول في اليوم التالي الغداء مع ناشر متمرّس من أجل موضوع كتابها، هذا إن كانت تنوي التوقيع معه بالطبع. ثم طلب منها المجيء لتوقيع العقد معه في الصباح التالي.

"هل أنت جاد؟" سألت صائحةً. "أنتَ تمزح؟".

"بالطبع لست أمزح" وضحك. بدت له جدّ متواضعة لامرأة بمثل طاقتها وقدراتها، وقد أعجبه ذلك فيها. "هذا كتاب رائع".

"وأنت وكيل مدهش" قالت وهي تضحك. ثم عيّنا موعداً لليوم التالي وأقفلت السماعة. وبعد دقيقتين اتصلت بأدريان على هاتفه الجوّال. "إحزر؟".

"ليس ذلك مجدداً" وضحك عليها. فهي كانت تحب أن تجعله يحزر الأمور المثيرة التي تكون قد حصلت معها للتوّ، تماماً كطفل صغير، وقد بدت كطفلة على الهاتف. فعلم أن لا بدّ أن يكون الأمر جيداً.

"أحب أندرو بايدج كتابي! سأوقع العقد معه غداً وسيتناول هو الغداء مع أحد الناشرين ليتكلما بشأنه". بدت كما لو أنها أنجبت توأماً لتوها، وهي بطريقة ما كانت قد فعلت. كانت أيضاً قد أخبرته بشأن الكتاب الجديد وأنه سيحاول أن يحصل لها مع الناشر على عقد لكتابين أو ثلاثة، إذ كان الناشرون يحبون معرفة أن الكتاب لن يكون الوحيد للناشر، ولم يكن ذلك ينطبق عليها بالطبع.

فسأل أدريان وهو يبدو متحمساً "أيفترض بي أن أتفاجأ؟ قلت لك إنه سيحب الكتاب". فكانت الآن قد بدأت بمهنة جديدة كلياً. "بعد ذلك سيباع كقصة فيلم وسنذهب جميعاً إلى هوليود للعرض الأول. وإن كنت ستكتبين نصوصاً للشاشة، أريد أن أكون مرافقك حين تذهبين لتقبّل جوائز الأوسكار".

"أحبك وشكراً على ثقتك بي. لكنك مجنون. الآن سيكون عليك تناول العشاء معي الليلة لكي نحتفل. أيمكنك ذلك؟" فهو كان لا يزال يحاول التهرّب من ارتباط سابق بموعد لكنه وعدها أنه قد يفعل. فهو كان يريد الخروج برفقتها ليمرحا قليلاً، واتفقا أن يلتقيا عند الثامنة في لاغولو الذي كان لا يزال مطعمها المفضل في نيويورك.

حين دخلت سيارة الأجرة لتلاقيه، كانت ترتدي الفستان الوحيد الرسمي بعض الشيء الذي كانت قد جلبته معها. كان فستاناً للسهرة من تصميم ديور،

وكان كلاسيكياً بعض الشيء أسود اللون وكانت قد اشترته من ديدييه ليدو وبدا مدهشاً عليها. كانت قد أسدلت شعرها، وكان يلمع كالنحاس المحروق، وعلى شرف مهنتها الجديدة ككاتبة، كانت قد تنازلت حتى وقبلت أن تتبرج. كان الفستان قصيراً يظهر ساقيها، وكانت تنتعل صندل مانولو بلاهنيك بكعب عال ذات شريط يبلغ الكاحل، كاد يجعل جمال يحسدها عليه. بدت شبيهة جداً بأودري هابرن إلا أن شعرها كان باللون الأحمر المبهر.

دُهش رئيس الخدم في لاغولو لرؤيتها، وتكلّما بالفرنسية، واشتكى من أنه لم يرها منذ سنين. فشرحت أنها انتقلت للعيش في باريس، وفيما كان يقودها إلى طاولة في الزاوية على المنصة، استدارت الرؤوس كلها للنظر إليها. بدت فيونا مدهشة أكثر من أي وقت مضى، وكانت على وشك الجلوس حين وقع نظرها على وجه مألوف. وهي لو كانت في وضع طبيعي لما كانت ألقت عليه التحية، إذ بدا من الأسهل فعل ذلك، لكنّه كان على بعد طاولتين منها فقط، وكان بالتالي من الفظ ألاّ تلقي عليه التحيّة. كان ذلك جون.

فتوقفت وابتسمت له ولكن تلك لم تكن تحية تستميله بها، بل تحية حلوة ومريرة كعرفان جميل للأوقات السالفة. ثم لاحظت أن المرأة برفقته كانت تبدو محترمة جداً وشقراء جداً. بدت وكأنها قد تكون توأم زوجته المرحومة، وكانت رئيسة العصبة الشابة المحلّية. كانا يتواعدان منذ ستة أشهر وبدوا مرتاحيْن كأن أحدهما يعرف الآخر جيداً.

بدا جون أكثر من مندهش لوهلة، لا بل بدا مصعوقاً وغير مرتاح، لكنه وقف بعد ذلك باحترام مقراً بمعرفته بفيونا وقدمها بتهذيب إلى رفيقته. بدا غير مرتاح أبداً حين تصافحتا.

"إليزابيت ويليامز وفيونا مانوغان" فتفحّصت إحداهما الأخرى وبدا للحال في عيني الشقراء أنها عرفت فيونا. فهي بالطبع، كانت قد سمعت عنها، وبدت وكأن الشعر الأحمر الطويل والقامة الجذابة قد أحبطاها قليلاً. فكانت فيونا تبدو كعارضة أزياء، وأصغر منها سناً بعشر سنوات. كانت في الواقع من نوع

فسألها حزيناً "ولمَ لا؟" فقد أراد رؤيتها. إشتاق إليها فجأة أكثر مما فعل خلال السنة الماضية، وخالجه شعور بأنه ترك ماسة لا تُقدّر بثمن تنزلق من بين أصابعه. فكان قد فعل ذلك حقاً، وهي أيضاً، إنما على طريقتها الخاصة. لكنها كانت تنوي التعايش مع الخسارة. فهي كانت قد تأقلمت معها، ولم تكن لديها أي رغبة بإعادة فتح جراح الماضي. الأمر الوحيد الذي كانت تعرفه وتؤمن به هو أنه مهما بلغ ندم المرء، فلا يمكنه أبداً العودة إلى الوراء وهي كانت قد قالت له مفاد ذلك فأجابها "أنا لم أكن أقترح أن نعود إلى الوراء بل أن نمضي قدماً. لنكنْ صديقين إن لم نكن أكثر من ذلك".

"لست واثقة من مقدرتي على ذلك. فهذا يجعلني حزينة جداً. فهو كالنظر إلى صورة السيد وينستون. لا يمكنني القيام بذلك أيضاً. فذلك مؤلم جداً".

فقال نادماً "يؤسفني سماع هذا"، وكان لديه اجتماع عمل يذهب إليه حينها، فلم يتمكن من البقاء أكثر على الهاتف. وعد أن يتصل بها لاحقاً، ولكن قبل أن يفعل، وصلت باقة زهور ضخمة من لاشوم. كانت أجمل ما رأته يوماً، وقد أحرجتها وأقلقتها. لم تشأ أن تبدأ شيئاً معه. فتركت له رسالة صوتية في الفندق تشكره فيها، علماً منها أنه كان في الخارج، فلم تكن بالتالي مضطرّة إلى التكلم معه مجدداً. وحين اتصل بها، لم تجب، بل تركته يتكلم إلى المجيب الآلي. كان يسألها مجدداً عن العشاء تلك الليلة. اقترح ألان دوكاس، أو مكان مشابه أو حتى أبسط إن كانت تفضل ذلك. لم تعاود الاتصال به بعد ذلك، وبقيت خلف مكتبها لوقت متأخر في تلك الليلة. وكانت لا تزال خلف مكتبها حين سمعت جرس الباب يُقرع وكانت لا تزال مرتدية الجينز الأزرق والكنزة القديمة، حين سمعت الجرس. لم تتمكن من تخيّل من القادم، فأجابت على الهاتف الداخلي من غرفة الكتابة.

"مَن؟" سألت بالفرنسية فأجابها صوت مألوف "أنا" وكانت الساعة الحادية عشرة. كان جون.

"ماذا تفعل هنا؟" "أحضرت لك العشاء. حزرت أنك لم تأكلي بعد.

أيمكنني إيصاله إلى فوق؟" وهي لم تكن تدري إن كان من المفترض بها أن تضحك أم تبكي، لكنها فتحت له باب المدخل مترددة ثم ذهبت لتفتح له الباب. كان واقفاً هناك مع علبة ما في كيس ورقي.

"يجدر بك ألا تفعل هذا" قالت عابسة. كانت تلك نظرة قد أرعبت المحررين المبتدئين لسنوات، لكنه كان يعرفها أفضل من ذلك، ولم تكن تخيفه. ثم أخذت الكيس إلى المطبخ، وحين فتحته، رأت أنه كان يحوي البروفيتيرول من لوفولتير، فاستدارت نحوه مبتسمة. "هذا ما كنت أتوق إليه".

"حزرت إنك بحاجة إلى الطاقة، أو الوحدات الحرارية، أو ما شابه". كان ذلك لطفاً منه لكنها لم تشأ أن يوقع بها مجدداً. البروفيتيرول والزهور والغداء... كان كرجل في مهمّة ولم تشأ أن تكون طريدته.

"أترغب ببعض منها"؟ سألته وهي تصفّ البروفيتيرول في طبق. فهي وعلى الرغم من تحفظها، لم تتمكن من مقاومة ما كان قد جلبه لها، وناولته ملعقة حين جلس بقربها إلى مائدة المطبخ وأكل حصة منها أيضاً. "لا أريد أن أضيع وأتورط معك من جديد". قالت ذلك بصدق "حطمت فؤادي مرة، وكان ذلك كافياً" كانت تلك جملة هادئة وواضحة صعقته كصاعقة.

"أعلم. ولكني أجنّ قليلاً كلما تواجدت بالقرب منك فيونا"، وكانت تلك جملة كلاسيكية غير كافية للتعبير عن حقيقة مشاعره. فقد كان أكثر من مجنون بعد مغادرته.

"كنتُ أحاول البقاء بعيدةً عنك. فهذا أفضل لكلينا".

فأجاب "لست واثقاً من ذلك" وبادلها الصدق نفسه. فهما لطالما كانا صادقين مع بعضهما البعض وهي تحب أو كانت تحبّ ذلك؛ "ربما علينا التوقف عن التفكير بتلك الطريقة".

فهزّت برأسها وكانت بقعة من الشوكولاته على شفتها العلوية الأمر الذي جعله يبتسم. "لقد سبق وفعلنا هذا. الموضوع خارج تفكيرنا. ولندعه هكذا. من

أجل كلينا. لسنا بحاجة إلى أن يدمر أحدنا حياة الآخر مجدداً. لقد فعلنا ذلك مرة".

"وماذا لو نجح الأمر هذه المرة؟" قال ذلك متفائلاً وكان يريد إقناعها، وفي الوقت عينه كان هو نفسه خائفاً حتى الموت.

"وماذا لو لم ينجح؟" قد يتأذى كلانا كثيراً. كان ذلك أشبه بقرارها بشأن الكلاب. فهي لم تعد تريد اقتناء كلب آخر ولم تعد تريد أن تهتم لأي شيء أو شخص بعد الآن. لم تعد تريده هو أيضاً. بل كانت بالطبع تريده لكنها ما عادت تريد الألم الذي قد يرافق تلك العلاقة بحيث لا يمكن تجنبه، وما عادت تريد أولاده أو مدبرة منزله أو كلبته العنيفة إلى حد جنونية. لكنها لم تقل كل ذلك له. "كما وأن ابنتيك قد تصبحان مجنونتين مجدداً".

"أصبحتا أكبر قليلاً الآن، وأنا أدرى بذلك، أما السيدة ويسترمان فتقاعدت وعادت إلى شمالي داكوتا وكان لديها تأثير كبير عليهما. ويمكننا متى شئنا قتل فيفي. كيف حال كاحلك بالمناسبة؟ آمل ألا يكون هنالك ضرر دائم". فضحكت فيونا للفكرة.

"يا لها من كلبة شرسة".

"بل يا لها من كلبة جهنّمية"، صحّح لها قائلاً فضحكت مجدداً. "هي الآن تبقى مع هيلاري في برلون. يسمحون لهم بتربية الكلاب هناك. ربما فيفي قد تحظى بتدريب جيد وتنضبط".

"أتريد أن تشرب شيئاً؟" وتردد في الإجابة ونظر إليها وكأنه يعتذر. فقد فاجأها وكان يعرف ذلك، لكنه لم يشأ أن يفوت تلك الفرصة طالما كان في باريس.

"هل ألهيك عن عملك؟".

"أجل لكنك سبق وفعلت هذا. وأنا متعبة جداً على أي حال، والبروفيتيرول تجعلني كسولة. أتريد أن تشرب شيئاً؟" فسكبت له كوباً من العصير وآخر لها.

جلسا بعدها في غرفة الجلوس الصغيرة وأوقد جون النار في الموقد وراحا يتكلمان مجدداً حول كتابها، وعمله، والشقة الجديدة التي أراد شراءها في نيويورك، وراحا بالتالي ينتقلان من موضوع لآخر، والرفقة التي تشاركاها أدفأت قلبيهما. وهو كان لا يزال يتكلّم عن منزل رآه وأغرم به في كاب كود، حين انحنت بالقرب منه وسكبت له كوباً آخر من العصير.

فمدّ يده ولامس خدها بلطف هامساً "أحبك فيونا". لقد كانت أجمل من أي وقت بكنزتها القديمة وشعرها المربوط في ضفيرة مهملة.

فردّت هامسة "أحبك أيضاً، لكن هذا لم يعد مهماً فقد فات الأوان الآن". لكن ما أن فكّرت بالأمر حتى قبّلها، وشدها إليه فأجلسها بالقرب منه، وقبل أن تتمكن من أن تعترض أو تفكر بالأمر حتى وجدت نفسها تقبله. كان ذلك ما لم تشأ فعله، لكنها ما عادت لتذكر ذلك الآن، إذ أنّ التّوق الذي دام سنة غلبهما، وبدا وكأن لحظات فقط قد مرت حين انتهى بهما الأمر في فراشها.

ثم كانت نصف غافية حين همست على صدره قائلة "كانت تلك فكرة سيئة جداً" ونقلت يدها لتنام بين ذراعيه وابتسم لها.

"كلا، ليست كذلك، كانت أفضل فكرة خطرت لنا يوماً" وقال ذلك وهو يستدير لينام بدوره.

حين استيقظت في الصباح التالي، كانت تتساءل ما إذا كان ذلك حلماً أم لا، وحدقت إليه غير مصدقة عينيها. فنظرت إليه وقالت "يا إلهي". فهو كان قد استيقظ، وتمدد وهو يحضنها وكان يبدو مسروراً جداً. فقالت "لا أصدق أننا فعلنا ذلك. لا بد أننا مجنونان".

فردّ مسروراً "يسرني أننا فعلنا" ثم انقلب على نفسه لينظر إليها وابتسم حين رأى وجهها. "تركُك كان أكثر ما قمت به في حياتي حماقة على الإطلاق وكل ما أردته خلال السنة الأخيرة كان فرصة ثانية. لم أعتقد أبداً أنها كانت ممكنة، وإلا لكنت تقرّبت منك منذ زمن بعيد. ظننت أنك تكرهينني بعد كل ما فعلته بك ولديك كل الحق في ذلك. يدهشني أنك لا تكرهينني وظننت أنني

سأنسى الأمر ببساطة مهما كنت أحبك. لكن حين رأيتك في لاغولي في نيويورك لم أستطع فعل ذلك. علمت أنه علي على الأقل رؤيتك والتكلم معك. وقد جننت بسببك منذ تلك الليلة".

"ولمَ كنت تريد فرصة أخرى؟" سألته وكانت قد جلست تحدّق إليه غاضبة جداً. "لتتركني مجدداً؟ لن أعود إليك". قالت ذلك مع نظرة من التصميم بسبب الخوف، ثم قفزت من السرير. كانت قامتها الجميلة تكذّب سنها. "حتى أننا لم نعد نقيم في البلد نفسه". قالت وكأن ذلك كان السبب الوحيد وراء عدم بدء علاقتهما مجدداً. "فأنا لا أؤمن بالحب على مسافات بعيدة ولن أعود إلى نيويورك أيضاً. أنا سعيدة هنا".

"حسناً، والآن بما أننا حللنا كل تلك الأمور، فلمَ لا أحضر لنا الفطور؟ دعيني ألفت نظرك إلى أنك إن لم تعودي إليّ يا فيونا موناغان، فذلك سيجعل منك مجرد مغامرة لليلة واحدة، وأنت لست من هذا النوع من النساء. ولا أنا من ذلك النوع من الرجال".

"إذاً سأتعلم أن أكون كذلك. لن أتزوج منك أبداً مجدداً".

"لا أتذكر أنني سألتك أن تفعلي ذلك" وكان ينهض من السرير، ووقف بالقرب منها مطوقاً إياها بذراعيه. "أحبك، وأظنكِ تحبينني. ما نقرره بهذا الشأن يبقى مسألة بعض المناقشات".

"لن أناقش ذلك معك" قالت ذلك بعناد، وكانت لا تزالُ واقفة أمامه، لكنها لم تقاوم عناقه. كانت قد استمتعت بالليلة الماضية تماماً كما فعل. "ظننت أنك كنت مغادراً؟".

"لن يحين موعد طائرتي قبل الرابعة وليس علي بالتالي أن أغادر إلى المطار قبل الواحدة". وكانت الساعة على الطاولة قرب سريرها تشير إلى أنها التاسعة. أي أنه لا تزال أمامهما أربع ساعات بالتحديد لحلّ هذه المشكلة. "يمكننا مناقشة هذا على الفطور".

"ما من شيء نناقشه" ثم دخلت الحمام وردّت الباب بعنف وراءها فلبس

بنطلونه وذهب ليعدّ الفطور. ثم انضمت إليه بعد عشر دقائق وكانت حينها قد فركت أسنانها وسرّحت شعرها، ولبست روب حمام زهري.

فسألها باهتمام "هل سرقت هذا من الريتز؟" وكان يخفق البيض وبدا سعيداً جداً.

فصرخت في وجهه "كلا، إشتريته. ولا أصدق أنني أمضيت الليلة معك. هذا أكثر ما فعلت حماقة على الإطلاق. فأنا لا أحب المتخلفين عقلياً".

"هذا اسم رائع تناديني به".

"هذا قليل بك. يجب أن أناديك بأسوأ من هذا بكثير. وكان علي فعل ذلك". قالت هذا وهي تضع قطعة من خبز الباغيت في الفرن لتسخنها، ثم وضعت قدراً من الماء للقهوة على النار. "كان ذلك سخيفاً جداً".

"لمَ؟ وأحدنا يحب الآخر". وبدا هادئاً حين التفت إليها. ولم يكن بهذه السعادة منذ تركها.

"أيجدر بي أن أذكرك بأنك طلقتني؟ وبناء على كل ما أعرفه، كنت محقاً في ذلك. فحياة كل منا مختلفة جداً عن حياة الآخر".

"كل شيء تغير الآن. فأنت الآن كاتبة فقيرة تكاد تموت جوعاً، وتعيشين في حي شعبي في باريس. فقد تتزوجين مني من أجل مالي".

"لديّ مالي الخاص ولا أحتاج إلى مالك".

"هذا مؤسف. لو كنت تسعين وراء مالي لكان كل شيء ممتازاً".

فنهرته قائلة "أنت لا تأخذ الأمر بجدية" ثم أخرجت الخبز من الفرن وسكبت القهوة لكليهما، وأضافت له الكمية الصحيحة من السكر وقدمت له فنجانه.

"أنا آخذ الأمر بغاية الجدية. أنت التي لا تبالين حقاً. فخطأ مميت أن تمضي الليلة مع رجل ثم تقولي له في الصباح التالي أن يختفي من حياتك. لا سيّما إن قال إنه يحبك".

"لا أريد علاقة مع أحد، ولا أريد صديقاً ولا أريد زوجاً. أريد فقط أن أترك وشأني لإكمال كتابي. إسمع لقد ارتكبنا حماقة. أمضينا الليلة معاً والكثير من المطلقين يفعلون ذلك وقد كان الأمر هفوة، لقد فعلنا ذلك، وانتهى الأمر. عد إلى نيويورك، وأنا سأبقى هنا، ولننس أننا فعلنا ذلك.

فمازحها بقصد أن يغيظها قائلاً "أرفض النسيان. فأنا مدمن عليك"، وكان حينها يصب البيض المخفوق في صحنين، ثم جلس إلى مائدة المطبخ.

"لقد أبليت بلاءً حسناً من دوني في السنة الأخيرة. أخضع لبرنامج علاجي من اثني عشرة مرحلة وستتحسن!".

فقال بجدية "لست مضحكة".

"ولا أنت كذلك. ولا حتى ما فعلنها البارحة. كان ذلك سخيفاً جداً".

"توقفي عن قول هذا. هذا مهين. كان ذلك رائعاً وأنت تعرفين ذلك. أتدرين لمَ؟ لأن كل منا يحب الآخر".

هذا كان في الماضي. فلم يعد أحدنا يعرف الآخر حتى. نحن عملياً غريبين مجدداً".

"إذاً تعرّفي بي".

"لا أستطيع. فأنت في وضع جغرافي غير مستحب. وهناك ما هو أسوأ جون". قالت ذلك بجدية حاملةً شوكة مليئة بالبيض الشهي "كن عقلانياً. لقد قدتك إلى الجنون وكرهت بالتالي أن تكون زوجي، فأنت نفسك قلت لي هذا. فتركتني".

"كنت خائفاً. لم أعِ ما كنت أفعل. فحياتك كلها وعالمك كانا غير مألوفين لي. لكني الآن أفتقدهما وأشتاق إليك. أفكر فيك طوال الوقت. لا أريد أن أكون مع شقراء مضجرة من العصبة الشابة. أريد صاحبة الشعر الأحمر المجنونة".

"لست مجنونة" قالت مستاءة.

"كلا، لكن حياتك كانت كذلك، أم أنك كنت غريبة الأطوار بعض الشيء".

"إذاً ربما ستضجر الآن؛ فلقد أصبحت جدّ منطوية على نفسي".

فقال مازحاً "لكنك على الأقل لست باردة".

"قد أصبح كذلك، إن كان ذلك سيقنعك بالبقاء بعيداً عني. اعتبر ليلة البارحة كمجرّد ذكرى، أو كهدية وداع بيننا. إنهِ الأمر عند هذا الحد. وسنضحك للفكرة بعد عشرين سنة".

فقال بإصرار "هذا إن كنا معاً فقط".

"أعدك أننا لن نكون كذلك. لن أعود إليك. وأنت لا تريدني حقاً أكثر مما أردتني في السابق. أنت تعتقد ذلك فقط لأنه لا يمكنك الحصول عليّ".

فقال واليأس باد عليه "أحبك فيونا".

"أحبك أيضاً. لكنني لن أراك مجدداً. أبداً. إن كنا سنتصرف على هذا النحو حين نكون معاً، فهذا يثبت أنه لا يمكن أن تربطنا صداقة، وهذا ما اعتقدته على أي حال".

"إذاً دعينا نكون متحابين".

"ونعيش في مدينتين مختلفتين".

"سأسافر إلى هنا في عطل الأسبوع".

"لا تكن سخيفاً، هذا جنوني".

"وكذلك هو البقاء بعيداً عمّن تحبين وعمّن أحببته يوماً بما يكفي لتتزوجي منه".

"وعمّن كرهتها بما يكفي لتطلقها". ذكّرته بذلك فأبعد نظره عنها. كانت القهوة لذيذة. فهي لطالما كانت تعد قهوة ممتازة.

فصحح قولها "لم أكرهك" وبدا محرجاً حتى الموت.

فقالت بإصرار "بلا، فقد طلقتني" وهي تنتهي من تناول البيض وتنظر إليه.

"كنت حقيراً. أعترف بهذا. كنت أحمق".

فأجابت برقة، "كلا لم تكن كذلك، كنت رائعاً، لذلك أحببتك. أنا فقط لا أريد أن أعيد الكرة. لقد فعلنا ذلك مرة وانتهى الأمر. لمَ نفسد الذكريات الجميلة بالمزيد من الذكريات الأليمة؟ كدت أنسى الجزء السيئ فأتيت الآن وتريد تكرار ذلك. أنا ببساطة لا أريد ذلك".

"جيد. إذاً دعينا نكرر الجزء الجيد فقط".

"لقد فعلنا ذلك البارحة. والآن يمكنك العودة إلى نيويورك إلى صديقتك من العصبة الشابة لتستمر بحياتك بدوني".

"لقد أفسدت عليّ ذلك لتوك. والآن تدينين لي بشيء"، ومال إلى الوراء وأسند ظهره على كرسيه "لا يمكنك أن تمضي الليلة معي وأن تقلبي حياتي رأساً على عقب ومن ثم أن ترمي بي في سلّة المهملات. فماذا لو حبلت منك؟" سأل ذلك وبدا غاضباً فضحكت عليه ومالت بالقرب منه وقبلته.

"أنت مجنون حقاً".

"لقد عديتني". وقبلها بدوره فيما نظر إلى الساعة ثم ابتسم لها. "وبما أنك تستغلينني ثم ترمين بي بعيداً وتنسينني، ما رأيك لو نتشارك قليلاً أكثر ممّا يمكننا نسيانه قبل موعد طائرتي إلى نيويورك. فلديّ بعد ساعتان من الفراغ، هذا إن توقفت عن الكلام". وهي كانت على وشك إخباره أن تلك فكرة سخيفة لكنّه حين قبلها مجدداً، عرفت أنها لم تكن كذلك. وبعد خمس دقائق، كانا قد عادا إلى السرير مجدداً حيث أمضيا الساعتين التاليتين.

نهض من السرير بندم عند الظهر. فكان عليه أن يستحم ويحلق ذقنه ويرتدي ملابسه ويجلب أغراضه من لو كريون. وكان قد صرف سائقه في الليلة السابقة، وقال له إنه سيطلب سيارة أجرة ليعود إلى الفندق إذ لم يشأ أن يبقيه منتظراً. كان قد خطط لملاقاته في الفندق في اليوم التالي عند الساعة الواحدة ليوصله إلى المطار. فقد كان يريد أن يتمشى في باريس في الصباح لكنه أحب الوقت الذي أمضاه مع فيونا أكثر بكثير.

فقال بحزن "لا أريد تركك" فيما كان يلبس سترته. فهو لم يكن يعرف متى سيراها مجدداً، أو ما إذا كانت حتى ستسمح له بذلك. كانت عنيدة إلى حد لا يصدق، وبدت مصممة تماماً على وضع حدٍّ لعلاقتهما؛ أو عدم البدء بها مجدداً.

فطمأنته قائلة "ستنساني حتى قبل أن تحطَّ في نيويورك". فسألها وبدا شديد الحزن "وهل ستنسينني أنتِ أبكر حتى؟".

فابتسمت له وطوّقته بذراعيها وقالت "لن أنساك أبداً. سأحبك دائماً". وكانت تعني ذلك وكادت تبكي حين قبّلها هذه المرة.

"تزوّجي مني فيونا، أرجوك، فأنا أحبك وأقسم لك أنني لن أتركك أبداً مجدداً. أرجوك ساعديني على إصلاح ذلك. لقد ارتكبت خطأً فادحاً حين تركتك. فلا تعاقبي كلينا لأنني كنت أحمق".

"لم تكن أحمق، بل كنت محقاً. ولا يمكنني القيام بذلك. أحبك كثيراً، ولكني لا أريد لا أن أتأذى مجدداً ولا أن أؤذيك. من الأفضل لنا البقاء على هذه الحال".

"كلا، أنت مخطئة". لكنه لم يستطع البقاء ليتجادل معها، فقد كان عليه الوصول قبل موعد الطائرة. فقبّلها للمرة الأخيرة قبل مغادرته، ثم سارع في نزول الدرج وعبور الفناء، في حين وقفت تشاهده للمرة الأخيرة. وبعد مغادرته، عادت إلى سريرها مجدداً، حيث أمضت النهار بطوله. وفي المساء كانت ما زالت ممددة هنالك تبكي وتفكر فيه. فاتصل بها من المطار لكنها لم تجب على الهاتف، وسمعته يسجل صوته على البريد الآلي قائلاً لها إنه يحبها. فأغمضت عينيها وراحت تبكي بشدة.

الفصل الخامس عشر

لم تخبر فيونا أدريان بما فعلته بالأمس حين اتصل بها في اليوم التالي ليخبرها عن عشاء العيد، إنما راحت تستمع إليه وادعت الاهتمام، لكن ما أمكنها التفكير سوى بجون. إتصل بها حوالي اثنيْ عشر مرة منذ أن غادر، لكنها لم تجب على اتصالاته، ولم تعاود حتى الاتصال به. فهي لم تكن لتكلّمه مجدداً، وكانت تعني تماماً ما قالت له. إنتهى الأمر. ليلتهما معاً كانت تعويضاً صغيراً عن حياتهما وهما منفصلين، وقد جعلت الأمر أصعب بكل طريقة ممكنة. الأمر الذي جعلها مصممة أكثر على عدم التكلم إليه أو رؤيته. لم تكن قد أحبت أحداً قط من قبل كما أحبته، ولم تشأ أن تختبر الألم مجدداً، وبخاصة معه. فقد أحبته أكثر من أن تحاول مرة أخرى. وكانت تعلم أنه سيتوقف لاحقاً عن الاتصال.

لزمها أسبوع لتعود إلى العمل. كانت تمشي... وتدخن... وتكلّم نفسها... حاولت أن تعمل لكنها لم تستطع. كانت فقط تشتاق وتتوق إليه. وكل ذلك كان يثبت لها كم كان خطراً عليها.

كان قد مرّ أسبوع على رحيل جون حين اتصل بها أندرو بايدج وأخبرها أن ناشراً آخر يريد شراء كتابها. وليس ذلك فقط، إنما كانوا يعرضون عليها أيضاً عقداً لثلاث كتب. فكانت تلك الأخبار السارة الأولى والوحيدة التي تلقّتها منذ رحيل جون. وبعد أن أقفلت، أدركت أن ذلك لم يفرحها حتى. فهي كانت تشعر بالتعاسة نفسها تقريباً التي شعرت بها حين طلّقها. وفي اليومين الأخيرين كان قد توقف أخيراً عن الاتصال بها.

فخرجت لشراء الخضار بعد ظهر ذلك اليوم، الأمر الذي بدا سخيفاً إذ

www.rewity.com dodyadodo

أنها لم تكن تأكل على أي حال، لكنها كانت تحتاج إلى القهوة والدخان. فمشت في مدخل منزلها حاملةً أكياسها، وسمعت صوت خطى خلفها. فاستدارت لترى من كان يلحق بها، وإذا بها ترى جون واقفاً هناك ينظر إليها. بدا محطماً ومن دون أن ينبس ببنت شفة راح يمشي فحسب باتجاهها.

فسألته بصوت رتيب "ما الذي تفعله هنا؟" ولم تكن لديها الطاقة لتتجادل معه. لكنها لم تكن قد غيّرت رأيها منذ أن رحل. فقد كانت تعني كل كلمة قالتها له، ومعاناتها في الأسبوع الأخير كانت ثبتت أنها محقة. كان خطيراً عليها.

"لا يمكنني العيش بدونك" وبدا وكأنه يعني ذلك.

"لقد فعلت ذلك لسنة ونصف" ذكّرته بذلك ملقيةً بالأكياس على الأرض بالقرب منها. كانت ثقيلة. فحملها لها ووقف ينظر إليها.

"أحبك. لا أدري ما أقول سوى ذلك. لقد ارتكبت خطأً فادحاً. عليك مسامحتي".

"سامحتك منذ زمن بعيد" وبدت حزينة ومهزومة.

"إذاً لمَ لا نحاول مجدداً؟ فأنا واثق أن الأمر سينجح هذه المرة".

فقالت ببساطة "وثقت بك وخنتني".

"سأمزّق قلبي قبل أن أفعل ذلك بك ثانية".

"لا أعلم إن كنت سأثق بك أبداً مجدداً".

"إذاً لا تثقي بي لكن دعيني أكتسب ثقتك". فوقفت تنظر إليه مطولاً وتسترجع ما كان أدريان قد قاله لها عن التنازل والتأقلم. فهي أيضاً لم تقم بذلك على أكمل وجه وكان مستعداً للوثوق بها. الأمر الوحيد الذي كانت واثقة منه الآن كان أنها تحبه.

فاستدارت من دون أن تقول له كلمة واحدة وصعدت الدرج ثم فتحت الباب فتبعها إلى الداخل حاملاً كيسين من البقالة، وأوصد الباب خلفه.

الفصل السادس عشر

كان الثلج يتساقط ليلة عيد 25 ديسمبر وكان أدريان قد أتى إلى باريس ذلك الصباح. كان قد اشترى لها الهدايا، وكان لديها هي أيضاً مجموعة من الهدايا المغلفة بطريقة مبهرة والتي كانت قد كدّستها تحت شجرة لعيد. بدت الشقة دافئة وحميمة، وبدت فيونا رسمية أكثر مما رآها كذلك يوماً.

فهي كانت تلبس فستاناً مخملياً أبيض اشترته من ديديه لودو، مع سترة قصيرة مزينة بفرو القاقم من صنع بالانسياغا في الأربعينات، ورأى أدريان أنها لم تكن يوماً أكثر أناقة. كانوا قد حجزوا طاولة في لوفولتير لوقت لاحق تلك الليلة. لم تقل شيئاً تقريباً وهما في طريقهما إلى المطعم ولم يضغط عليها أدريان للتكلم. جلست تنظر بهدوء عبر النافذة فأخذ يدها بيده وأمسك بها. كان جون بانتظارهما هناك. وابتسم لحظة رآها. فقد كان من الصعب التحضير لذلك، لكن جون اهتم بكل التفاصيل. فكل أوراقهما كانت مهيأة، وكان قد أخبر أدريان بالأمر قبل مجيئه في حال كان يود إلغاء رحلته، لكنه أصر على التواجد هناك معهما. وهو كان سيزور بعض الأصدقاء له في المجر حين تغادر برفقة جون لتمضية شهر العسل في إيطاليا. كانا سيمضيان العيد معاً كما خططوا ومن ثم يذهب جون وفيونا في رحلتهما في اليوم التالي وكذلك أدريان. كانت تريد أن يتواجد أدريان هناك كشاهد على زواجهما، وكان الأمر لا يزال يبدو جنونياً بعض الشيء بالنسبة إليها، وقد دهشت من نفسها لكونها ستنجز ذلك. لم تكن قد اعتقدت أن بإمكانها الوثوق به مجدداً، لكنها فعلت. وفي النهاية، ما الذي كان يدين به أحدهما للآخر سوى الحب والمسامحة؟